كلمة إهداء...

لطالما كنت مستغربة منها جداً، وكنت أقول في قرارة نفسي:

"ما فائدة الإهداء؟ ولمَ لا أذهب وأقول هذا الكلام لمن أريد أن أُهديه هذا الكلام وكفى!"

ولكنني الآن فهمت المغزى من وراء الإهداء...

إنها طريقة تثبت للشخص الذي تريد أن تهديه هذا الكلام كم هو غالٍ عليك، وأن الكلام الذي في قلبك وفي خاطرك تجاهه يجب أن يعلمه الجميع لا هو فقط، وأن يكون حبك وتقديرك له أمام الجميع.

كفى ثرثرة، لا أريد أن أطيل في الإهداء؛ لأني بصراحة لا أحب الإهداءات الطويلة.

أشعر بكم يا قُرَّائي الأعزاء، فأنا قارئة مثلكم قبل أن أكون مؤلفة أيضاً.

***

إهداء إلى والدي "البروفيسور: رمضان عبد الله".

أبي الذي علمني أن أحلم؛ لذلك صرت أحب الأحلام، وأصبحت ملمَّة بها وتميزت في تفسيرها.

ولكن هذه الأحلام التي نراها أثناء نومنا لم يقصدها أبي، ولكنه يقصد الأحلام التي تتحول إلى أهداف.

المقصود بأن يكون لديَّ حلم هو أن يكون لديَّ طموح.

أبي يقول لي: "يجب أن يكون للمرء الكثير من الأحلام؛ لأن الأحلام تتحول إلى أهداف، وما دام لديَّ أهداف فإن أهدافي ستُحدد لي طريقاً أسير فيه، وفي نهاية هذا الطريق تتحقق الطموحات.

علمني أنني يجب أن أكون شخصية لها أهداف وأحلام؛ كي أتطلَّع لطريق أعرف جيداً أني سوف أسلكه وأصل من خلاله إلى ما أريد.

بينما إذا كان الشخص لا يحلم ولا يوجد لديه أهداف وطموحات؛ فإنه سوف يعيش في حياته مثل التائه...!

يتوه المرء إذا لم يجد طريقاً يسلكه، يفني وقته وعمره دون أيّ نجاح يحققه؛ لأنه لم يفهم طريقة التعامل مع الحياة.

لكي تنجح...

- عليك أن تحلم.

- عليك أن يكون لك طموحات عالية جداً إلى أقصى حد.

- عليك بتحديد الأهداف الأكثر أولوية في هذا الوقت، مع عدم نسيان بقيّة الطموحات.

- عليك وضع خطة مناسبة لبدء تنفيذ الأهداف تدريجياً.

هكذا أبي علمني، هكذا أبي فعل في حياته، وهكذا أنا أمشي على خطاه، ولا أقصد نفس مسيرته ولكن على خطاه في طريق النجاح.

***

إهداء إلى أبي الذي علمني معنى الحياة، علمني أنه لا يوجد معنى المستحيل.

لم يكذب عليّ في حكاياته عن حياته، لم يقل لي أن الحياة سهلة أو أن الحياة لا يوجد بها حزن وأسى ويأس، بل عكس لي حياته بكل تفاصيلها

بكل المعاناة والصعوبات التي مرَّ بها.

أبي علمني من خلال مسيرته ونجاحه أن الفشل والحزن واليأس والصعوبات موجودة في حياة كل البشر، ولكن القوي هو من يُواجه، ولا يستسلم ولا ييأس.

وذاك القويّ هو "أبي" الذي نشأ في مكان لا يهيئ له النجاح، لا في الحياة العادية أو الدراسية، ولكنه كان طفلاً قوياً لم ييأس، وقرَّر أن يكون مميزاً عمّن حوله، يوجد من في سنه من كان يعمل فقط وهو طفل لكي يعيش، بل إن أبي عمل وهو ما زال طفلاً صغيراً؛ كي يعيش ويتعلم؛ ويتعلم كي يحيا ويعلو ويرتقي ويتميز.

تعب وسهر ولم يرتح قط منذ طفولته إلى أن وصل إلى أقصى درجات العلم، إلى أن صار أستاذاً جامعياً، ولم يرتح قط إلا بعد أن تركَ بصمته

إلى أن أصبح مميزاً عمن حوله في أمورٍ شتَّى.

مُحال عليَّ أن أصِف حياة أبي أو نجاحه في صفحتين، أبي يحتاج عدة روايات لكي أعكس ما مرَّ به، ولكن إهدائي البسيط هذا لكَ يا أبي وأعرف أنه لم ولن يفي فضلكَ عليّ.

أحبكَ أبي، أحبكَ يا سبب فخري واعتزازي بذاتي.

أحبكَ يا من أحببتني في النجاح.

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

المقدمة

لا توجد مقدمة، فقد اكتفيت بالإهداء؛ لأني لا أحب كثرة الثرثرة؛ لذا تجاوزوا هذه الصفحة، وجهزوا مشروبكم المفضل، ولتبدأ سهرتكم مع هذه الرواية التي آمل أن تستمتعوا بقراءتها.

المقدمة

لا تتعجبوا يا أعزاءي، لقد غيَّرت رأيي وقررت أن أكتب لكم مقدمة بسيطة عن الرواية.

إنَّ هذه الرواية لعُشاق الرعب والرومانسية والفانتازيا...

في هذه الرواية ستخوض مغامرة مع أروما دون قيود الجسد المادي الضعيف، بل بقدراتٍ خاصة خارجة عن المألوف، تُمكِّنها من السفر للماضي، ومن ثمَّ العودة للحاضر، ومن ثمَّ السفر للمستقبل، ومن ثمَّ العودة للحاضر من جديد.

وفي خلال هذه المغامرة سوف تكتشف أروما حقيقة نفوس من حولها، وسوف ترى الحقيقة المغيَّبة عنها، وسوف تُصدم فيمن كانت تحسبهم أصحاب بأن بهم طبع الغدر والخيانة، وعندهم الاستعداد للسرقة والقتل، وحتى الاستعانة بالجن والسحر ...!

وفي النهاية سنرى ما ستفعله أروما...! هل ستنتقم بعد أن تكتشف حقيقة من حولها، أم لا...؟!

"في هذه الرواية سوف تعرف جيدًا

أنَّ عليكَ ألَّا تصدق كل ما تراه عيناك".

- وأخيراً يا حبيبتي ستبدأ حياتنا الخاصة ويتحقق حلمنا اليوم.

- سنظل سوياً إلى الأبد، وسوف أظل أطلبك من الله أن تكون لي أنا فقط دنيا وآخرة.

- وأنا لا أريد سواكَ، حتى إذا شاء الله أن يجمعنا سوياً في الجنة، سوف أطلب من الله ألاَّ يعطيني من حور العين ولا واحدة، سوف أقول لله إني لا أحتاج لمكافئة بالحور العين، سوف أقول لله أنكَ أنتَ أكبر نعمة وأكبر مكافئة لي.

***

-لا تقتربوا منها، خذوا مني كل شيء، ولكن اتركوها لي أرجوكم.. سوف أعطيكم ما تريدون ولكن لا تمسوها بسوء، أتوسل إليكم.

***

الفصل الأول

الحادث

-أين أنا...؟ لمَ أنا في المستشفى...! ألم أكن بها اليوم عصرًا...؟

ومن هذا الشاب النائم على السرير المتحرك...؟ آوه إنه غارق في دمائه يا حرام، لقد فطر قلبي... ما زال شابًا... ومن هذا الشاب الذي يبكي بحرقة...؟ من الممكن أن يكون هذا الشاب أخيه أو صديقه...

دعكِ يا أروما، لا تنظري على يسارك...

آه يا إلهي...! من هذه الشابة التي ينقلونها على السرير المتحرك...؟

آه يا ربي ...! إنها تشبهني كثيرًا، بل تشبهني تمامًا...!

لا...، لا إنها لا تشبهني، بل هي أنا، إنها ترتدي ما أرتديه تمامًا، ولكن الفرق أنها ملطخة بالدماء.

أليس هذا كريم...!؟ ولمَ يبكي على هذه الفتاة...؟ ولمَ لا يراني كما أراه...؟

-كريم... حبيبي... ألا تراني يا كريم...؟

كريم كف عن البكاء، ها أنا ذا أمامك، ألا تسمعني...؟

يا إلهي إنه لا يعيرني انتباهًا، وكأني مجرد طيف لا يُرى، ها هو تركني ومشي وراء الفتاة المهشمة الغارقة في دمائها.

ماذا حدث؟ لا أتذكَّر إلا بعض كلمات وآخر وعد من كريم لي.

تُرى ماذا حدث...؟

***

كريم يتوسل إلى الطبيب وهو منهار ويبكي بحرقة، يبكي مثل الذي فقد كل ما يملك فجأة.

من قوة الصدمة تخونه قدماه ويخرّ على الأرض، لا يستطيع النهوض، ولكنه يتمالك قواه ويقول للطبيب:

- أرجوك، أتوسل إليك أن تفعل كل ما بوسعك من أجل أن تعود لي حبيبتي من جديد، هي كل ما أملك.

يا إلهي! هذه أول مرة أرى كريم منكسرًا بهذا الشكل، سوف أقترب منهم قليلًا كي أسمع ما يقوله الطبيب له.

حاول الطبيب أن يجعل كريم يهمّ بالنهوض من جديد وساعده بالجلوس على الكرسي لكي يرتاح قليلًا، ومن ثم أردف لكي يطمئنه:

-لا تقلق، سوف نفعل كل ما بوسعنا لكي يعود لها وعيها من جديد، ولكنها تحتاج إلى دم؛ لقد فقدت الكثير من الدماء أثناء الحادث.

فقدت الكثير من الدماء في الحادث...! آوه بدأت أتذكر ما حدث.

إن الفتاة التي في غرفة العمليات هي أنا، ولكن إذا كانت هي أنا.. إذن من أكون أنا!

-يبدو أننا مجرد أرواح لا يرانا أحد...

التفتُّ لكي أرى من صاحب الصوت الذي سمعته، نظرت إليه مندهشة وأردفت:

- آه يا إلهي! أليس أنت...؟ أنت... أنت الشاب الذي رأيته منذ قليل محمولًا على السرير المتحرك، ذاك الشاب الغارق في دمائه!؟

-نعم، أنا هو، استغربت أنتِ الوحيدة التي سمعت صوتي، فمنذ أن دخلت المشفى وأنا أتحدث، ولكن لم يسمعني ولم يرَني أحد سواكِ أنتِ.

-صحيح، حتى أنا قد حاولت إلى أن أيقنت أنني مجرد روح ترى وتسمع، ولكن لا يشعر بها أحد...!

- ماذا حدث معكِ...؟

- لا أدري، آخر شيء سمعت الطبيب يطلب دمًا ضروريًّا أثناء العملية؛ لأنني فقدت الكثير من الدم أثناء الحادث.

- مثلي تمامًا، لقد نُقل جسدي إلى العمليات وطلبوا دمًا، لأنني فقدت الكثير من الدماء كذلك إثر الطعنة.

قولي لي... ما السبب الذي أدي بكِ إلى هنا...؟

-دعنا نخرج أولًا من هذا المكان وسوف أحكي لك ما جرى لي.

-ما رأيك أن نحتسي كوبين من القهوة ونحن نتحدث سويًا.

- لا يمكن ذلك، لقد حاولت ولم أتمكن من أن أمسك أي شيء مادي، عندما أحاول فعل ذلك يدي تخترق الشيء!

- صحيح منذ قليل كنت أحاول أن أربت على كتف صديقي حامد؛ لأنه كان منهارًا بشدة عليّ، ولكني وجدت أن يدي اخترقت جسده.

- وأنا أيضًا كنت أجلس بجوار كريم، ومن ثم أردت أن أختلس النظر إلى داخل غرفة العمليات من خلال النظر في تلك الحلقة الدائرية الزجاجية الشفافة، تمعّنت أكثر لما يحدث في الداخل إلى أن وجدت أن رأسي قد اجتاز تلك الحلقة الزجاجية واخترقتها، ومن ثم أصبحت أحوم حولهم ولا أحد يشعر بي حتى، واكتشفت أيضًا أن لي قدرة على أن أطير وأن أنظر إلى ما يحدث من علُوٍ...

حينها اكتشفت أنني أصبحت طيفًا.

-إذًا هيا بنا نخرج الآن؛ لكي تحكي لي كيف مررت بذلك الحادث الذي أدى بكِ إلى هنا.

- آه يا ربي، إن جوّ المشفى مقيت حقًا، حتى الحديقة التي بها لا تبعث الراحة أبدًا.

- بالفعل إن المستشفى مكان يبعث بداخلي عدة مشاعر وكلها مشاعر سيئة للغاية، مثلًا أشعر بالخوف والرهبة والحزن والكآبة وعدم الراحة وقبضة القلب.

- وأنا مثلك تمامًا، وعلى الرغم من أنها ليست مكانًا محببًا بالنسبة لي، إلا إني أحب زيارة المستشفى من حين لآخر؛ لكي أتبرع بالمال، وكي أتبرع مرة كل ستة أشهر بالدم.

- لا أصدق نفسي، لقد بدأت حديثي معكِ منذ بضع دقائق وفي خلال هذه الدقائق المعدودة إلا أني وجدت تشابهًا كبيرًا في شخصياتنا.

- دعني أحكي لك الحادث كيف جرى لي...

اليوم ١٧|١|٢٠١٨، استيقظت كالعادة على مكالمة حبيبي كريم، طلب مني أن أستعد؛ لأن هذا اليوم تاريخي بالنسبة لنا.

لقد قرر كريم أن يتقدم لي اليوم وطلب مني أن أتأهب لأسافر معه إلى أهلي في مطروح؛ لأني أعيش هنا في القاهرة مع عمي رؤوف، عمي رؤوف رجل في الستين من عمره، زوجته متوفية لذا هو لا يعيش مع أحد سوى ابنته عائشة وهي تكبرني بعام واحد فقط؛ لقد أتيت إلى العيش هنا بعد أن أكملت الثانوية العامة وبعد أن ساءت حالة عائشة بعد وفاة أمها.

لقد انكسرت تمامًا وشعرت أنها وحيدة في هذه الحياة وذلك لأن عمي كثير الانشغال وكثير السفر وذلك لطبيعة عملة لأنه رجل أعمال؛ لذا طلبت من أبي إبراهيم أن أذهب وأعيش مع عائشة في القاهرة لكي أشغل لها ذاك الفراغ الذي خلفته أمها برحيلها عنها.

- يا لكِ من رؤوفة ورحيمة يا..... آه حقًا ما اسمك...؟

- اسمي أروما.

- نعم! ما هذا الاسم...؟ لم أسمعه من قبل بتاتًا، ما معنى هذا الاسم يا أروما...؟

- كنت أعرف أن هذا سوف يكون رد فعلك عندما تسمع اسمي... عندما أقوله للناس يتعجبون منه، وتبدأ تُرسم على ملامحهم علامات الاستغراب، ويسألونني "ما معنى اسمك الغريب ذا...؟" على أساس أنهم على علم بمعنى بقية الأسماء المشهورة أو الرائجة، فإذا كان اسمي فاطمة هل هم

يعلمون ما معناه...؟ ولكني أتحمل هذا الموقف الذي أمرّ به دائمًا عندما أقابل أحدهم لأول مرة، وأبتلع هذه السخافة منهم على اسمي وأبدأ في توضيح المعنى لعلهم يفهمون.

- إذًا تحمَّليني أنا أيضًا واشرحي لي ما سبب تسميتك بهذا الاسم المميز؟

- حسنًا، السبب في الأساس أن أبي يحب السفر والترحال في يوم سافر إلى إيطاليا في رحلة سياحية، وهنالك تعرَّف على أمي جيسيكا في روما، فمن كثرة حبِّه لأمي وحب المكان الذي كان سببًا لكي يجتمعا به، قرر أن يكون مولودهما الأول اسمه يكون به جزء من كلمة روما، مثلًا قال إذا كان ولدًا سيكون اسمه رومان أما إذا كانت بنت ستكون روما أو أروما.

ومن ثم كنت أنا أول مولود لهما واختارا لي اسم أروما أي بمعني العبق والعبير والشذى، أي الرائحة العطرة الجميلة؛

وذلك لأن أمي عاشقة للورد وأبي عاشق لروما؛ لذا سموني أروما.

- آه يا له من اسمٍ جميل للغاية، أنتِ من عائلة ذات ثقافة ومستوى راقٍ.

- نعم، يمكنك قول ذلك.

- أعجبتني فكرة تسمية الطفل باسم لعدة أسباب، ليست مجرد تسمية وكفى.

- لا يعجبني الصراحة بعض الأشخاص الذين يسمون أطفالهم بأسماء لمجرد أنها الأكثر رواجًا في هذا العام، ولكن أنا مع تسمية الأطفال بأسماء أثَّرت بنا، أحب أن تكون أسماء الأطفال متعلقة بأشياء أو أماكن أو أشخاص تعلقنا بهم بشدة، يعني أنا مثلًا يعجبني الشخص الذي يسمي ابنته باسم فاطمة من شدة حبه لأمه، هذا الشخص أفضل من الشخص الذي يسمي ابنته أسيل وهو لا يعرف معناه، هو فقط أسماها هكذا لأنه سمع من زوجته أن هذا الاسم موضة، حسنًا إنه موضة ولكن ما علاقته بي أنا، إنه لا يوثق حالة أو ذكرى متعلق بها بشدة.

يعني مثلًا أبي كان يريد إذا أنعم الله عليه بطفل يُسمِّيه رومان من كثرة عشقه لروما، ولكن في العام الذي أتى فيه أخي عبد الرحمن إلى الدنيا توفي قبلها جدي فقام أبي بتسمية أخي بِعبد الرحمن بدلًا من رومان وذلك بسبب شدة حبه لجدي، وأيضًا لكي يظل يشعر بأن جدي لم يرحل عن الدنيا وما زال هنا معنا، ولكن بصورة أخرى وهو أخي عبد الرحمن.

أحب الغير أن يفعلوا ما يشاؤون، ولكن أحب أكثر أن كل ما نقوم به يكون نابعًا من داخلنا ويخصنا ومتعلق بنا نحن وكفى، أحب أن أفعل الشيء لأني أحبه ولا أحب أن أفعل الشيء لأن غيري يفعل ذلك، يجب أن يكون كل شيء في حياتي له طابعه الخاص وألَّا أكون مثل أحد على قدر ما أستطيع.

*قلت في قرارة نفسي: "لمَ ينظر لي مندهشًا هكذا بكلامي وأسلوبي...؟ أنا لم أقل شيئًا! من الممكن أنه يفكر في حركة يدي التي لا تتوقف عن تمثيل حركات تعبيرية أثناء الحديث، إني والله أحاول جاهدة أن أتحكَّم بهذه العادة التي تشبه إشارات عسكري المرور، لذا سوف أقطع شروده بطقطقة إصبعَيّ الوسطي والإبهام أمام عينيه":

-ها... أين أنت يا...!

- معكِ شُبْرَا.

- هههههه أتمزح أنت...؟ أم أنك تسخر من اسمي بهذه الطريقة...؟

- والله لا أسخر منك، إن هذا اسمي حقًا؛ لذلك ارتحت للحديث معكِ، ومنذ اللحظة الأولى وأنا أرى التشابه بيننا كبير جدًّا.

- حسنًا، ولمَ اسمك شُبْرَا...؟

- إن أبي وأمي كلاهما من شُبْرَا، وعلى الرغم من كون أبي تاجرًا كبيرًا ولديه الكثير من المال، إلا أنه بالرغم من ذلك لم يفكر قط أن يترك شُبْرَا وأن يعيش في مكان أكثر رقيّ، هو

يشعر بأن شُبْرَا هي روحه وراحته، يشعر بأن روحه سوف تفارقه إذا خرج منها، علاقة أبي بمنطقته شُبْرَا مثل العاشق وعشيقته، إنه حب من نوع آخر، يمكنك القول إن أبي مثل الشجرة المتأصلة في أرض شبرا لذا كان يشعر أنه إذا خرج منها يشعر أنه مثل من أقتلع جذوره من الأرض وسوف يموت، ألم أقل لكِ روحه بها...

عمومًا أنجب أبي عشرة وأنا الترتيب التاسع في إخوتي، وأنا من سُمِّي على اسم شُبْرَا... أكثر مكان يحبه في العالم.

- اسم مميز لم أقابل من قبل شخصًا يحمل هذا الاسم.

- لا... بل يوجد ولكن قليل جدًّا، وكذلك البعض يحمله كلقب أيضًا.

- وما معنى شُبْرَا؟

- شُبْرَا تعني العزبة أو القرية، ولكن كما قلت لكِ أبي اختار هذا الاسم لي ليس لمعناه، بل لتعلقه بشُبْرَا فقط.

أحاول جاهدةً ألَّا أضحك، وأردفت:

- عمومًا، تشرفنا أستاذ شُبْرَا.

- أرأيتِ...؟ أنتِ الآن تفعلين مثل ما يفعل الناس معكِ عندما يسمعون اسمك، يبدؤون في الضحك والسخرية منه.

أحاول أن أكتم ضحكتي بسبب ملامح الغضب التي رُسمت على وجه شُبْرَا، ها هو قد احمرَّ وجهه بسبب كتم غيظه، يا له من

عصبيّ، أقسم أنه مدخن، لا يوجد شخص عصبي هكذا إلا وتجد أنه يدخن وبشراهة، سوف أسأله مغيرة مجرى الحديث:

- أستاذ شُبْرَا، هل أنت مدخن...؟

- نعم، أنا أدخن، ولكن كيف عرفتِ...؟

- إنها الفراسة.

- وما الفراسة...؟

- سوف أشرح لك معناها، الفراسة تعني أن تعرف بَواطن الأمور وخفايا الشخص الذي أمامك من بعض الأمور التي تظهر منه، يعني مثلًا رأيت بك طبع العصبية على الرغم من أنك تحاول جاهدًا أن تكبح غضبك أمامي، ولكن حمرة وجهك النابعة من الغضب كشفتك، وبالنسبة إلى إنك مدخن أم لا، كان مجرد تخمين مني، لأن أغلب الرجال العصبيين مدخنين.

- حسنًا لقد فهمت ما معنى الفراسة، وها أنا ذا أحاول أن أتفرَّس وجهكِ لكي أعرف ما بداخلك مما يظهر لي منكِ، ولكني لا أعرف...!

- دعكِ من الفراسة الآن واحكي لي كيف كان الحادث الذي أدى بكِ إلي هنا...؟

- حسنًا سوف أحكي لك ما حدث لي، ولكن ذكّرني أين توقفت؟

- توقفنا عندما ذهبتِ للعيش في القاهرة مع ابنة عمك رؤوف، أكان هذا اسمه؟

- نعم صحيح هذا اسمه.

- حسنًا، سوف أكمل لك ما حدث، لقد تذكرت أين توقفت.

سافرت إلى القاهرة بعدما أكملت الثانوية العامة، أي في شهر يوليو عام ٢٠١٢، ومن ثم أصبحت أنا وعائشة مقربتين جدًّا، ومن ثم بدأت دراستي في الجامعة الأمريكية مع عائشة على الرغم من أنها تكبرني بسنة، ومع ذلك كنا نشارك يومنا سويًا، حتى في الجامعة في وقت الاستراحات تكون معي.

تعلقنا ببعض كثيرًا، وكانت نعم الأخت لي، وكنت أنا بالنسبة لها الأخت والأم والأب.

أرى في عينيك ملامح الضجر والتساؤل!

- هههههه، كيف علمتِ ذلك؟ كله من الفراسة أكيد...!

- إن ملامحك تكشفك صدقني، تظهر لي ما يدور في خلدك.

- حسنًا، ما دام ما في خلدي أنتِ تعرفينه فلا يوجد داعي لأن أخبئ عليكِ، وعليّ أن أكون صريحًا معكِ.

سؤالي هو، ما دخل هذا بالحادث الذي مررتِ به اليوم؟ أريد أن أعرف كيف تمّ الحادث...؟

- آه منكم أنتم يا رجال، لا يوجد لديكم صبر أبدًا، تحبون المضمون وكفى، ولكن نحن النساء نحب أن نعرف الموضوع وكافة تفاصيله حتى لا يفوتنا أيّ شيء.

أنا أحكي لك الموضوع بشكل مبسط للعلم؛ لذا تحلَّ بالصبر لأن الموضوع لا يمكن اختصاره أكثر من ذلك.

- حسنًا.. حسنًا يا أروما، سوف أتحلَّى بالصبر الذي لم أتحلَّ به من قبل.

-إذن لا تقاطعني؛ كي لا أنسى مجددًا.

كما قلت لك، أنا وعائشة كنا كل شيء لبعضنا و...

- تقولين كنا، إذًا عائشة ليست كل شيء لك حاليًا...؟

- ألم أقل لك لا تقاطعني...! قلت لك سوف أحكي كل شيء من تلقاء نفسي، لا يوجد داعٍ لكثرة الأسئلة.

على العموم، فَفي يومٍ مميز لن أنساه أبدًا ١٧-١-٢٠١٣، خرجت أنا وعائشة أمام الفيلا لكي نركب السيارة سويًا، كادت عائشة أن تدهس القط بالسيارة ولكني أوقفتها؛ لأنها كانت غير منتبهة، ونزلت مسرعةً لكي أرى القط المسكين الذي ظل مرتعبًا، وظل جسده يرتعش من الخوف، نزلت لكي أطمئن عليه وحملته بين يدي وأخذته في حضني وبدأت أهدئ من روعه، وبينما أنا أفعل ذلك تقدم نحوي شاب لكي يطمئن على القط؛ لأنه كان يشاهد الموقف من أمام فيلته، وفي الوقت ذاته خرجت عائشة من السيارة وطلبت مني صارخةً تتعجلني لكي أركب السيارة؛ لكيلا نتأخر على موعدنا في النادي.

قلت لها مهدئةً من روعها:

- حسنًا، سوف أركب السيارة حالًا.

نظرت لي عائشة باشمئزاز وأردفت:

- كيف تركبين السيارة ومعك هذا القط غير النظيف؟

- لا تقلقي سوف أهتم به فور وصولنا للنادي.

- لا، لن نأخذ قط شوارع معنا.

من ثم تدخَّل ذاك الشاب الوسيم، بالفعل هو من يستحق كلمة وسيم، شاب طويل وبشرته فاتحة تميل إلى البياض، ويكتسب بعض الحمرة لأنه يتسم ببعض الخجل والحياء، وهي صفة نادرة عند الرجال على الرغم من أن ديننا وصى الرجل والمرأة بأن يتَّسِما بالحياء، وأن الحياء خلق الإسلام، فَلم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة بأن يكون من طبع كليهما الحياء حيث ذكر الله في كتابه العزيز: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}.

الحياء غير مقتصر على النساء فقط، ولكنها عادات المجتمع الشرقي التي تبيح للرجل التبجُّح، بينما المرأة لم يكتب عليها سوى الكبت وكفى، على العموم هذا ليس موضوعنا، كانت ملامحه مميزة، عيونه واسعة ومكحلة طبيعيًا؛ وذلك بسبب رموشه الداكنة السميكة الطويلة، أعترف أن عينيه العسليتان المكحلتان أجمل من عينيّ أنا كبنت، بل أجمل من أعين البشر أجمعين.

أرى على وجهك ملامح عدم الراحة، أي كأن كلامي لا يعجبك.

- أرأيتِ؟ أنا لم أقاطعك ولكن كله من فراستك التي لا تريحك أبدًا، يعني إذا قلت ما يدور في خلدي لا يعجبك، وإذا سكتت وأسرت أفكاري في نفسي لا يعجبك أيضًا، آه منكن يا نساء، مهما حاول المرء أن يفعل لكُن المستحيل كي يرضيكن، فإنكن لا يهدأنَّ لكُن بالًا إلا وجدتن سببًا آخر لافتعال المشاكل.

- نحن لسنا كما تظن، وأنت تشعر بالغيرة من وصف الشاب؛ لأنه على قدرٍ عالٍ من الوسامة و....

- لا لست أشعر بالغيرة، يبدو أن فراستك لم تفلح هذه المرة، إن ما يدور في خلدي أن هذا الشاب هو خطيبك أو زوجك، فمن الحب ترين أنه الأجمل والأكثر تميزًا لا أكثر ولا أقل.

- كلا إنه حبيبي فقط، وبالفعل أراه الأجمل والأعظم في هذه الدنيا، ولكن هذا ليس مجرد مدح وثناء له، بل إنه بالفعل كذلك، على الرغم من جماله وحسن مظهره و...

- جمال الرجل لا يهم، للعلم فإن الرجل يمدح لأمورٍ أخرى، فالجمال للنساء...

- ما هذا الكلام...؟ من الذي قصر الجمال على النساء، إنها مجرد معتقدات شرقية لا أكثر ولا أقل، بينما الحقيقة أن الله جميل يحب الجمال، أظن عندما نذكر جمال نبينا محمد _ صلَّ الله عليه وسلم_ لا يقلل منه شيئًا بجانب عظمته في بقية الأمور

الأخرى، إن الجمال نعمة من نعم الله _عز وجل_ ومن ينعم عليه الله بهذه النعمة يجب أن يذكر فضل الله عليه بها ويحمد الله كثيرًا عليها، نبينا وصف بالجمال، ونبينا يوسف ذكر الله جماله في القرآن، إذًا وصف الرجل بالجمال إذا كان ينعم به حقًا ليس أمرًا يقلل من قدره ورجولته أبدًا، ولكن كل هذه أفكار ومعتقدات المجتمع الشرقي الذي يحب أن يميز بين الرجل والمرأة، لا يرتاحون إلا وإن قاموا بتصنيف كل شيء في الحياة هذا للرجال وهذا للنساء، ولكن في الحقيقة كل هذا خطأ تمامًا، لا يوجد شيء للنساء وآخر للرجال، بل الحقيقة أننا شركاء معًا في كل شيء.

- حسنًا، لقد أقنعتني بكلامك يا أروما، هيا أكملي ما حدث وسوف أحاول ألَّا يمر بخلدي أي فكرة؛ كي لا تقاطعي نفسك بنفسك بسبب أفكاري التي تجول في خاطري.

- كما قلت لك لم توافق عائشة أن نأخذ القط في السيارة؛ لأنها تشمئز من حيوانات الشوارع، وأنا كنت أريد هذا القط المسكين المذعور بشدة؛ لذا تدخَّل الشاب وأردف بصوت خفيض:

- أتسمحين لي يا آنسة أن أحل هذا الخلاف وآخذ أنا القط وأهتم به، وإذا أردتِ أن تأخذيه سوف أقابلك مساءً وأعطيه لكِ، أنا أعيش بالقرب من فيلتكم و...

صرخت بي عائشة مقاطعة لكلامه:

-هيا يا أروما لقد تأخرنا كثيرًا.

أعطيته القط مسرعةً، وقلت له بصوت عالٍ وأنا أهم بركوب السيارة:

-سوف أقابلك الساعة السابعة مساءً لكي آخذه منك.

ومن ثم أخرجت رأسي من السيارة التي بدأت تُحرّك في شعري البني الناعم الطويل الذي بدأ يتطاير في الهواء وأنا ألوّح لهذا الشاب وأتكلم بصوت عالٍ كي يسمعني:

-أشكرك كثيرًا.

ولكن في داخلي كنت أقول: "أشكرك أيها الوسيم".

ومن ثم شرعت عائشة في القيادة مسرعةً كي لا نتأخر على صديقاتنا في النادي، ولكن أثناء انتظارنا لإشارة المرور رأيت طفلًا صغيرًا عمره لا يتجاوز الست سنوات يبيع المناديل، الطفل جميل جدًّا رغم نظرته التي تكسر القلب، نظرة تعبر عن الذل والتعب والمعاناة التي يمرّ بها رغم صغر سنه، وجلده المسكين الذي حرقته الشمس، يمسك بيده الصغيرة علبة المناديل ويرميها بداخل أي سيارة تمرُّ جواره؛ كي يجبرهم بمحاولة منه أن يشتروا منه، ويربت بيده على صدره بحركة متتالية تدل على التوسل، ولكن الرجل بمنتهى القسوة ظل يمسك علبة المناديل في يده لا منه يعطيها للطفل ولا منه يأخذ العلبة هو ويعطيه المال، من ثم تغيَّر لون الإشارة فشرع الرجل بقيادة سيارته وما زال على نفس الحال يمسك بعلبة المناديل وهو رافع يده لأعلى كي لا يطولها الطفل الصغير، ومن ثم زاد سرعة سيارته وهو يتلذذ ويضحك على شكل الطفل الفقير

المسكين وهو يجري وراءه ويبكي، ومن ثم قام برمي العلبة بعيدًا للولد لكي يكتمل مشهد الذل، أخذ الفتى يجري في اتجاه علبة المناديل وهو يبكي بحرقة ويمسح دموعه بطريقة توحي بأنه يلعن الظروف التي جعلته يشعر بكافة مشاعر الأسى والمعاناة في سنه هذا.

يمسح دموعه وهو ينظر للأطفال في نفس سنه يمشون مع أهلهم ويأكلون الحلوى، لم يكن الطفل ينظر لهم نظرة حسد أبدًا، بل كان يتمنى أن يكون معهم ويشاطرهم اللعب والأكل.

طلبت من عائشة أن تتوقف حالًا، وخرجت من السيارة وجلست على الرصيف بجوار ذلك الطفل المنهار، وأنا أتحدث مع الطفل كنت أشير إلى عائشة كي تنتظرني قليلًا، ومن ثم وأنا أُغيِّر اتجاه نظري رأيت ذاك الشاب يقف أمام سيارته ويؤشر لي بشيء في يده، أشرت له أن يأتي، وعندما وصل جلس بجوار الطفل في الاتجاه الآخر، كنت أنا على يسار الطفل والشاب على يمينه، وأخذنا نتحدث مع الطفل ونهوّن عليه ما مرَّ به من موقف قاسٍ، ولكن الطفل فاجأني بأنه قال لي وهو يبكي بحرقة:

-أقسم أنني أمرّ بهذا الموقف يوميًا.

ومن ثم رد الشاب الوسيم وهو يُربِت على كتف الفتى الصغير:

-لا يهمك يا صغيري، ولكن قل لي ما اسمك يا بطل؟

ابتسم الفتى من لقب البطل الذي قاله له الشاب الوسيم، ومن ثم مسح دموعه وعلى ثغره رُسِمت ابتسامة طفولية بريئة وأردف:

- اسمي علي.

بدأ الشاب الوسيم يُربِت على كتف علي، ومن ثم نظر إليه نظرة حانية مليئة بالحب وقال:

- حسنًا، سوف أعوّضك عمَّا جرى لك اليوم، ما رأيك في أن تركب معي السيارة وأشتري لك ملابس ونذهب للملاهي...؟

فتح الطفل فاه من الدهشة، لا يُصدِّق نفسه وأردف:

-حقًا سوف تفعل لي كل هذا...؟

فقمت أنا بالردّ عليه وأكملت:

- صحيح سوف نفعل لك كل هذا وأنا أيضًا سوف آتي معكما، وسوف نتناول الغذاء سويًا.

من ثم همَّ الشاب الوسيم، واقفًا وجعل الطفل يهمّ بالنهوض واستطرد:

- ولكن بشرط يا بطل، أريد أن أسألك هل لديك مكان تعيش فيه...؟ هل لديك أسرة؟

- نعم لديّ أسرة، وأبي هو من أعطى لي تلك المناديل كي أبيعها، لأن أبي لا يعمل إلا كل حين وحين، وأحيانًا يبيع مناديل مثلي.

- هل لديك إخوة...؟

- لديّ خمسة إخوة، ثلاثة أكبر مني، واثنين أصغر مني سنًا.

نظرت بحسرة إلى الولد ومن ثم نظرت إلى الشاب وأردفت:

- مصيبة كبيرة يفعلها الفقراء وهي كثرة الإنجاب، هم يعلمون جيدًا أن ما لديهم من مال لن يُقِيم صلب شخص واحد، وعلى الرغم من ذلك لا يكتفون بأنهم فقط يعانون من الفقر والظلم في هذه الدنيا إلا إنهم ينجبون أطفالًا آخرين لكي يعانوا من مثل ما عانوا منه، لا أقول أن الفقراء ليس لهم حق أن ينجبوا، أعترف أن الذرية نعمة عظيمة ينعم الله بها على بعض الناس، ولكن فكر في من تنجبه إلى الدنيا، يجب على الفقراء ألّا يفكروا في ذاتهم ولذاتهم وفرحتهم بالذرية وكفى، عليهم أن يفكروا فيمن أنجبوهم إلى هذه الدنيا، أن ينجبوا واحد أو اثنين كأقصى عدد؛ لكي يكفيهم ما يجمعه الوالدين من مال لكي يُؤمنا لهم حياة أفضل من التي عاشاها هما.

- كلامك صحيح يا...

- أروما، وأنت...؟

- اسم جميل وأنتِ جميلة مثل روما، وأنا اسمي كريم.

- ولأول مرة أحد يسمع اسمي ولا يتساءل ما هذا الاسم...!

- آه نسيت، منذ قليل عندما تقابلنا من أجل القط وأنتِ كنتِ تُأشرين لي فسقطت منك أسورتك من دون أن تشعري، ولقد التقطها مسرعًا لكي ألحق بك وأعطيكِ إياها.

- لمَ العجلة؟ في المساء كنت سوف أقابلك من أجل القط.

- قلت لك أنتِ مثل روما كل الطرق تؤدي إليكِ، الصدفة جمعتني بكِ اليوم مرتين، ولقد أسرت بالفعل بقلبك، أنا لا يهمني في البشر المظهر ولكني أنظر إلى قلوبهم وشخصياتهم وخباياهم، وعلى الرغم من ذلك أنتِ جميلة قلبًا وقالبًا، وأنتِ بالفعل لكِ من اسمك نصيب.

- كيف...؟

فجأة قاطعت عائشة كلامنا صارخة:

- أجننتِ يا أروما كل هذا أنتظرك وأنتِ تتحدثين مع ابن الشوارع هذا...

- لا تقولي عليه هكذا، إنه فتى مسكين...

- ها، سوف تأتين معي أم لا...؟

- لا لقد غيرت برنامج يومي، سوف آخذ الطفل وأشتري له ملابس ونذهب معه إلى الملاهي أنا وكريم.

رسم على وجه عائشة ملامح استغراب ورفعت شفتها العليا على جانب فمها الأيسر وأردفت:

- كريم من...؟

- آه نسيت أن أعرفك، هذا كريم، كريم هذه عائشة ابنة عمي وأختي وصديقتي.

نظرت لي والغيرة ملأت قلبها بعد أن اعتادت أن أيّ أمر تقوله لي أنفذه في الوقت ذاته، واليوم تأخرت عليها والسبب كلامي مع كريم ولقائي به، ومن ثم سألتني:

- من كريم هذا كي تتأخري عليّ هكذا...؟

- إنه الشاب الذي قابلناه منذ قليل في حادث القط و...

ومن ثم قاطعتني صارخة غاضبة بسبب طبعها الحاد واستطردت:

- أعلم أني رأيته، ولكن المقصود هل يستحق أن تتأخري عليّ هكذا...؟

- لم أتأخر عليكِ بسببه، أنا نزلت من أجل الطفل، وسوف أقضي اليوم مع هذا الطفل، يمكنك أن تقضي يومًا مختلفًا مع هذا الطفل بدلًا من أصدقاء النادي فلا يوجد جديد، صدقيني إنها مغامرة جديدة، وسوف نأخذ ثوابًا كبيرًا جدًا لأننا سوف نسعد إنسان.

- لا، لن آتي معكِ يا أروما.

- ولكني دائمًا أشاركك ما تحبين، لمَ لا تشاركيني ما أحب...؟

- لا أحب أن تغيري ما اعتدته منكِ.

- لم أتغير يا عائشة لم تأتِ فرصة لكي أظهر لكِ ما أحب، هيا كفي عن الأنانية وتعالي معنا، سيكون يومًا ممتعًا.

أصرَّت عائشة على رأيها ونظرت لي نظرة تحدٍّ بأني سوف أستسلم وآتي معها ومن ثم قالت لي:

-لن آتي معكِ يا أروما، أنتِ من سوف تأتين معي.

ولأول مرة أرفض لها طلبًا من وقت مجيئي للقاهرة، فقلت لها:

- لا يا عائشة يجب أن نكون شركاء، أحيانًا أشاركك ما تحبين وأحيانا تشاركينني ما أحب، لا يجب أن يتسلط أحد على الآخر.

لم تعِرني انتباهها بعدما نظرت لي نظرة كلها قسوة أول مرة أراها منها وأدارت لي ظهرها وذهبت لكي تركب سيارتها ورحلت.

تقدم إليّ كريم من جديد بعدما أخذ الطفل بعيدًا عندما اشتد الحديث بيني وبين عائشة ومن ثم قال لي:

- أعتذر لكِ يا آنسة أروما عما سببته لك من مشكلة أو سوء تفاهم مع قريبتك.

- لا يهم، سوف أصلح الأمر فيما بعد، ها أين كنا في حديثنا...؟

- كنت أقول إني لحقتك كي أعطيكِ الأسورة خاصتك... كما قلت لكِ إن الصدفة جمعتني بكِ مرتين.

- تشرفت بمعرفتك، أنت إنسان ذو قلب رحيم.

- كما قلت لكِ أنتِ تشبهين روما، جميلة مثلها وكل الطرق تؤدي إليكِ، أقسم أنني لم أكن أرغب في العيش في هذا المجمع السكني إلا ومشيئة الله قد غيّرت وعدلت عن رأيي وأتيت إلى

هنا وعلى فور خروجي من الفيلا التي كنت ما زلت أعاينها رأيت الموقف الذي حدث منذ قليل، عندما رأيتك عجبتني روحك الرؤوفة الرحومة وملامحك المميزة، ظللت أنظر إليكِ من بعيد مستغربًا ملامحك، أقول في قرارة نفسي: " أهي أجنبية أم عربية...؟ " ما هذا اللون البرونزي الجميل، وما هذا الشعر الكستنائي الحرير، وما هاتان العينان الواسعتان الزرقاوان اللتان تسرح وتعوم وتغوص بهما، تشبهان لون الماء في جزر المالديف.

اعذريني على الوصف ولكني لا أعرف أن أصف جيدًا، ولكنني أحب البحر كثيرًا، يشعرني باسترخاء وراحة نفسية ليس لها حدود، وأنفك الصغير، وشفاهك القرمزية الممتلئة، عيونك وشفاهك، ولون بشرتك عربية بينما لون شعرك ولون عينيك وأنفك الصغير أقول إنك أجنبية، أنتِ مميزة بالفعل.

- أنت تفهم في الفراسة، لقد نجحت بتفرُّس ملامحي بأن تعرف أن نصفي عربي ونصفي أجنبي.

- حقًا، لم أكن أتوقع أن تخميني صحيح.

- لا بل صحيح تمامًا، حتى أنا مثلك أحب أن أتفرَّس من أقابلهم وأحاول أن أخمن بعض الأمور في خفاياهم، أنا بالفعل نصفي مصري ونصفي إيطالي.

- الأب مصري والأم إيطالية أكيد.

- صحيح، ولكن أيمكننا أن نقطع حديثنا الآن ونؤجله للمساء، هيا نبدأ رحلتنا مع الفتى المسكين...

- ليس الفتى فقط بل والقط سيكون معنا.

- أهو معك...؟

- نعم، لقد أخذته معي في سيارتي لكي ألحق بك لكي أعطيك الأسورة.

من ثم تذكر وضرب كف يده على جبهته متذكرًا وأردف:

- آه الأسورة، لقد نسيت ثانيةً، تفضلي، وللعلم أعجبتني كثيرًا.

- إنها من أمي، وأمي قد أخذتها من جدتي "ميليسا".

ومن ثم أمسك بِيد الفتى الصغير وسأل وهو يداعب وجنتي الفتى الأسمر الجميل:

-من أين تحب أن نبدأ؟

-أريد أن آكل بيتزا من ذاك المحل، إني أرى صورتها دائمًا، وكم مرة اشتهيت أن آكلها ولكن ليس بمقدوري شراءها، وفي مرة حاولت أن أطلب من شاب يعمل في المطعم بدلًا من أن يعطيني أو يرفض بهدوء نهرنِ وزجَّ بي خارج المطعم بقسوة.

نظر لي وعيناه العسليتان تضحكان لي وقال:

- هيا بنا نأكل بيتزا، وبعد ذلك نذهب لشراء الملابس وبعدها نذهب للملاهي.

ها... ما رأيك يا أروما؟

- جميل جدًّا، أتفق معك، ولكن قبل أن نذهب إلى الملاهي أحب أن أعود إلى داري، أنا آخذ القط إلى بيتي وأحمِّمه وأجعله نظيفًا، وأنت تأخذ الفتى إلى صالون الحلاقة وتطلب منه أن يستحم لكي يرتدي الملابس الجديدة ويحصل على حلاقة رأس جديدة ومن ثم نتقابل في الملاهي ليلًا.

- حسنًا، هيا نبدأ.

دخل الفتي المسكين مع كريم إلى محل البيتزا وكان الفتى ينظر للشاب الذي يتلقى الطلبات في تشفٍّ وكأنه يقول في قرارة نفسه:

- ها أنا ذا لقد جئت إليك، وفي هذه المرة لا أتوسل إليك كي تعطيني قطعة مقابل مناديل، ها أنا قد جئت وسوف أطلب ما أشاء.

أخذ كريم الفتى وحمله على ذراعه لكي يكون بطوله وطلب منه أن يختار:

- ها، هيا يا بطل قل لي ماذا ستختار من كل تلك الصور التي أمامك في الشاشة...؟

- نظر الفتى إلى الشاشة وسال لعابه لما يراه على الشاشة من بيتزا شهية، ومن ثم غمغم وهو يبلل شفتيه من الجوع والتلذذ لما أمامه:

- صراحة أيها الشاب الكريم، إني أريدها كلها.

- هههه، حسنًا، إن هذا يومك فلتطلب ما تشاء.

كان كريم يعلم جيدًا أن الفتى لن يتمكن من إكمال كل البيتزا التي طلبها ولكن قرر ألَّا يرفض له طلبًا وقال في قرارة نفسه:

فليأكل ما يشاء والباقي سوف أرسله لأهله مساءً.

قبل أن يشرع الفتى الأسمر بالأكل أوقفته مسرعةً، ومن ثم أخذت أمسح وجهه ويديه بالمناديل المعقمة، أقسم أن المناديل تحولت إلى اللون البني الغامق من كثرة التراب والعفرة التي تغطي الفتى المسكين.

وبالفعل لم ننسَ نصيب القط من البيتزا كذلك.

ومن ثم فعلنا ما خططنا له سواء أكل البيتزا وشراء الملابس والتنظيف والاستمتاع باللعب في الملاهي، كم هو جميل أن يعيد الشخص طفولته من حينٍ إلى آخر بالذهاب إلى الملاهي، إن الملاهي تمكننا من التخلص من الضغوط التي نمرّ بها في حياتنا سواء ضغوط العمل أو الدراسة؛ لذا علينا أن نستعيد طفولتنا بالذهاب إلى الملاهي أو مشاهدة الرسوم المتحركة، هذه الأمور لا تقلل من قدرنا شيئًا، ولكنها تساعدنا لكي نكون أصحاء نفسيًا، يجب أن نستعيد طفولتنا من حين لآخر لكي نفرغ ما بداخلنا من شحنات الحياة السلبية، ولا أقدر أن أصف لك شعور أن تسعد إنسانًا، كلما سمحت لك فرصة أن تساعد إنسانًا أو تسعده فلتفعل ذلك.

وبعدما انتهينا من رحلتنا مع الفتى طلبنا منه أن يقول لنا عنوان بيته وأوصلناه إلى داره، طرقنا الباب ففتحت الأم، وعندما

نظرت الأم إلى ابنها فرحت به كثيرًا على الرغم من إنها للوهلة الأولى لم تتعرف عليه وكأنها تتساءل في قرارة نفسها:

-من هذا الفتى الجميل النظيف، إنه ليس ابني.

ومن ثم طلب كريم أن يقابل زوجها في أمر ضروري، ومن ثم شرعنا في الحديث وحكينا لهما ما فعلناه اليوم مع ابنهما، ومن ثم عرض كريم فرصة عمل لأب الفتى واستطرد:

-إن ابنك قد حكى لي عنك، وأنك لا تعمل بشكل مستمر لذا الولد خرج لكي يعمل؛ لذا أنا أعرض عليك فرصة عمل ولكن بشرط.

نظر الرجل بلهفة والدموع تتلألأ في عينه وأردف مسرعًا:

- تأمرني يا سعادة البيك.

- سوف تعمل في المصنع عندي والمرتب يكفي أسرتك؛ لذا لا داعي بأن يعمل أحد من أولادك، والشرط هو أن تتعهد لي أن يتعلموا، وسوف أرسل أحد من الموظفين لديّ لكي يتأكد من ذلك بصفة دورية.

- حسنًا يا باشا، أنا تحت أمرك.

- غدًا تقدِم إلى هذا العنوان وسوف يتم تعينك مباشرةً.

أخذ الرجل ينظر إلى زوجته وإلينا لا يصدق نفسه، لا يعلم كيف حدث كل ذلك فجأة من حيث لا يحتسب، ولكنه نظر لأعلى وأردف بصوت هامس والدموع تنزل من عينيه:

-الحمد لله...

ومن ثم مسح دموعه وأردف:

- أنا دعوت الله كثيرًا في صلاتي، وبالفعل استجاب الله لي وسبَّب لي الأسباب ورزقني من حيث لا أحتسب.

- حسنًا، وإذا كنت تعرف أحدًا يحتاج إلى عمل أنا سوف أساعده.

ومن ثم همَّ كريم بالنهوض وأنا لحقت به وكان الرجل خلفنا لا يكفّ عن الدعاء لنا.

ومن ثم عندما جئنا لكي نركب السيارة، وجدت الفتى الصغير يأتي إليّ مسرعًا وعانقني بشدة وشكرني وكذلك فعل لكريم، بعد ذلك فتح كريم باب السيارة وأخرج علب البيتزا، ونادى على الفتى الأسمر:

-هِااي، يا بطل، لقد نسيت البيتزا.

فأخذها الولد فرحًا بها ومن ثم رحلنا.

كان هذا أول يوم عرفت به كريم، وبمجرد معرفتي به لقد بدأت حياتي تتغير مع عائشة، لم تعد كما كانت معي، هي معي أغلب اليوم ولكن المعاملة ليست كما كانت.

ومن ثم أخذ كريم يتقرَّب لي أكثر فأكثر إلى أن أصبح ثالثنا في أغلب الأوقات، بدأت عائشة تعتاد على كريم، بل وأعجبت به

وصارحتني بذلك، ولكنها كانت تفتعل الكثير من المشاكل معي بسبب اهتمامه بي أنا لا هي.

وما ذنبي...؟ أنا لم أبادله أبدًا المشاعر التي يحاول جاهدًا أن يظهرها لي؛ وذلك احترامًا لعائشة ومشاعرها تجاهه.

ظللنا سنة على هذا الحال نحن الثلاثة مقربين من بعضنا البعض، إلى أن جاء يوم السابع عشر من شهر يوليو عام٢٠١٤ ...

كنا سويًا أنا وكريم وعائشة في الساحل الشمالي نقضي عطلة الصيف، وفجأة ونحن جالسون على الشاطئ قال لنا:

-أنا أحب فتاة بشدة وأريد أن أعترف لها بحبي.

طار قلب عائشة فرحًا وقد ظنَّت أن كريم قد فهم تلميحاتها ومشاعرها وكثرة اتصالاتها به أخيرًا، وكانت متأكدة ودائمًا تقول لي:

-إنه لن يجد أفضل مني بالتأكيد، فأنا ذات مستوى تعليمي واجتماعي عالٍ جدًّا، ولو على الجمال فلن يجد أجمل مني في العالم كله.

عائشة بالفعل كانت مغرورة وعندها تقدير للذات مبالغ فيه بشدة، كانت تقول لي هذا الكلام وهي تقف أمام المرآة وهي تداعب خصلات شعرها البني الناعم المموج الطويل، تنظر إلى نفسها وتقول لي:

-أنا أشبه الغزالة في كل شيء، في قوامها، في عينيها، ولونها، باختصار.. أنا مثل الغزالة في جمالها.

كنت أنظر لها بحب وأكدت على كلامها ضاحكةً:

- أنتِ بالفعل كالغزال في جمالها، وتشبهين الزرافة في طولها.

نظرت لي بغضبٍ، ومن ثم أردفت:

- أفضل من أن أكون عقلة الإصبع.

دعني أكمل لك ما حدث في ذلك اليوم على الشاطئ، قال لنا كريم بأنه يريد أن يعترف لها الليلة.

لذا اتفقنا سويًا أن نتقابل مساءً عند كافية مميز أمام الشاطئ، وأنا قلت لكريم وأنا أغمز بعيني اليسرى:

-أنا متلهفة جدًّا لكي أعرف من هي سعيدة الحظ التي سرقت قلبك يا صديقي الصدوق.

ضحك كريم ضحكته الخجولة وهو يخبئ عينيه بيديه من الخجل وأردف وهو يحاول أن يتمالك نفسه من الخجل:

- أريد أن أقول لكِ شيئًا، أن من أحبها أنتِ...

ومن ثم سكت قليلًا وأكمل:

- أنتِ... أاااا... أان... أنتِ تعرفينها جيدًا، إنها قريبة منك جدًّا.

عندما سمعت عائشة هذا الكلام... هشَّ وجهها وانفرجت أساريره وقالت في قرارة نفسها:

-هكذا أنا تأكدت تمامًا أن ظنوني صحيحة، كريم يبادلني نفس الشعور إذن.

ومن ثم سحبتني من مرفقي وهمست لي:

-هيا نعود إلى الشاليه لكي نستعد للقاء المساء، إنه يوم مميز لي، يجب أن أكون في أفضل صورة.

أنا سعدت كثيرًا لأني رأيت السعادة تغمر عائشة، بالفعل أنا أحبها وأتمنى لها السعادة وأفكر في سعادتها بدلًا من سعادتي من كثرة حبي لها.

من ثم تأهبت أنا وعائشة لكي نذهب لشراء فستان جديد، هي تعتبر أن هذا يوم مميز لها؛ لذا بسبب إنه يوم ليس له مثيل بالنسبة لها تشعر بأنها ليس لديها ما يناسبها لكي ترتديه الليلة، حاولت أن أقنعها أن لديها الكثير من الفساتين، ولكنها أقسمت بأن ليس لديها ما ترتديه الليلة.

-لمَ تضحك يا شُبْرَا الآن...؟

- لم أقصد أن أقاطعك، ولكن لا أفهم! لمَ هذه النقطة تعاني منها البنات، لمَ دائمًا يعانين من شهوة الشراء وهوس الاقتناء، لمِ لا ينظرن لما في أيديهن، لمَ دائمًا ينظرن إلى ما لا يمتلكن...؟

- أنت الآن قلت كلمة صحيحة بأن هذه الحالة من حالات الشهوة بالفعل، شهوة الشراء، وأيّ شهوة في حياتنا يجب أن نتحكم بها وألَّا تتحكم بنا هي، وشهوة الشراء لا تقتصر فقط على النساء، ولكن متطلبات النساء في شهوة الشراء تختلف بعض الشيء

عن متطلبات شهوة الشراء عند الرجال، وكلاهما خطأ إذا لم يجمحا هذه الشهوة.

وها أنا أمامك، ألست بنتًا...؟

نظر لي شُبْرَا نظرة إعجاب وقد رسم على ثغره ابتسامة تنبع من إعجابٍ كامنٍ في داخله وأردف:

- تسألينَنِي أنكِ بنت أم لا...؟

الحقيقة... أنتِ لست بنت، بل أنتِ كما يقولون "ست البنات".

- ست البنات، إنه تشبيه شبراويّ بعض الشيء، ولكني أعذرك يا شبرا..

- أقصد أنتِ أجمل البنات في كل شيء، أنتِ ليس لكِ مثيل يا أروما.

- حسنًا يا شُبْرَا، أشكرك على هذا الثناء النابع من مجاملة ابن البلد، ولكن اسمح لي أن أكمل لك.

لقد اشترت عائشة فستان أحمر فاقع اللون، قلت لها أني أمقت حقًا هذا اللون المستفز ولكنها أصرَّت عليه، ولكن بعد ذلك ذهبت إلى صالون التجميل، قلت لها لا داعي لكل هذا، إن البساطة في بعض الأحيان تكون أفضل من التكلُّف.

ولكنها كالعادة لم تعِر انتباهها لرأيي، لا أكذب عليك... هي دائمًا تسألني عن رأيي في كل شيء هي تفعله، ولكن هي تسمعه فقط

من أذن ومثل ما دخل في هذه الأذن يخرج من الأذن الأخرى، ومن ثم تفعل هي ما تشاء.

هي ديمقراطية في سماحها لي بقول رأيي وتعطيني كامل الحرية في ذلك، وهي ديكتاتورية كذلك لأنها في النهاية تنفذ أراءها فقط وتريد من غيرها أن ينفذ أوامرها وكفى.

وطبعًا هي اكتسبت هذا الطبع لأنها الوحيدة لأبيها وأمها، اعتادت منذ طفولتها أن ما يخطر في بالها يكون بين يديها وأن ما تقوله يتم تنفيذه في نفس اللحظة، هي دلوعة أبيها بالفعل.

- ولمَ ليست دلوعة أمها أيضًا؟

- لأن حنان ليست أمها التي أنجبتها، إن أمها فاطمة، ولقد ماتت بعد أن ولدتها؛ لذا بعد سنة من وفاتها قرر عمي رؤوف أن يتزوج لكي يجد من يهتم بابنته خاصة أنه كثير السفر.

كانت حنان شابة جميلة رقيقة طيبة القلب وأحبت عائشة، وعائشة قد أحبتها كذلك، ولكن في بعض الأحيان كانت تحاول حنان أن تعلمها أنه يجب ألا تنفذ لها طلباتها لأن هذا سيكون في مصلحتها ولكي تربيها تربية جيدة ولكنها كانت تشتكي لأبيها، وبصراحة كانت علاقة عمي رؤوف بزوجته علاقة سيئة جدًّا، هو يعتبرها أنها موجودة فقط لكي ترعى عائشة وتنفذ أوامرها وتجعلها سعيدة وكفى.

اضطرت زوجة عمي أن توافق أن تدلع عائشة بناءً على رغبة زوجها، ولكنها هي أيضًا كان لها متطلبات، تحتاج إلى الحب والاهتمام، تريد أن يشاركها الحب الذي يعطيه لابنته فقط.

ولكنه لم يشعر أبدًا بها، وإذا بدأت في طلب حقها منها يزجرها ويصفها بأنها تفتعل المشاكل.

أقسم أن حنان لم تكن أبدًا من هذا النوع من النساء اللاتي يحببن النكد، بل كانت مثل الإسفنجة معه، تمتص قسوته وجفاءه وإهماله لها بسبب أنها تحبه، وكانت تدعو الله أن يتغير ويحبها كذلك.

ولكن مع مرور السنين فإن البعد والجفاء قد زادا أكثر، وتلك النار التي كانت بداخلها تجاهه قد انطفأت، سواء نار الحب أو نار اشتياقها له، وكل ذلك بسبب برودة أعصابه التي قد قامت بإخماد تلك النار المشتعلة، وروحها تحوَّلت إلى رماد وهي في عز شبابها.

اعتادت مع الوقت ألا تدخل في نقاش مع عمي رؤوف، قررت أن تسمع لأوامره وكفى، وعندما تتعرض للإهانة منه أن تسكت وألا تناقشه، ولكن كل هذه الأحزان المكبوتة بداخلها جعلتها تتأذّى نفسيًا، وفي يوم من الأيام نامت مثل ما تنام كل يوم وحيدة حزينة، استيقظت عائشة ولكن في هذا اليوم كانت قد استيقظت بمفردها وهذا على غير العادة؛ لأن أمها حنان التي بالفعل لها من اسمها نصيب كبير جدًّا لأن قلبها ينبع ويفيض بحنان لا مثيل له، أقسم أن لو كانت عائشة أمها التي ولدتها "فاطمة" إذا كانت ما زالت على قيد الحياة ما كانت سوف تعاملها بتلك المعاملة المليئة بالحب التي عاملتها بها حنان.

دخلت عائشة غرفة حنان فوجدتها مستلقية على سريرها، ولكن عائشة استغربت وقالت في قرارة نفسها:

-"لمَ هي نائمة لهذا الوقت؟".

لذا قررت أن تقترب منها كي تحاول ايقاظها، ولكن عندما اقتربت منها لم ترَ صدر حنان يعلو ويهبط.

من ثم قالت: "إن هذه مجرد أوهام يمكن أن يكون تنفسها ضعيفًا بعض الشيء، من ثم قررت أن تضع سبابتها أسفل أنفها كي تشعر بتنفسها، ولكنها لم تشعر بشيء قط! وبدأت تتحسس نبضها ولا يوجد نبض أيضًا.

كانت هذه صدمة بالنسبة لعائشة، أن تنكسر ولأول مرة، أن تتعلق بشيء أو بشخص ويضيع من يدها، لذا كنت أنا البديل الذي حلّ محل حنان، من يهتم بها ويعطيها الحب والحنان اللذان تحتاج إليهما، وينفذ لها طلباتها أو تنفذ سلطتها وأوامرها عليه، هذا يجعلها مرتاحة وسعيدة، وطبعًا هذا الطبع اكتسبته من أبيها الذي لا يفكر إلا في نفسه وكفى.

دعني أكمل لك ما حدث في ذاك اليوم...

بعدما أكملت عائشة مغامرتها في الصالون واكتفت من كمِّ الرسومات والدهانات الهائلة التي على وجهها، ارتدت فستانها الأحمر الفاقع اللون القصير اللامع، وأنا اكتفيت أن أرتدي فستانًا أبيض واسعًا يتناسب مع جو الصيف.

سرت أنا وعائشة ونحن في طريقنا إلى الكافية، وجدنا الطريق بالفعل مفروشًا بالورود ويوجد زينة على الكافية من الخارج، ويوجد حرفين باللغة الإنجليزية A، K، طبعًا أنا وعائشة كلانا أسماءنا تبدأ بنفس الحرف في اللغة الإنجليزية، ولكن عندما رأت عائشة تلك الزينة من الخارج لقد طارت فرحًا وصارت تقفز في الهواء من كثرة سعادتها.

عندما أوشكنا على الاقتراب من الكافية وجدنا كريم أمامنا ويرتدي بذلة رسمية، لقد كان في أبهى حالة بالفعل، ولكني تساءلت في قرارة نفسي:

-لمَ كل هذا التكلّف؟ هي ترتدي فستان مبالغ فيه وهو يرتدي بذلة!

ولكن كريم قطع شرودي عندما استأذننا وهمّ بالنهوض، في ذلك الوقت أنا كنت سارحة في ديكور الكافية الذي تغيّر تمامًا وكنت منسجمة بالفعل مع تلك الأغاني الرومانسية، بينما عائشة لم تكن تبالي بالأغاني لأن حلم حياتها وانتصار من انتصاراتها سوف يتحقق الآن.

وللمرة الثانية يقطع كريم شرودي بصوته وهو يتكلم في مكبر الصوت _الميكروفون_ وهو يحاول أن يتمالك أعصابه ويتكلم:

-احم... احم، هذا اليوم مميز بالفعل، هو مميز كرقم ١٧-٧ ومميز لأنه سوف يسجل لي حدثًا مهمًا في حياتي، وأحببت أن يشاركني الجميع فرحتي في هذا اليوم.

اليوم سوف أعترف لمن سرقت قلبي مني أني أحبها جدًّا وأني أهيم بها حبًا من أول يوم رأيتها.

لا أستطيع أن أرتب كلماتي، ولا أستطيع أن أتذكر ما ظللت طوال الليل واليوم في التدرب على قوله.

هنا انفجر أصدقاؤنا ضاحكين من شدة خجل كريم، فخبأ وجهه ضاحكًا كذلك، ومن ثم علا صوت الجميع قائلين:

-هيا قل لنا من هي...؟ من هي...؟

تنفس كريم الصعداء وحاول أن يتمالك نفسه وفجأة بدأ يقترب مني أنا وعائشة، ومن ثم مدّ يده تجاهنا، ومن ثم أردف:

- أنا أحب صاحبة أطيب قلب وأجمل بنت في العالم.

ومن ثم بدأ قلب عائشة في التوتر عندما رأت عين كريم تتركز عليّ أنا بالتحديد، ثم مد يده وأمسك يدي وسحبني وأنا مسلوبة الإرادة إلى المسرح، ومن ثم انحنى لي وقبَّل يدي ومن ثم ارتكز على إحدى ركبتيه أرضًا، وأخرج علبة بها خاتمي ذا، خاتم من الألماس، وأردف:

- أنا أحبك يا أروما، ولا أستطيع أن أتخيّل الحياة من دونك؛ لذا أطلب منك أن تكوني شريكة حياتي... أتوافقين أن تكوني حبيبتي ورفيقة دربي؟

حينها شعرت أن عقلي قد توقف عن التفكير، ولم أعد أسمع أيّ صوت من حولي، لا يدور بخلدي سوى عائشة التي أراها هناك منكسرة وتنظر لي نظرة توعُّد وانتقام.

ثم قطع كريم شرودي وهو يردد طلبه مني ثانية...:

- أتوافقين أن تكوني حبيبتي...؟

وأنا ما زلت أفكر في عائشة بأني سوف أكسر قلبها إذا وافقت على طلب كريم، وفي الوقت نفسه إذا رفضت كريم أمام أصدقائنا بهذه الطريقة سوف أكسره وأحرجه أمام الجميع.

وفي الوقت نفسه أنا لا أمقت كريم وأنا أحبه حقًا ولكن ليس كما يظن هو، قد تكون مشاعر عائشة تجاهه هي التي جعلتني لا أتصوره حبيبًا.

ولكن في النهاية قررت بعدما فكرت قليلًا، أن يكون اثنان سعداء أفضل من شخص واحد سعيد، نظرت لعائشة ومن ثم نظرت لكريم وقلت له:

- موافقة...

حينها لم يتحكّم كريم في نفسه إلا وهمَّ ناهضًا من مكانه وعانقني بشدَّة.

وبعدها قال أمام الجميع:

-الآن أنا أملك الدنيا وما فيها، الآن صارت الدنيا بين يديّ، ومن ثم ضرب رأسه بكف يده وأردف:

-آه نسيت أن ألبسك الخاتم.

بدأ الجميع في الضحك على توتر كريم، وقال:

- سوف ارتكز مرة أخرى على إحدى ركبتي كي ألبسك الخاتم يا سيدتي ويا ملكتي.

ومن ثم بدأ إطلاق الألعاب النارية في الهواء وعلت الأغاني وبدأ الاحتفال.

مع كل صوت طلقة من طلقات الألعاب النارية كنت أشعر أنها طلقة تصيب قلب عائشة، ومن ثم همت عائشة بالرحيل، طلبت من كريم أن الحق بعائشة، ولكنه رفض وقال لي:

- إن هذا اليوم يومنا ومميز لنا، وهي سوف تأتي مرة أخرى، قد تكون خرجت لعمل مكالمة لأن الجو صاخب هنا.

ومن ثمّ لم أشعر بالوقت، وكان أسعد يوم في حياتي أن يكون نصيبي كريم، ذاك الشاب الجميل قلبًا وقالبًا والذي يشبهني في أمور كثيرة.

وعندما أكملنا الاحتفال كان الوقت قد تأخّر جدًّا، أوصلني كريم إلى غرفتي في الفندق ولكني فوجئت بأن عائشة ليست في الغرفة، فَهرعت إلى كريم الذي كان يهمّ بدخول غرفته الموجودة في آخر الطابق الذي به غرفتي، وقلت له وأنا قلقة:

- كريم، عائشة ليست بالغرفة...

عندما رأى ملامح القلق على وجهي أخذ يُربت على كتفي مهدئًا لي وأردف:

- قد تكون على الشاطئ، لا تقلقي.

- لا بل هي رحلت، لقد رأيت الخزانة مفتوحة.

- حسنًا، ماذا سوف تفعلين الآن؟

- ها أنا أحاول أن أتصل بها ولكن هاتفها مغلق.

- حسنًا، أنا أرى أنه يجب عليكِ أن ترتاحي الآن وتخلدي للنوم وغدًا سوف نحاول أن نصل إليها.

- لا، لا أريد أن أنام، أنا أريد أن أسافر إلى القاهرة حالًا.

- حسنًا، وأنا لن أتركك وحدك، سوف أجهّز حقيبتي وآتي معكِ حالًا، على الرغم من أني قد كنت أرغب بقضاء بضعة أيام معكِ هنا.

- لا يوجد داعٍ لهذا الكلام يا كريم، المهم أن نطمئن على عائشة.

جهزنا حقائبنا، وسافرنا إلى القاهرة، هناك وجدنا عائشة وكانت في منتهى القوة والتماسك، لم تكن منكسرة كما رأيتها في الحفل، بل كانت تتمتع بكبرياء ورأسها كان لأعلى وهي تتكلم معنا، وكأنها لا ترانا أمامها ولا تبالي بنا.

سألتها وأنا أعانقها:

-لمَ رحلتِ من دون أن تخبريني.

ولكني فوجئت أنها لم تعانقني وبعدت عني، ثم جلست على الكرسي ووضعت ساق فوق الأخرى وأردفت:

-ولمَ أقول لك، أنا لا أستأذن أبي في شيء، أتريدينني أن أستأذنك أنتِ؟

لقد ذهلت من أسلوبها معي، لقد أحرجتني أمام كريم؛ لذا قررت أن أرحل من بيتها ورجعت إلى أهلي في مطروح وقررت أني سوف أعود إلى القاهرة مرة أخرى عندما تبدأ الدراسة من جديد.

صدقني لم تحاول عائشة أن تتمسك بي للحظة، وكأنها لا تراني أرحل من حياتها.

- إنها لَخيبة أمل كبيرة يا أروما.

- صدقت يا شُبْرَا، كانت كسرة بالنسبة لي بِتخلِّيها عني، لم أتوقع أن يكون رد فعلها هكذا.

- شعور مؤلم جدًّا أن تشعر أنك ليس لديك مكانة في حياة شخص أنت تهديه يومك ومشاعرك في سبيل راحته وفرحته وكفى.

شعور صعب عندما تتمنى الخير والسعادة لغيرك دائمًا، وعندما يحين دورك لا تجد من يريد السعادة لك حتى ولو لمرَّة واحدة.

- سوف أكمل لك يا شُبْرَا، لذا أنصت إليّ.

ولكن شُبْرَا قال لي:

- ما أجمل حديثك تحت قبة السماء المزينة بالنجوم، تلك السماء التي يزينها البدر في تمامه الآن، ولكني لا أشعر الليلة بجماله لأول مرَّة؛ لأنك أمامي يا أروما.

- أصبحت شاعرًا يا شُبْرَا، أنت لا تعرفني إلا من لحظات، لمَ تقول هكذا كلام لي؟

- لا إله إلا الله، أنا متعجب منكِ حقًا، هل قلت لكِ أنني أحبك! أنا فقط أقول إن جمال القمر الذي أحب أن أتأمل به لا يُذكر بجوار جمالك، وهذه حقيقة وليست مجاملة.

- حسنًا، دعني أكمل لك، أشعر بأن أحد منَّا سوف يفيق من العملية قبل أن نكمل حديثنا.

- أكملي، وأنا كلِّي آذان صاغية إليكِ.

كما قلت لك رجعت إلى أهلي في مطروح، كنت أقضي أغلب يومي أمام البحر أتأمل به وأشكي له همومي وأتحدث معه بما يدور في خلدي، وكريم قد قرَّر أن يسافر وأن يتابع عمله في لبنان، وأن يكمل أخوه متابعة الأعمال في القاهرة؛ وذلك لأنه يرى أنه لا يوجد داعٍ لبقائهِ في القاهرة وأنا لست معه بها.

- عندما بدأت الدراسة عدت من جديد إلى القاهرة، وقد قررت أن أعيش في شقة في نفس المجمع السكني الذي تعيش به عائشة، على أمل أن تعود علاقتنا كما كانت من قبل.

بعد أسبوع من بداية الدراسة اتصل بي عمي رؤوف بعد قدومه من السفر وقال لي:

- أين أنتِ يا أروما؟ كيف تتركين عائشة بمفردها يا بنيتي...؟

قلت في قرارة نفسي:

- إنه يعتبرني الخادمة أو المهرج المسلِّي لابنته، توقفت عن التفكير وأردفت:

- أهلًا عمي رؤوف... كيف حالك...؟ أنا كنت أظن أنك تتصل بي كي تطمئن عليّ.

- نعم يا بنيتي أنا اتصلت كي أطمئن عليكِ صحيح، ولكن بمجرد أن سمعت صوتك اطمأن قلبي وعلمت أنك بخير ورغبت أن أدخل في صلب الموضوع مباشرة.

قلت في قرارة نفسي:

- يا لك من لئيم، إن ابنتك تشبهك تمامًا ولا تفكران إلا في ذاتكما وكفى.

ومن ثم أوضحت لعمي:

- يا عمي الموضوع ليس كما يبدو لك، أنا أكملت فترة الدراسة وعدت لأقضي فترة مع أهلي، ولكن عائشة لم تأتِ معي، فلم أرغب أن أجبرها على شيء.

وهي طوال هذه الفترة لم تفكر في أن تسأل عليّ مرة واحدة؛ لذا قررت أن أعيش بمفردي وألا أكون ضيفة ثقيلة على أحد، فأنا لم أعتد على ذلك.

- هي تقول لي نفس الكلام يا بنيتي أنك لم تسألي عليها، وثانيًا أنتِ لستِ ضيفة، إن هذا البيت بيتك، لا أريد كلامًا كثيرًا، سوف أنتظرك الليلة على العشاء لأني أريدك في موضوع مهم.

أغلق الخط في وجهي ولم ينتظر مني ردًا بالموافقة أو الرفض، كان الأمر بالنسبة له تحصيل حاصل، وهذا الطبع اكتسبته ابنته منه، أن ما يريده فقط هو الذي سيتم.

في المساء اجتمعنا، ولكن الغريب أن عائشة كانت تتكلم بمنتهى الودّ معي وكأنه لم يحدث أي شيء بيننا، وبصراحة أنا من طبعي ألّا أمنع من يرغب في بداية الصلح معي، ولكن من يرغب أن يخرج من حياتي فليتفضل بالخروج وإن لم يغلق الباب وراءه سوف أغلقه أنا بقدمي لا بيدي.

ولكن إذا جاء في يوم يطرق بابي لا أرده أبدًا.

وبعدما انتهينا من العشاء، بدأت عائشة الحوار وقالت:

-أروما، إن أبي سوف يؤسس لي مشروعي الخاص بما أنني سوف أتخرج هذا العام؛ لذا قررت أن أؤسس مشروعي وهو عبارة عن مطعم وكافية شبابي، وقد رشحت لأبي كريم أن يؤسس هذا المشروع وأنتِ كذلك؛ لأنك لديكِ أفكار تسويقية وذلك لتخصصك في إدارة الأعمال.

قلت لأبي أنكم سوف تساعدانني.

قاطعها عمي وهو يضع ساقًا فوق ساق ويدخن غليونه:

- أنا عرضت عليها مسؤولين من شركتي ولكنها تريدك أنتِ وصديقكما كريم هذا.

- صحيح يا عمي... إن كريم رجل أعمال ناجح ولديه أفكار مميزة، سوف يعجبك التعامل معه، وقد تتم بينكم تعاملات كثيرة.

وبعدما أكملنا حديثنا وسهرتنا، قررت أن أهمّ بالنهوض لكي أرجع إلى شقتي، ولكن عمي منعني من الرحيل، واستطرد:

- إن بنيتي لا تترك بيتها وأنا موجود به.

ثم أخذتني عائشة إلى غرفتي وبدأت تطمئن عليّ، ولكن سرعان ما تغيَّر مجرى الحديث إلى الكلام عن كريم، قلت لها:

- إن كريم مشغول بمسيرته ومشاريعه، وأنا مشغولة بدراستي.

- هل يمكن أن نرجع كما كنا يا أروما...؟

- أكيد، لم أرغب من البداية أن نبتعد عن بعضنا البعض.

***

في المساء تواصلت مع كريم بخصوص عمي، وأن يكون معي في القاهرة من جديد.

في خلال أسبوع رتب أموره وعاد من جديد إلى القاهرة وبدأ مشروع بسيط مع عمي، وهو من كان صاحب الأفكار والمسؤول عن المشروع، وبعد فترة أعجب عمي بذكائه لذا قررا أن يتم إنشاء شركة استثمار مشتركة بينهما.

وهكذا مرت الأيام وعائشة معنا، ثلاثتُنا أصدقاء مقربون جدًّا.

ولكن بمرور الوقت وفي عام ٢٠١٦ في شهر أغسطس، أي بعد تخرجي تمامًا، حدثت مشكلة بيني وبين كريم كادت أن تكون سببًا في انفصالنا، في يوم تم إرسال مكالمة مسجلة بصوتي بيني وبين شخص ما إلى كريم كي يثبتوا أني أخونه.

ثم أرسلوا رسالة لكريم "إذا لم تصدق ما سمعته بأذنك فعليك أن تذهب للنادي حالًا لكي تصدق ما سوف تراه عيناك".

وعندما اقترب من الوصول للنادي أرسلوا صورة لي مع شاب بالقرب مني ممسكًا بيدي.

وفي اليوم ذاته كنت في النادي أرتب أفكاري الخاصة للمشروع الذي أطمح لتنفيذه وهو مشروع لمساعدة أطفال الشوارع وكيف نستغلهم ونساعدهم في ذات الوقت، في هذا الوقت أتى إليّ شاب وطلب مني أن أسمح له بالجلوس، فأنا من ذوقي سمحت له بدقيقة لأني متعجلة ويجب أن أهمّ بالنهوض، ولكنه بدأ حديثه وقال:

- لقد عرفت من منار صديقتك أنك تهتمين بأطفال الشوارع، أنا أستطيع أن أساعدك، لديّ عدة أفكار في هذا الموضوع.

وبدأنا في الحديث، ولكن أثناء الحديث أمسك يدي وفي نفس اللحظة اعتذر لي وقال: " إن هذا حدث بطريقة عفوية ".

وبعد قليل من محادثتي مع ذاك الشاب فوجئت بوقوف كريم أمامي وهو في حالة عصبية لم أرَه بها من قبل، ومن ثم مسك الشاب الذي أمامي من ياقته وسحبه وبدأ في الشجار معه، ولكنني حاولت أن أتدخل بينهما كي أنهي هذا الشجار؛ لأن الموجودين صاروا يتلفتون إلينا وهذا يضر سمعتي؛ فأخذت كريم وأوضحت له أنه مجرد شاب يقول لي أفكارًا تساعدني في مشروعي، ولكن كريم سحبني بقوة وركبت معه السيارة وأردف:

- إذا كان مجرد شاب يقول أفكارًا لمشروعك، اذًا ما هذا يا أروما؟

وقام بتشغيل التسجيل لي، لقد ذهلت عندما سمعته.

ومن ثم أراني صورتي مع هذا الشاب في النادي، ولكن في الصورة يظهر بأنه قريب مني جدًّا وممسك يدي.

لقد صعقت حقًا! لو كنت مكانه لصدقت ما سمعته أذني وما رأته عيناي، ولكني حاولت أن أدافع عن نفسي وقلت:

- يوجد أحد ما يتربص بي، ويريد أن تحدث بيننا خلافات وننفصل عن بعضنا.

- لا يوجد أحد يا أروما، ولكنك استغللتِ غيابي عنكِ وانشغالي في بناء مستقبلنا بأن تخونيني.

نزلت هذه الكلمة على سمعي كالصاعقة، لم أصدق أن يصفني أحدهم بالخائنة في يومٍ ما، فما بالك بحبيب قلبي _كريم_؟!

بعد هذه الكلمة خرجت من السيارة، دون أن أتكلم أيّ كلمة ولا أن أدافع عن نفسي.

خرجت وقررت أن أبتعد قليلًا، وعدت إلى أهلي من جديد إلى مطروح، أشعر بأني كلما تضيق عليّ الدنيا وما فيها أقرر أن أعتزل الناس وأذهب إلى صديقي البحر الذي أشعر بأنه شخص صبور ذو صدرٍ واسع يتحمل كل ما بداخلي من هموم، أعلم أنه لا يرد عليّ ولكن يكفيني أنه يسمعني ويهوّن عليّ بنسماته التي

تداعب ملامحي وكأنها تحنو عليّ وتمسح لي دمعي، وهواءه العليل الذي يدخل بداخلي فيعيد الروح إليّ من جديد.

بعدما أكملت جلستي أمام البحر وقد أوشكت ظلمة الليل تخفي حمرة الغروب، أخذت كتابي وقررت العودة إلى بيتي.

ولكن الغريب أني رأيت أمي جيسيكا، ولأول مرة أراها تنتظرني، لم تكن أمي من نوع الأم المصرية التي تكون كل شغلها الشاغل أبناءها وأبسط أمر يقلقها، مهما كبروا أولادها تظل قلقة عليهم.

ولكن أمي جيسيكا لم تغيّر مصر من طبعها الغربي الكثير، منذ صغري وهي تعطيني مساحة كبيرة في حياتي، أعلم أن الحرية لها إيجابيات في تربية الأبناء وأن التقيد والتدخل المفرط في حياة الأبناء ينشئ عندهم عُقد كذلك، ولكني كنت أتمنى أن تكون أمي في حال وسط بين الاثنين، وطبعًا لا ألوم أبي على قلة اهتمامه بي لأن الاهتمام يكون مهمًا أكثر من ناحية الأم، وإذا قصر الأب في الاهتمام بأولاده لا يقع عليه اللوم كما يقع على الأم.

الأم هي العطف والحنان وهي من تحتوي، في ذلك اليوم عندما رأيت أمي لم أتمالك نفسي حقًا، كنت بحاجة إلى أمي في ذلك اليوم، كنت أحتاج أن أبكي في أحضانها، وأن أشكي لها ما أمرّ به، ولكنها لم تفكر في مرة أن تسألني وترى بذلك أنها تحبني ولا تتدخل في حياتي؛ لأن حياتي هي حقل تجارب بالنسبة لي

وعليّ أن أخطئ لكي أتعلم، ترى أن الخطأ يُعلم أكثر من أن تتلقي المعلومة من غيرك.

أرى أن تربيتها لي جيدة أحيانًا، إنها جعلت مني شخصية معتمدة على ذاتي ولكني بحاجة إلى أم، في بعض الأحيان أشعر بأني طفلة وأحتاج إليها، أحتاج إليها لكي تحتويني.

لم أفكر كثيرًا، هرعت إليها وعانقتها وبدأت أبكي.

لم تتكلم أمي قط، ولم تسألني رغم بكائي لأنها ترى أن سؤالها سيكون به تجاوزًا وتدخلًا في خصوصياتي، ولكنها مسحت على شعري وقالت لي:

-لا بأس يا بنيتي كل شيء سيكون على ما يرام، أنتِ قوية وسوف تتجاوزين أيّ صعب.

أقسم لك يا شُبْرَا أشعر بعد تلك الكلمات التي قالتها لي أمي بأن جبالًا من الهموم زالت عن قلبي، أشعر أن الهموم كانت مثل جبل ثلجي ضخم يجثو فوق قلبي، وبمجرد أن عانقت أمي بحرارة قلبها وحرقتها على حزني التي تحاول أن تخفيها لكي أظل قوية، تلك الحرارة التي في قلبها قد جعلت جبالَ الهموم تذوب وتتفتَّت عن قلبي.

-صدقتِ يا أروما، إن الأم ليس لها مثيل وكل شيء في الدنيا يعوض إلا هي، كم أتمنى بشدة أن أعود للحياة من جديد لكي أنظر لعينها وأعانقها وأقبِّل يدها، أنا لا ولم أحب في الحياة أحدًا مثل أمي.

مسح شُبْرَا دموعه وهو يحاول أن يرسم ابتسامة زائفة على وجهه كي يتسم بالقوة وقال:

- هيا أكملي لي ماذا حدث معكِ أنتِ وكريم، أنا أرى أنكما ما زلتما سويًا، كيف تمّ الصلح بينكما من جديد؟

- سوف أكمل لك...

مرّ شهر على وجودي في مطروح، وطوال تلك الفترة كنت قد أغلقت هاتفي، ولكن في يوم فوجئت بقدوم عائشة إليّ وقالت لي:

-أنا تواصلت مع كريم وحاولت أن أصلح بينكما الموضوع، أطلب منك أن تعودي وأن تعطي فرصة لكريم، إنه يحبك حقًا ويستحق فرصة أخرى.

قررت أن أعود وتقابلت أنا وكريم، ولكن كريم قال لي:

-أنا حاولت كثيًرا أن أصل إليكِ يا أروما ولم أتمكن من معرفة عنوان بيتكم في مطروح؛ لأن عائشة قالت لي أن أباكِ لن يقبل أن يراني وليس بيني وبينك صفة رسمية وأنه مختلف عن أبيها الأستاذ رؤوف.

- لا أبدًا، إن أبي ليس كذلك إن أبي يعطي لنا كافة الحرية، ويعلم جيدًا أننا نعرف الصحيح من الخطأ، إن أبي يثق بي وبأخي عبد الرحمن ويعطي لنا الحرية المطلقة.

- حسنًا يا أروما، أنا طلبت من عائشة أن تصل إليكِ وتقول لكِ أنني نادم أشد الندم، وأني تأكدت من صحة التسجيل بأن الصوت الأصلي ليس صوتك، وأنا آسف جدًّا لأني ظلمتك يا حبيبتي.

- أنا متعجبة حقًا، عائشة قالت لي أنها هي من تواصلت معك، وهي من حاولت أن تصلح الأمر بيننا.

- لا يهمّ يا حبيبتي، المهم أنكِ معي الآن وإلى الأبد، وسامحيني لأنني ظلمتك.

- سامحتك يا كريم.

- لا يوجد أحنّ من قلبك يا أروما.

مرّ عام وأنا منشغلة في بداية مشروعي، وكريم مشغول في السفر وبناء مستقبله وتحقيق أهدافه، هو مشغول وأنا مشغولة كذلك؛ لذا لم يكن لدينا وقت لكي نفتعل المشاكل بسبب قلة اهتمامنا ببعضنا البعض، كنا نستغل الوقت الذي نجتمع فيه سويًا في التعبير عن مشاعرنا بدلًا من افتعال المشاكل واللوم والعتاب؛ لذا أكثر نصيحة أنصح بها صديقاتي اللاتي دائمًا يشتكين من قلة الاهتمام، الحل هو أن تنشغلي أنتِ كذلك عن كثرة التفكير، عليكِ أن تنشغلِي بشيء مفيد وعندما يأتي وقت الكلام لا يوجد داعٍ للوم وقول الكلمة الشهيرة "أنت لم تعد مهتمًا بي كما كنت في بداية علاقتنا"، بل بالعكس عليكِ أن تفكري فقط في اللحظة التي تعيشينها معه الآن وأن تتركِي أيّ لحظة أخرى قبل المكالمة أو اللقاء وراء ظهركِ، وعليهن أن يستغلنَّ

تلك اللحظات بأن تكون لحظات رومانسية مليئة بالحب والتفاهم بدلًا من قول "أنت غير مهتم" و "أنتِ تحبين النكد والمشاكل".

- اللهمّ كثر من أمثالك يا أروما، ليت زوجتي تفهم ذلك.

- أنت متزوج؟

- نعم متزوج، ولكني لم أكمل شهرًا.

- يبدو أن زوجتك فألها جميل عليك، لم تكمل شهرًا وها أنت بين الحياة والموت.

- لديكِ حق، سوف أحكي لكِ مواقف تثبت أنها كذلك، ولكن عندما يحين دوري بعد أن تكملي لي حكايتك.

- أنا أمزح معك يا شُبْرَا، سأكمل، في شهر سبتمبر عام ٢٠١٧ قرر كريم أن يكون بيننا ارتباط رسمي؛ لكي أشاركه كل خطوة في حياته وأن أتمكن من السفر معه من مكان لمكان، وألا نفترق بالشهور لا نرى بعضنا البعض بسبب كثرة سفره؛ لذا قررنا أن نجهز فيلتنا وبعد أن تكتمل سوف يتم الزواج.

لم يرغب كريم أن يكون هناك فترة للخطوبة واكتفى بفترة ارتباطنا وأن يكون زواجنا مباشرةً.

طبعًا آخر عام ونصف كان كلامي مع كريم قليل جدًّا ونكتفي بأن نتكلم في الضروريات وكفى ونطمئن على بعضنا البعض، وكما قلت لك إن هذا الأمر لم يكن يشكل لي أيّ مشاكل، ولكن

عائشة كانت مصممة أن تتدخل في علاقتي بكريم وكانت تتساءل مثل الحية:

- أتظنِين أن كريم لا يخونك؟

- ولمَ تقولين ذلك؟

- الرجل لا يقلل اهتمامه بحبيبته إلا في وجود أخرى في حياته.

- كريم لا يفعل مثل هذه الأمور، أنا لم أفكر في مرة أن أشك أو أن أعدم الثقة في كريم، أقول في قرارة نفسي: "كريم غير"، إنه ليس مثل بقية الرجال، هو مشغول وكفى، ويجب أن أتفهم طبعه وكذلك أنا مشغولة لذا الأمر لا يشكل لي مشكلة.

تنظر لي نظرتها الماكرة المعروفة وكأنها أفعى لئيمة وتتمنى أن تتحقق ظنونها كي تشمت بي، ومن ثم أردفت:

- حسنًا، سوف ترين يا عزيزتي.

بعد أسلوبها معي ورغبتها في زعزعة ثقتي في كريم، علاقتي بها أصبحت سطحية جدًّا.

مرَّت الأيام وجهزت فيلتنا؛ لذا قرر كريم أن نسافر سويًا إلى مطروح لكي يطلبني من أهلي، وهذا الكلام كان بالأمس فرأتني عائشة وأنا أتكلم مع كريم على الهاتف وأقول له:

- أشعر يا كريم أني سأطير من الفرحة، لا أصدق يا حبيبي أن حلمنا سوف يتحقق غدًا، في نفس اليوم الذي قابلتك به أول مرة سيكون يوم خطبتنا 17-1 و...

وأنا أتلفت نظرت إلى الباب رأيت عائشة تقف عند باب غرفتي وتنظر لي وهي ترفع إحدى حاجبيها وتنظر في تهكّم وتحدٍ وقالت:

- لن يتحقق لكِ أيّ شيء يا أروما، بل سوف تخسرين كل شيء إذا استمررتِ مع كريم، نصيحتي لكِ لا تسافري معه.

اندهشت من كلامها وسألت نفسي:

- لمَ عائشة تتكلم معي بهذا الأسلوب؟

ولكن كريم قطع شرودي وقال:

- لا تهتمي يا حبيبتي، سوف أريكِ غدًا أن حياتنا الخاصة سوف تبدأ، وكل أحلامنا سوف تتحقق تدريجيًا بمجرد أن تكون لنا مملكتنا الخاصة.

وكما ترى في عصر يومنا هذا ذهبت إلى المستشفى كي أتبرع بالدم قبل أن أسافر، هذا موعد التبرع وكما تعلم أني أحب الأعمال الخيرية بكل الطرق كالتبرع بالدم والمال والمجهود لمساعدة الغير.

ومن ثم اتصل بي كريم لكي نسافر سويًا إلى مطروح، وعندما تأهبنا للسفر وكاد الليل أن يدلي ستاره، انطلقنا بالسيارة في رحلة طويلة، كانت لحظات جميلة ونحن نغني سويًا ونشعر أن السيارة تحولت إلى طائرة تطير بنا من شدة فرحتنا، فجأة وجدنا سيارة ضخمة تعترض طريقنا، ومن ثم خرج منها رجال ضخام جدًّا مُلثمين ومعهم أسلحة وأخذوا يطرقون على السيارة كي

نفتح لهم، ولكن كريم منعني أن أفتح لهم وطلب مني أن أخفض رأسي، ولكن فجأة بدأ أولئك الرجال البلطجية بتهشيم زجاج السيارة، وفتحوا السيارة وسحبوني وسحبوا كريم إلى الخارج.

ولكن الغريب أنهم كانوا يمسكون كريم ولكنهم لم يهجموا عليه أو يضربوه أو يسرقوه، ولكن أنا أمسكني رجلان والرجل الثالث وقف أمامي وأنا أسمع كريم وهو يقول لهم صارخًا:

-لا تقتربوا منها، خذوا مني كل شيء ولكن اتركوها لي، أرجوكم... سوف أعطيكم ما تريدون ولكن لا تمسوها بسوء، أتوسل إليكم...

يصرخ ويبكي وهو ينظر لي وأنا خائفة باكية، ولم أشعر بشيء سوى أن آخر شيء رأيته أن ذاك الرجل الضخم ضربني على رأسي بعصا ضخمة، وشعرت بأني فقدت الوعي قبل أن أشعر بوقوع العصا على رأسي.

ومن ثم رأيت نفسي ها هنا مهشمَّة تمامًا.

- أتعلمِين من فعل بكِ هذا؟

- لا أدري من فعل بي هكذا.

- ألا تشكِّين في عائشة؟ هي من توعدت لكِ بهذا.

- هي ابنة عمي ولا أظن حقدها يصل بها إلى قتلي.

- أنتِ مسكينة يا أروما.

- ماذا افعل يا شُبْرَا؟ أنا آخذ بحديث نبينا محمد _صلَّ الله عليه وسلم_ (التمس لأخيك سبعين عذرًا)؛ لذا فأنا لا أستطيع أن أشك بها ولا يوجد دليل على ذلك.

- اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد، بالفعل إذا اقتدينا بالنبي محمد سوف نكون أمة رحيمة بالفعل، ونظهر الصورة الحقيقية لديننا دين الرحمة والسلام، وأن نبينا محمد أرسل لكي يكون رحمة للعالمين.

- صلَّ الله عليه وسلم.

ها قد حكيت لك ما حدث معي، هيا احكِ لي ما الذي أدى بك إلى هنا...؟

-إن الموضوع لم يكن متوقعًا أن يصل إلى هذا الحد يا أروما، إنها مشكلة بسيطة جدًّا بين صديقي حامد وأحد أصدقائه الذي قد اقترض منه مبلغًا من المال ولم يقم بتسديده إليه على الرغم من تسامح حامد معه في تأجيل موعد السداد، إلى أن جاء هذا اليوم وذهبت أنا وحامد إلى هذا الشاب وقد كان يجلس على المقهى كعادته وعندما بدأ صديقي في طلب ماله منه، تحوَّل الشاب فجأة وقالها صراحةً "ليس لك عندي مال".

والمصيبة أن صديقي دائمًا ما يقوم بالخير ولا يحاول أن يأخذ احتياطات الغدر ممن حوله، فقلت له: "لا تعطِ مالًا لأحد إلا إذا كنت مستغنيًا عن هذا المبلغ، إذا قررت أن تساعد أحدًا بالمال ساعده بالمال الذي يفيض عن احتياجك ويكون بداخلك أن هذه

المساعدة كصدقة تقوم بها أو أنك تقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه لك".

ولكن شهامته منعته من ألا يساعد ابن منطقته بجزء من ماله الأساسي الذي كان يذخره؛ لأنه كان ينوي السفر للعمل في الخارج.
عندما قلت له إذا أردت أن تساعده فلتكتب وصل أمانه بالمبلغ الذي سوف يأخذه منك، نحن لا نضمن الظروف ولا يصح أن نضع ثقتنا التامة في أحد.

فرد عليّ حامد بشهامته المعروفة:

- أتريدني أن أخسر ابن منطقتي من أجل بعض المال الذي أذخره لأمر ما زال أمامه بضعة أشهر، أنا أصدقه إنه سوف يقوم بتسديد المبلغ خلال شهر، ولا تنسَ يا صديقي قول نبينا محمد (من فرج عن أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة).

- صلَّ الله عليه وسلم، ولكن يا صديقي هذا في حالة أن هذا المبلغ لا تحتاجه، أنت أولى أن يكون المال معك.

- هو يعلم أن بمقدوري أن أساعده وأنا لا يمكنني أن أترك أحدًا طلب مني المساعدة، لن أخسره من أجل مال أتركه في خزانتي.

- صدقني إذا كنت خائفًا أن تخسره إذا رفضت أن تساعده، صدقني سوف تخسره عندما تأتي إليه وتطلب منه حقك ومالك.

- ماذا تريدني أن أفعل؟ أتريدني أن آخذ عليه وصل أمانه، وإذا تأخّر في الدفع أبلغ عنه الشرطة، أين الشهامة والرجولة بين الجيران وفي وقت الضيق إذًا؟

- يا صديقي كلامك سليم، أتمنى أن تفهمني، مساعدة غيرك شيمة من شيم الصالحين، ولكن لا تساعد غيرك بمال أنت محتاج إليه، أنت لا تعلم بعد بضعة أشهر من سوف يقف جانبك ويساعدك.

- وأين أنت يا شُبْرَا؟ منذ طفولتنا ونحن سويًا لا نفترق أبدًا؟ منذ البداية ونحن كتف بكتف، أنت أكبر نعمة في حياتي يا صديقي.

- صدقني يا حامد أنا أفديك بروحي لا بمالي فقط.

ومن ثمّ أعطاه المبلغ، حامد كان يتعامل مع هذا الشاب بمبدأ الرجولة وأن الرجل هو من يقف بجانب جارهِ في وقت الشدة والضيق، وكان ينتظر في المقابل أن يلتزم هذا الشاب بوعده وبكلمته كرجل، ولكن مرّ الشهر ولحق به عدة أشهر وهذا الشاب لا يبالي ويتحجَّج، إن الفكرة التي ضايقت حامد أن الشاب يَعِده في كل مرة بأنه سيعيد إليه المبلغ في موعد محدد ويخلف بهذا الميعاد، إن حامد دائمًا يقول لي:

- أنا لا يهمني المال يا صديقي، ولكن ما يؤلمني أنه يرجع في كلمته وكيف يكون رجلًا إذا رجع في كلامه معي أكثر من مرة، تعرف يا شُبْرَا أنه إذا قال لي أنه يحتاج إلى المبلغ ولا يمكنه أن يعيده لي لكنت احترمته.

- بالفعل يا صديقي الرجل بكلمته، والرجل يخسر رجولته عندما يكذب ويرجع في كلامه.

قرَّر حامد أن نذهب إلى ذاك الشاب الجالس على طاولة مع صديقه على القهوة يتسامران ولا يبالي بأيّ شيء، ذهب إليه حامد وقال له:

- أنت تعلم جيدًا بأني سوف أسافر بعد أسبوع وأحتاج إلى هذا المبلغ، أنا لا أضمن الظروف، يجب أن يكون معي احتياطي من المال.

ردَّ عليه الشاب بلا مبالاة:
- لا يمكنني أن أعطيك المال انتظر إلى نهاية الشهر، وإذا سافرت قبل أن أرد لك المبلغ أعدك أن أرسل لك المبلغ يا صديقي.

- لا، بل أريدهم الآن حالًا، أنت قلت كلمة وأنا أجَّلت لك الموعد كثيرًا احترامًا للجيرة.

- لا يمكنني يا صديقي صدقني، بإمكانك أن تأخذ من صديقك شُبْرَا فإن لديه الكثير من المال.

- لا دخل لك بصديقي، أيكون لديّ مال وأذهب لكي أستلف، أجننت؟! وأنا رجل يا صديقي أي لا أمدّ يدي للغير ما دام الله مُنعم عليّ بالصحة، هيا احترامًا لك اذهب الآن وتصرَّف في المال، ها أنا أنتظرك على المقهى.

غضب الشاب وصرخ في وجه حامد:

- أتذلني من أجل المال، عندما يكون المال معي سوف أرمي المبلغ لك.

- شهامتي جعلتني أساعدك، ورجولتي حتمت عليّ أن أعطيك المبلغ في يدك، وإذا كنت أردت المبلغ من دون أن ترجعه لي كنت صارحتني بذلك وأعطيته لك بصدرٍ رحب، ولكن تعوّد أنك رجل والرجل كلمة واجعل كلمتك لأيّ شخص مثل السيف على رقبتك وأنك مُلزم بتنفيذها.

نصيحتي لك.. تعلَّم أن تكون رجلًا، ولا أريد منك مالًا، ولكني أريدك أن تتعلم هذا الدرس جيدًا.

الشاب تحوَّل لون وجهه إلى اللون الأحمر وقد شاط غضبًا، وصار مثل البركان، وانفجر في وجه حامد غاضبًا صارخًا شاتمًا بأفظع الألفاظ النابية، وقد احتدَّ الأمر أكثر وتحوَّل الأمر من شجارٍ بالكلمات إلى الضرب باليد، ومن ثم التف الناس حولنا وزاد الأمر سوءً، ولكني لمحت أخُ ذاك الشاب يتقدم نحونا ورفع سكينه وكان يرغب في طعن صديقي حامد، لم أفكر كثيرًا إلا ورأيتني وضعت نفسي أمام صديقي وحميت ظهره من طعنة الغدر تلك، والطعنة أصابت قلبي، ولكني لست نادمًا أني فديت صديقي حتى ولو متّ ولم يتمكنوا من إنقاذي فإن روحي فداء صديقي.

- يا لك من شهم ورجل بالفعل يا شُبْرَا، أنت بالفعل من يستحق لقب ابن البلد و...

أين أنتِ يا شُبْرَا؟

أين ذهبت؟

كنت معي الآن... أين اختفيت؟

سوف أدخل الآن لأرى ماذا حدث معي؟ وماذا حلَّ بكريم؟ وأنظر إلى شُبْرَا، قد يكون انتقل ليرى أمرًا ضروريًا.

***

الفصل الثاني

حقيقة النفوس

عندما دخلت رأيت في الممر "حامد" ذاك الشاب الذي فداه شُبْرَا، ذاك الشاب الذي كان منكسرًا ويبكي بحرقة عندما دخلت المستشفى، ها هو يمسك هاتفه وهو يكاد أن يطير فرحًا، وعيناه غارقة بالدموع من شدة الفرح وهو يتكلم في الهاتف ويقول:

-نعم، نعم يا أخي إن شُبْرَا على قيد الحياة، لم نخسر شُبْرَا ولله الحمد، طمئن من معك أنه بخيرٍ والحالة خرجت من الوضع الحرج، حسنًا.. حسنًا، ولكني سوف أغلق حالًا لكي أتابع مع الطبيب.

وعندما اقتربت من غرفة العمليات رأيت والدته، إنها امرأة في الستين من عمرها، امرأة بسيطة جدًّا، قصيرة وجميلة رغم بساطتها ظهرها محنيًّا ويبدوا أن الدنيا قد أتعبتها كثيرًا إلى أن أحنت ظهرها هكذا، كانت ترتدي خمارًا أسود طويلًا وعباءة سوداء وتبكي بحرقة على ولدها على الرغم من أنها تعلم أن وضعه ليس حرجًا، ولكنها قالت لحامد:

- لن أهدأ إلا بعد أن يكون شُبْرَا في حضني بين ذراعي، وأن أسمع صوته، ومن ثم بدأت بالنحيب والبكاء، آه يا ولدي...

بدأت أبحث عن كريم إلى أن وجدته هو وعمي رؤوف وعائشة وسمعت عائشة تقول:

- أين عمي إبراهيم يا أبي؟

- إنه ما زال على وصول، أنتِ تعلمين أن الطريق طويل.

ولكني رأيت كريم وقد توقف عن البكاء فهو لا يحب أن يظهر منكسرًا أمام أحد يعرفه، ولكنه كان في حالة شرودٍ تام، سارحًا وكأن عقله قد توقف عن التفكير.

ومن ثم اقتربت عائشة منه وقالت:

- لمَ أنت حزين هكذا يا كريم...؟ قد يكون هذا خير لك، إنها علامة من الله ألا تكمل معها.

نظر كريم لها نظرة ازدراء وأردف:

- أليس لديك أيّ ذرة مشاعر تجاهها؟! أنتِ إنسانة بلا قلب.

نظرت له نظرة كلها كبرياء وأردفت:

- صحيح أنا ليس لديّ أي ذرة مشاعر تجاهها؛ لأنها فكرت أن تنتصر عليّ، وأن تظهر لي أنها أفضل مني في شيء، ليس لديّ أيّ ذرة رحمة أو شفقة على حالها؛ لأنها رغبت أن تحصل على شيء أنا أريده.

شاط كريم غضبًا:

- شيء، أنا شيء، أجننتِ، نحن لسنا لعبة أو سيارة تشترينها أو تتخلصين منها متى تشائين.

- إن ما حدث لها درس كبير كي تتعلم ألا تتحداني.

- أنتِ شخصية مريضة، هي لم تتحداكِ قط، ولم تفكر في أن تؤذيكِ أبدًا، إنها تحبك.

- ولكني لم أعد أحبها، أنا أحبك أنت.

- وأنا لا أريد أن أراكِ، أنتِ من دمرتِ حياتي، ابتعدِي عنا، أنا لديّ أمل أن تعود لي حبيبتي، سوف تفيق أروما من غيبوبتها، أنا واثق من ذلك.

نظرت له عائشة بغرور وهي تضحك ضحكة تهكّم، وتجلس على المقعد الذي أمامه وتضع ساقًا فوق ساق وأردفت:

- حتى وإن عادت إلى وعيها سوف يكون لي تصرف آخر، إذا كنت تحبها بحق ولا تريدني أن أنهي حياتها تمامًا، كن معي أنا.

- ولكني لا أرغب بك بتاتًا، لا أريد رؤيتك، أكرهك، أكره صوتك، أنتِ لستِ إنسانة، أنتِ شيطان.

تحوَّل وجه عائشة فجأة إلى ملامح البراءة، والتمعت عيناها بلمعة الذل والترجي لكريم وهي تحاول أن تمسك بيده وقالت:

-لا لست شيطان بل أنا أحبك، وفعلت كل هذا من أجل حبي لك، وألا تكون لغيري.

ولكن كريم نهرها وسحب يده بسرعة وفزَّ مسرعًا، وهمَّ واقفًا وأردف:

-إن أردتِ أن تقتليني كما حاولت قتل أروما أنا مستعد أن أموت وألا أكون معكِ، كنت أعتبرك صديقتي وفي الحقيقة أنتِ لا تستحقين الصداقة، أنتِ لا يؤتمن لكِ، أنتِ مجرمة، ولو بيدي أبلغ عنكِ وعن جريمتك، ولكن حبي لأروما يمنعني من أن أشوّه سمعة أحد من أهلها.

نظرت له نظرتها التهكُّمية وقالت ضاحكة ساخرة من كريم:

- هههه أتهددني يا كريم، أولًا أنت تعرف جيدًا من هو أبي، ثانيًا لا يوجد أي شيء يدينني ويثبت اتهامك لي.

لم يردّ كريم عليها، ولكن اكتفى بنظرة ازدراء لها وهمَّ بالرحيل.

في ذلك الوقت الذي رحل فيه كريم خرج عمي رؤوف ورأى كريم قد وصل إلى نهاية الممر، بدأ عمي بالنداء عليه ولكنه كان قد ابتعد كثيرًا، أو أنه لم يرغب في تلبية ندائه له...!

التفت عمي إلى عائشة وسألها:

- لمَ رحل كريم؟ أليس من الأصول أن يظل مع أروما؟

نظرت عائشة لعمي وقالت له وهي تشعر بالانتصار:

- قلت لك يا أبي إنه لا يحبها، وإن المواقف هي التي تثبت إن كان الحب حقيقي أم لا، ها هو يا أبي مع أول موقف تخلى عنها ورحل.

مطَّ عمي شَفتيه ورفع كتفه لأعلى معبرًا عن استغرابه وأردف:

- ولكنه كان حزينًا أشد الحزن عندما رأيناه، ماذا حلَّ به، ما الذي غير حاله؟!

- إن حاله ذاك كان مجرد رد فعل على الموقف الذي مر به، ولكن عندما جلس وفكر قليلًا، شعر أنه لا يوجد أي داعٍ لكي يستمر فيما هو به، أنت تعلم يا أبي أن وضع أروما شبه مستحيل أن تفوق من غيبوبتها.

-فأل الله ولا فألك يا بنيتي، إنها أختك، ادعي الله أن يتحسن حالها في أقرب وقت، وأنا سوف أتكفل بكل تكاليف رعايتها إلى أن تقوم بالسلامة وتعود لنا من جديد.

وأخذ عائشة في حضنه ومن ثم قبل رأسها وأردف:

- أدعو الله أن يحميكِ لي يا بنيتي، هيا بنا نجلس بجوارها إلى أن تصل عائلتها، يجب أن تشعر أننا جميعًا حولها كي تتحسن في أسرع وقت، أهم نعمة في الوجود يا بنيتي هي نعمة الناس والأُنس، طول ما ابن آدم يشعر بأن أحدًا بجانبه يحبه ويهتم به بهذا الاهتمام والحب يهون عليه أي صعب ويستطيع أن يتجاوز أي عقبات في حياته، يا بنيتي أنا أؤمن بشدة بمقولة (إن الجنة من دون الناس لا تداس) لذا يجب أن نحوّل غيبوبة أروما إلى جنة، بالتفافنا حولها واهتمامنا بها وإظهار حبنا لها، صدقيني هي تسمعنا الآن؛ لذا قولي لها ما تتمنينه بداخلك.

نظرت لي عائشة وشعرت أنها تخبئ في عينيها أمنيتها ألا وهي (أتمنى أن تموتي يا أروما).

في الصباح وصل أبي وأمي وأخي عبد الرحمن لزيارتي، وبمجرد دخول أبي وأمي لم يمضِ سوى عشر دقائق وانسحب عمي رؤوف بحجة أنه يجب أن يذهب إلى البيت كي يرتاح؛ لأنه لديه رحلة سفر.

شكره أبي على تعبه معي وأنه قام بالواجب وزيادة، وطلب أبي من عائشة أن تلحق بأبيها كي ترتاح هي كذلك.

ثم قامت أمي وودعت عائشة وعانقتها، ولكن عائشة لم تعانقها وكأنها تقول في قرارة نفسها:

- "يا لكِ من محظوظة يا أروما لديكِ أُم وأنا لا، ها أنتِ ذا قد خسرتِ كل شيء".

ظل أبي وأمي يجلسان حولي، أبي على يميني وأمي على يساري وكلاهما يُمسك بيدي ويبكيان، ويترجيان ويدعيان الله لكي أعود لهما من جديد.

بينما أخي عبد الرحمن كان عند قدمي جالسًا يبكي بحرقة ويقول:

-ارجعي يا أروما ولن أضايقك بمزحي السخيف معكِ، ارجعي يا أروما ولن أضربك كي تستفزي مني وتلحقي بي محاولة ضربي، ارجعي وسوف أجعلك تطولينني وتضربينني كما تشائين، عودي لي يا حبيبتي، ارجعي لكي أقول لكِ كم أحبك يا أختي، أنتِ لستِ أختي فقط بل أنتِ روحي يا أروما.

***

آه ما هذا...؟ دموعي تسيل! يا لي من محظوظة حقًا بأهلي، كم أتمنى أن لو كان بوسعي أن أتكلم وأُشعرهم أني بخير وأشعر بهم، أتمنى أن أعانقهم وأشكرهم على وجودهم في حياتي، أحمدُ الله وأشكره على نعمة الأهل.

***

مرّ الوقت وقد ناما أبي وأخي وظلت أمي لم يغمض لها جفن، ما زالت تمسك بيدي وباليد الأخرى تمسك مصحفًا وتقرأ لي على أمل أن يستجيب الله لعبادتها وأن أعود للوعي من جديد.

(أمي أسلمت بإراداتها عندما رأت صفات الإسلام السمحة في طباع أبي، بدأت تقرأ وتكون وجهة نظرها عن الإسلام، ومن ثم اعتنقت الإسلام عن اقتناعٍ تام).

لذا دائمًا أقول لزميلاتي أن نكون مسلمات بالفهم والبحث أكثر في هذا الدين، لا يصح أن نكون مسلمات بالوراثة وكفى، وكل خطوة في حياتنا يجب أن تكون عن اقتناعٍ تام؛ لذا أنا لم أقرر أن أرتدي الحجاب لأني أشعر أني غير مؤهلة له، إن الحجاب له شروط يجب أن ألتزم بها عندما أرتديه، لا يصح أن أفهم أن الحجاب هو أن أغطي شعري فقط، وأنسى أن معناه أن أرتدي ما لا يشفّ ولا يصفّ الجسد، لا أن أغطي شعري وألبس ملابسي العادية التي تصفّ الجسم وأقول هذا حجاب، بهذه الطريقة أكذب على نفسي؛ لذا أحاول أن أفعل ما باستطاعتي في الدين، وما لا أقدر على فعله أدعو الله أن يمكنني من فعله على أتمِّ وجهٍ وبالطريقة التي ترضيه.

ولكني بالفعل أشعر بالندم، ماذا لو متُّ الآن؟ كيف سأقابل خالقي وأنا كنت مقصرة في بعض الأمور؟

أعرف أن خالقي رحمن رحيم وغفور، ولكني أتمنى أن أفعل كل ما بوسعي بشكل يرضيه؛ كي استحق رحمته ومغفرته وأن أدخل جنته.

ما جعلني أؤجل هذا الموضوع هو أنني كنت أظن أني ما زلت في ريعان شبابي، وما زال أمامي العمر طويلًا، فعليّ أن أتمهل في كل خطوة في حياتي، أعلم أني أفضل من غيري، ولكن يوجد غيري أفضل منِّي.

أتمنى ألا يأخذ الله روحي قبل أن يعطيني فرصة أخرى بالعودة إلى الحياة وأتقرَّب إليه أكثر وأكثر.

***

بدأت أمي في الشعور بالتعب بعدما قد أهلكها البكاء، وقد كسرتها بالفعل بمكوثي عليلة على ذاك السرير؛ لذا استيقظ أخي وطلب منها أن ترتاح قليلًا، وأن تمدِّد جسدها المتعب الذي أصبح مثل الوردة التي ذبلت بسبب غياب نور الشمس عنها، الآن تأكدت أني نور حياة أمي كما تقول لي، أني بالفعل التي أجعلها مشرقة لا تذبل أبدًا، أشعر بيقين داخلي يتردد بأني سوف أعود يا أمي، سأعود لكي أملأ حياتك بالعبق والشذى كما أسميتني.

***

ساعد أخي عبد الرحمن أمي كي تمدد جسدها وغطي جسدها النحيل.

ها أنا أقترب من أمي أحاول أن أهمس في أذنها لعلها تشعر بي.

ها أنا أهمس في أذنها وأقول:

-أمي، أنا أعلم جيدًا أنك تشعرين بي، أنا أحبك.

ثم قبلت جبينها كما كانت تفعل لي دائمًا.

***

ومن ثم فتحت أمي عينها، وقالت بلهفة:

- أروما...

ردَّ عليها عبد الرحمن مهدئًا لها:

- اهدئي يا أمي، ارتاحي يا أمي أنتِ مرهقةٌ جدًّا.

- لا يا بني، إني سمعت صوتها، إنني لا أتوهم.

حاول عبد الرحمن أن يظهر أنه يصدقها كي تخلد إلى النوم وترتاح ومن ثم أردف:

- أصدقك يا أمي ولكن يجب أن ترتاحي أرجوكِ.

غضبت أمي وأردفت:

- أتظن أن سهري وتعبي هو ما جعلني أشعر وأسمع أختك؟ أقسم لك أنها هنا، أنا سمعت صوت حبيبتي و...

استيقظ أبي مفزوعًا على صوت أمي وأردف:

- ها، ماذا...؟، أروما...! بنتي...! أين هي؟ ماذا جرى...؟

بدأ أخي عبد الرحمن في أن يهدئ من روع أبي وأعطاه كوب ماء لكي يهدأ قليلًا وكي لا يصاب قلبه بمكروه نتيجة تلك الفزعة، ومن ثم قال:

- لا شيء يا أبي، إن أروما وضعها كما هو، لا تقلق يا أبي ولكن ارتَح أنت الآن وادعُ الله أن تعود لنا من جديد، يجب ألا نتوقف عن مناجاة الله، فهو القادر على تغيير حالها إلى حالٍ أفضل في غمضة عين، بكلمة كن من الله أي شيء نظنه مستحيلًا سيكون.

نظرت أمي إلى أبي وأمسكت يده ونظرت إليه بعينيها الرقيقتين الزرقاوين التي ورثتهما عنها وقالت:

- أقسم لك يا إبراهيم، إني سمعت أروما، قالت لي أنها تحبني.

- إني أصدقك ولكن يمكن أن يكون هُيِّئَ لك هذا يا عزيزتي و...

صرخت أمي في وجهنا وقالت:

- إني شعرت بحرارة جسدها بالقرب مني، لقد شعرت بحرارة قبلتها على جبيني صدقاني.

همَّ عبد الرحمن في أن يعيد أمي لوضعية النوم من جديد وأردف:

- أمي نحن نصدقك، ولكن أرجوكِ أغمضي عينيكِ الآن، عسى أن تتصلي بروح أروما من جديد وتطمئني عليها.

ثم قبَّل جبينها وعاد إلى جانب جسدي الراقد على السرير وأمسك بيدي، وبدأ يحكي لي مواقف من طفولتنا، ولكن وهو يحكي لي جاء له اتصال، فهمَّ بالخروج من الغرفة لكيلا يزعج والداي وهما نِيام.

خرجت معه لكي أسمع المكالمة، كان عمي هو المتصل وقال لأخي عبد الرحمن:

- اسمع يا بني، اعذرني أني لست معكم في مثل هذه الظروف، ولكنك تعلم طبيعة عملي تحتم عليّ السفر، ولكني اتفقت مع المشفى أن أدفع كل تكاليف إقامة أروما إلى أن تُشفى على خير.

- ولكن يا عمي...

- لا تكمل يا بني أنتما أولادي، وإني أوصيت عائشة أن تزور أروما يوميًا، أرسل لي كل ما هو جديد، أريدك أن تهمس في أذن أروما وتقول لها أني أحبها.

قلتها في قرارة نفسي (وأنا أيضًا أحبك يا عمي) على الرغم من أنك أنجبت شيطان لهذه الدنيا، ولكن الذنب ليس ذنبك، ولكن الخطأ كله في طريقة التربية.

قد يظن بعض الأهالي أن الحرية واستجابة جميع المتطلبات سوف يجعل من ابنهم خالٍ من أي عقد نفسية، بل إن الافراط في الحرية أو ما يسمى "الدلع الزائد" هذا يجعل الأبناء يتَّسمون

بالغرور والكبر وحب التملُّك والاستهتار وعدم تحمُّل المسؤولية، وكذلك إن التقيُّد للأبناء والتدخل المفرط في حياتهم يُنشئ عقد مثل الكذب والخوف وعدم تحمُّل المسؤولية أيضًا، إذن كثرة الدلع والحرية المفرطة ينتج عنهما أضرار في بناء الشخصية، وهذا ما حدث مع عائشة.

***

أنهى عبد الرحمن مكالمته مع عمي ودخل ليجلس بجوار جسدي النائم ومن ثم عاد للحديث عن مغامراتنا سويًا، ولكن وهو يتكلم معي ويمسك بيدي، قررت أن أجرب أن أقترب منه، أحاول أن أتأكد هل عبد الرحمن سوف يشعر بي بالفعل كما شعرت بي أمي أم أن أمي كانت تتوهم بالفعل، أو قد تكون أمي لديها شفافية عالية فشعرت بطيفي حولها، ولكن إذا سمعتني أمي لمَ لم يسمعني كريم؟ لمَ لم يشعر بي؟ قد يكون بسبب أنه كان مشَّتتَ التفكير، وكانت هناك الكثير من الضوضاء المزعجة والكثير من تأوهات المرضى وصرخات أهالي بعض المرضى على فقدان أحبائهم، لا داعي للتفكير سوف أجرِّب.

ها أنا أقترب من أخي، ها أنا أضع يدي على يديه وأهمس له في أذنه برفق:

- أخي، أنا هنا، أنا أراك، أنا أشعر بك، لا تحزن يا أخي، أنا بخير، ولديَّ يقين ما دمتم بالقرب مني فسوف أعود لجسدي وترونني كما أراكم.

همَّ عبد الرحمن من مكانه مفزوعًا، استيقظت أمي على صوته، سألته بقلق رهيب بسبب ملامح الذعر والدهشة التي رُسمت على وجهه:

- ماذا بك يا بني؟ ماذا حدث يا عبد الرحمن؟

صار عبد الرحمن مرتبكًا جدًّا، وحاول أن يجمع رباطة جأشه، ومن ثم ابتلع ريقه وحاول أن يتكلم، ولكن صار يُتمتِم:

-أ..أ..أرو...أروما هنا...

همَّت أمي من مكانها وضمَّته كي تهدئه:

- اهدأ يا حبيبي، نعم يا بني ها هي أروما هنا... إنها معنا، وسوف تعود لنا قريبًا بإذن الله.

- أمي، إني سمعتها وشعرت بحرارة يدها على يدي، أمي أنا كنت أتحدث معها وممسك بيدها ولكن تلك الحرارة كانت على كفّي وليست تحت كفّي يا أمي.

لقد سمعت صوتها تتحدث إليّ بالفعل، إنها هنا وتقول إنها ترانا ولكن ترغب بوجودنا حولها كي تعود إلى جسدها لكي تفق من جديد.

- يا بني قد يكون مجرد حلم، يمكن ا...

شرع أخي في البكاء وضمَّ أمي بشدة، وقال باكيًا:

- لا أدري يا أمي، إن كان حلمًا أم حقيقة، لا أدري، ولكن النتيجة واحدة إن روح أروما تطلب منّا أن نكون بجوارها.

***

بالفعل طاقة أهلي حولي منحتني مزيدًا من القوة، جعلت مني طيفًا محسوسًا ومسموعًا إلى حدٍّ ما، قد تزيد قوتي إلى أن أتمكن من العودة إلى جسدي من جديد، ومعنى إن طيفي غير محسوس ولا مسموع هذا يعني أن طيفي ضعيف وكان قد أوشك على مفارقة الحياة، حالي الآن أنا بين عالمين، بين الأموات والأحياء وعليّ أن أزيد قوتي لكي أعود للحياة من جديد، وما دام حولي من يحبني ويرسل لي طاقة مشاعره تجاهي فذلك يزيدني قوة، إن الحب عظيم حقًا، في الحياة يجعل من المكسور أكثر قوة بمجرد أن يشعر بالاهتمام ممن حوله، وحتى في حالي هذا، حب أهلي هو الذي سيساعدني لعبور هذه المرحلة، الأهل بالفعل عزوة وقوة وسند.

***

رن هاتف عبد الرحمن، كانت المتصلة في هذه المرَّة عائشة، ظننت أنها تريد أن تطمئن عليّ، ولكنها بكل وقاحة كانت تسأل إن جاء كريم إلى المشفى أم لا.

مرَّ أسبوع وكريم لم يأتِ لزيارتي ولا حتى يتصل بأهلي يطمئن على حالي أو كي يعرف أخباري، أي كأنه بالفعل صدَّق كلام الطبيب أن حالتي ميؤوس منها، إن كريم اعتبرني متُّ وكأني صفحة من كتاب حياته وقد قلبها، فلا داعي للرجوع لصفحة قد انتهينا منها.

وبالفعل كذلك عائشة تتصل يوميًا بأخي عبد الرحمن كي تتأكد أن كريم هنا أم لا، وعندما تطمئن أنه ليس في المشفى تغلق الخط مباشرة، وإني أثق تمامًا إذا كان كريم معي في المشفى لما كانت رحلت للحظة.

***

عاد عمي من سفره سريعًا في هذه المرة؛ لأنه كان بالفعل يريد أن يطمئن عليّ بنفسه، جلس عمي مع أبي وأمي وأخي عبد الرحمن واقترح عليهم أن يقيموا في القاهرة معه في نفس المجمع السكني الخاص به.

ولقد وافقت عائلتي أخيرًا أن يستقروا في القاهرة، كم من مرة طلبت منهم أن يعيشوا معي في القاهرة، كنت أحتاج إليهم بشدة، حتى وإن كانت علاقتنا بسيطة ولكنها علاقة نقية، أحتاج إلى دعمهم حتى من دون كلام، أحتاج إلى نظرة من عيونهم، كنت أحتاج إليهم بشدة للبدء في مشروعي الخيري لمساعدة أولاد الشوارع والأيتام ودار المسنين، إن مشروعي لمشروع ضخم، كنت أحتاج إليهم جميعًا بجواري، وها هو حلمي يتحقق بكونهم معي، فهل يا ترى سأعود للحياة وحلمي يصبح حقيقة...؟

أحيانًا بعض الأمور من الظاهر نحسب أنها مصيبة لنا، ولكن أحيانًا يكون في باطنها خير لنا، فسبحانه العالم ببواطن الأمور، لعل الله له حكمة أن أمرّ بتلك الحادثة الشنيعة كي يحقق لي أمرًا كنت أتمناه بشدة.

صوت اليأس بداخلي يهمس لي كي يحبطني:

- ما فائدة وجودهم بعد أن أوشكتِ على الرحيل...؟

ولكن صوت الأمل الذي بداخلي الذي طالما انتصر وسيظل ينتصر على صوت الإحباط الذي في داخلي، صرخ صوت التفاؤل فيَّ محمسًا إياي كي لا أيأس:
- لا يا أروما، الله لن يخذلك أبدًا، بل إن الله يدبر لكِ أمورك، لذا لا تيأسي وثقي في الله خيرًا، وهيا ابدئي من الآن، واستغِلي وجود أهلك هنا، تعلمي يا أروما ألا تؤجلي أي خطوة في حياتك بحجة أن الوقت لم يحن، ما دام الفكرة والخطة في بالك فابدئي من الآن، إن لم يكن تحقيق هدفك بيدك وذلك لظروفك الحالية يمكنكِ أن تبدئي مشروعك الخيري بهمسك، اهمسي لمن حولك، قولي لهم أفكارك، لا تؤجلي هدفك، لا تؤجلي أحلامك، لا تؤجلي الخير يا أروما.

عسى أن يكون بداية هذا الخير بداية شفاؤكِ، أنتِ تعرفين كلما زادت طاقة الناس من حولك، زاد حب الناس لك، سوف تعودين للحياة من جديد، بفضل الله أولًا، وطاقة الحب ثانيًا.

أفقت من شرودي فنظرت إلى عمي الذي غطّ في نومٍ عميق يبدو أنه متعب من السفر، لذلك نام في مكانه، إن لديّ أسئلة كثيرة أرغب بشدة أن أسألها لعمي، ولكن على الرغم من طيبة عمي إلا أنه رسمي في تعامله ولا يوجد لديه وقت للكلام الفرعي، إذا تكلم... تكلم بما هو مفيد وكفى.

سوف أحاول أن أقترب منه.

ها أنا أقترب، أكثر... فأكثر... فأكثر، سوف أهمس له بصوتي برفق:

- عمي رؤوف، عمي، أنا أروما، أتشعر بي.

- سمعت صوت عمي يقول:

- بنيتي أروما، إني أسمعك ولكن أين أنتِ...؟

استغربت جدًّا كيف يكلمني عمي؟ هو لم يحرك شفاهه قَط...!

ها أنا أسمع صوته يناديني من جديد... صوته يتردد وأنا فقط من أسمعه، فأهلي من حولي لا يسمعون شيئًا، لو كانوا قد سمعوا لكانوا قد تلفتوا على ندائه.

- أروما، أين أنتِ يا بنيتي، لمَ اختفى صوتك...؟

التمعت فكرة في رأسي، الآن قد فهمت كل شيء، إن روح عمي تتواصل مع روحي، إن روحي حرة طليقة لأني في مرحلة الاقتراب من الموت، وكذلك عمي يستطيع أن يتواصل معي لأنه نائم والنوم يسمى بالموت الأصغر لأن الروح تكون طليقة...

- عمي، ها أنا أروما أريد أن ألقاك.

- وأنا أيضًا يا بنيتي.

أغمضت عيني وشعرت أن جسدي يعلو أكثر وأكثر...

أشعر بفزع فظيع، كيف...؟ كيف هذا...؟ كيف يمكنني أن أطير هكذا؟!

كنت أظن أنه يمكنني أن أحوم على ارتفاعٍ بسيط فقط...! إن لهذا الحادث الذي تسبَّب في رقدتي إيجابيات بعض الشيء، إني أمرّ بتجربة مذهلة، وأتمنى من الله أن يعطيني فرصة لكي أذكر تلك المغامرات التي أمرّ بها الآن.

ما زال جسدي يعلو أكثر وأكثر، إنني أخترق جميع الطوابق، ها أنا أنظر لمن حولي ولا أحد يراني، أرى المرضى الذين قد يئسوا من الحياة ويتمنون الموت بسبب شدة الألم، أرى أهالي المرضى الذين ينظرون إلى مرضاهم نظرة في تردد بين الأمل واليأس، أرى من لا يبالي وجاء للزيارة وكفى، وأرى من أوشك على الموت بسبب موت أحد أقربائه، أرى الأطباء والممرضين الذين أشعر أن تلك الوظيفة قد انتزعت كل ما بداخلهم من إحساس أو رحمة أو شفقة من كثرة ما يرون من الموت وأسوأ الحالات المرضية، أصبحوا لا يتأثرون بشيء، أصبحوا كما يقول المصريين: "مش عندهم دم".

توقفت عن التفكير فيما حولي، وجعلت كل تفكيري في عمي رؤوف، ها أنا أطير في السماء... أعلو أكثر وأكثر إلى أن سمعت صوت عمي رؤوف يقول لي:

- أروما ابنتي، اشتقت إليكِ كثيرًا.

لقد رأيت عمي في السماء في مكانٍ مرتفع للغاية، لدرجة أن الأرض قد اختفت من تحتنا، كانت السحب أسفل منا، عندما

رآني عانقني بشدة، وأنا أيضًا عانقته، شعور رائع جدًّا أن تشعر بأن هنالك من يشعر بك، يراك، يسمعك، إن تكرار تلك الأمور في حياتنا اليومية لا تشعرنا بقيمتها، ولكن ها أنا ذا أشعر بقيمة كل هذا لأني جربت الحرمان منه، بالفعل لا تشعر بقيمة الشيء إلا إذا فقدته.

بعدما توقفت أنا وعمي عن العناق قلت له بلهفة وعيني دامعة:

- لم أكن أعلم يا عمي أنك تحبني إلى هذا الحدّ.

أخذني عمي من يدي وطلب مني أن نجلس سويًا على سحابة كبيرة، كانت أشبه بحلوى القطن المفضلة لديّ، حينها استغربت من طلب عمي وسألته:

- كيف نجلس على سحاب...؟ سوف نقع... سوف يخترق جسدنا السحاب أكيد!

- هذا ما سيحدث إذا كانت أجسادنا مادية، ولكننا الآن أرواح هائمة، فلنفعل ما يحلو لنا، أقول لكِ شيئًا يا أروما...

- بالطبع يا عمي، قل لي ما تشاء.

- سوف نتخيل تلك السحابة طيارة ونطير لأكثر مكان تحبين أن تشاهديه.

أعجبتني الفكرة كثيرًا وقلت لعمي بدهشة وعيني ذاهلةً بهذا الاقتراح:

- أريد أن أذهب إلى فرنسا ونجلس على قمة برج إيفيل ونتحدث قليلًا.

- لكِ ما تشائين يا عزيزتي، هيا اجلسي جواري، وأغمضي عينيكِ وفكري في المكان، هيا سوف أعدّ إلى ثلاثة، ومن ثم افتحي عينيكِ يا صغيرتي.

واحد...اثنان... ثلاثة.

فتحت عيني دهشت حقًا وقلت صارخةً من الدهشة:

- أوه، لا أصدق...

أخذني عمي رؤوف تحت ذراعه وقال لي وهو يؤشر على المدينة بيديه:

- مرحبًا بكِ يا عزيزتي في باريس.

نظرت لعمي وأنا أمسك بيديه وأسأله بطريقتي الطفولية:

- عمي، لم أكن أتوقع أنك بهذا اللطف حقًا، لمَ لا تظهر ذلك الجانب لي في الحقيقة؟

- ولكني يا أروما لم أقصر في حقك ولا مع أيّ أحد في العائلة.

- أعلم ذلك يا عمي، ولكن تلك الفترة اكتشفت أنك إنسان ذو قلب رحيم حقًا، لم لا تظهر الحب لي أو لأي أحد، حتى عائشة أنت تعبر عن حبك لها بألا تحرمها من شيء وكفى!

- وماذا بيدي أن أفعل أكثر من ذلك يا أروما...؟

- أقصد أين مشاعر الحب، أقصد أن تصارحنا أنك تحبنا، أو أن تشاركنا ما يدور في خلدك، أنت تحل مشاكل غيرك ولا أحد يعلم ما يدور بداخلك...؟

- أه يا صغيرتي إنه لموضوع طويل حقًا، إن الدنيا هي من تغير الأشخاص، أحيانًا نفس الموقف يتعرض له شخصين أحدهم يتغير للأفضل والآخر يتغير للأسوأ.

- وماذا ترى أنت يا عمي...؟ هل غيرتك الدنيا إلى الأفضل أم الى الأسوأ؟

- إن الدنيا لم تغيرني بسهولة يا عزيزتي، إني دفعت الثمن يا صغيرتي، والدنيا كسرتني كي تجعل مني ضعيفًا، ولكني لم أستسلم لها، لم أدع الدنيا تكسرني، وأثبتُّ لها أني قوي.

من بعد مواقف كثيرة ودروس عدة تعلمتها من الدنيا قررت أن أترك العاطفة جانبًا وأن أفكر في كل الأمور بالعقل، العقل وكفى يا عزيزتي.

- أشعر يا عمي أن كلمة الدنيا هذه كناية عن امرأة علمتك درسًا كبيرًا...؟

قهقه عمي ضاحكًا، ولأول مرة أراه من دون أي تقيد هكذا ومن ثم أردف:

- أهٍ يا صغيرتي وما الدنيا إلا امرأة علمتني دروسًا، بل شيَّبَتني من كثرة التعب.

- أَهي السبب في ألّا تحب فاطمة أُم عائشة وألا تحب حنان على الرغم من أنها أحبتك بصدق ومن كل أعماق قلبها...؟

- ما حدث ليس ذنبي وليس بيدي أقسم لك، إن رئيفة التي أحببتها قد أخذت كل الحب وكل المشاعر التي بداخلي، لقد أخذت قلبي ورحلت عني، تركتني شخصًا من دون قلب، فكيف أحب وقلبي ليس معي؟ إن قلبي مع رئيفة يا أروما.

- إذًا ما ذنب فاطمة وحنان؟ لمَ تزوجت إذا لم تكن تشعر بشيء تجاه أيّ منهما...؟

- آه يا بنيتي، أنتِ ما زلتِ صغيرة، ولكن يا بنيتي أنتِ تعلمين أن الحياة يجب أن تستمر، وصدقيني قرار أني أتزوج لم آخذه بعد انفصالي مباشرة، لقد استمررت وحدتي كثيرًا، لدرجة أن حبيبتي تزوجت وأولادها كبروا أمام عيني، تزوجت عندما فقدت الأمل أن تعود لي مرة أخرى، تخيَّلي يا أروما على الرغم من أنها خطبت لغيري كان لديّ أمل أن تنفصل عن خطيبها ونتزوج، ولكنها لم تنفصل قَط وكأنها لم تحبني يومًا، واستمر الأمر وتزوجت، على الرغم من أنها كانت تطعنني وتكسرني في كل خطوة تخطوها في طريق غير طريقي.

أنكسر في كل مرة أتخيل أنها في حضن غير حضني أنا، وعلى الرغم من كل هذا الألم كنت أتمنى بشدة أن تعود لي من جديد، تعود لي وأعاتبها على أنها باعتني وتركتني وحيدًا، نعم أريد أن ألومها وأن أعاتبها ولكن لا أريد أن أخسرها بتاتًا...!

- ولكنك خسرتها بالفعل يا عمي...

- لم تفهمي قصدي يا أروما، يمكن أن أخسرها عامًا... عامين، ولكن لا أريد أن أخسرها طوال حياتي، صدقيني حبي لها أنساني كبريائي ورجولتي، لا أفكر سوى فيها وفي عينيها الحور الساحرة، لقد سرقتني بنظراتها البريئة...!

- احكِ لي عن حبك لرئيفة يا عمي.

- حسنًا، بل سوف أجعلك تشاهدين حبي لها ولن أحكيه فقط، هيا بنا نعود بالزمن ونسافر إلى مطروح عندما كنت صغيرًا.

عندما كان عمري ١٥ عام وهي كان عمرها عشر سنوات، تخيلي أحببتها منذ أول نظرة، هي حبي الأول، حب المراهقة البريء، انظري ها أنا ذا؛ ذاك الفتى المراهق ذو الشارب الوبري أعلى شفاهه...

- كنت فتى وسيم يا عمي، إن شعرك بُني ناعم وعينيك خضراوين، وجسدك نحيف للغاية ولكنك طويل... آوه لقد تغيرت كثيرًا يا عمي...!

- العمر يا بنيتي، المهم أني ما زلت وسيمًا إلى حدٍّ ما.

- أنت جميل دائمًا.

- انظري... ها هي رئيفة، ولكِ أن تتعجبي إن اسمينا مثل بعضنا، إن الصدفة جمعت بنا بكل الطرق، هي رئيفة وأنا رؤوف، وكلانا من حيٍّ واحد وليس هذا فقط، إننا أيضًا جيران وشرفة غرفتي أمام شرفة غرفتها، أحببتها تلك الفتاة ذات الشعر الناعم الفاحم الطويل، تلك الفتاة السمراء التي تتسم بالدلع الذي

لم أرَ مثله من قبل، أحببت جمالها العربي الأصيل، عشقت شعرها الطويل الأسود كظلمة الليل، ذُبت عشقًا في سمار بشرتها العربية، وعينيها السوداء ذات النِّن الكبير، تلك العينين قتلتني، ورموشها الطويلة السوداء التي تجعل عينيها مكحلة طبيعيًا، تلك الرموش مثل الخناجر طعنتني في قلبي، تلك الخناجر مغموسة في سائل حبها فدخل هذا الخنجر قلبي وجعل ذلك السحر يتمدد إلى كل جزء في جسدي، لم أكن أعرف أنها ساحرة وطبيبة في آنٍ واحد، لم أكن أعلم أن طفلة في سنها تعلم أن القلب هو من يضخ الدم إلى كل أجزاء الجسم، وأنها إذا غرست سائل عشقها في قلبي سوف ينتشر ويتوغل فيَّ كلي.

- ها أنا ذا أقف في شرفة غرفتي يوميًا في انتظار أن تخرج أو أن تطل من شرفة غرفتها، إذا رأيتها في الشارع أهرع مسرعًا للشارع كي أنظر إليها من قرب، وإذا لم تخرج ها أنا ذا أحاول أن ارمي بعض الحصى على شرفتها كي تخرج.

في البداية هي لم تكن تفهم ما أنا بفاعل، ولكن مع الوقت بدأت تبادلني النظرات، ها هي بدأ جسمها يلف ويدور وتزيدني حبًا وتعلقًا بها، ها أنا عمري ١٦ عامًا وهي ١١ عامًا ولكن ها هي بدأت تفهم ما بداخلي وبدأ يتكون بداخلها شعورًا تجاهي، وها أنا ذا أقرر أن تكون لي في أقرب فرصة، ولكني ما زلت صغيرًا وليس لدي مال؛ لذا قررت أن اتوقف عن التعليم، وخرجت من المدرسة كي يكون لي الوقت الكافي للعمل، أريد أن أجمع المال من الآن لكي تكون لي في أقرب فرصة، لا أريد أحدًا أن يسبقني ويأخذها مني.

ها أنتِ ذا ترين جدك وجدتك، إنهما يوبخاني... أتضحكين عليّ يا أروما...؟

- لا أقصد يا عمي، ولكني أضحك من شدة تعجبي من هذه المغامرة العجيبة، إني أرى قصة حبك، وأرى جدي وجدتي _رحمهما الله_ وهما في شبابهما، وما يضحكني أكثر أني أراهما يوبخانك.

هههه عمي رؤوف أول مرة أراك في هذا الموقف...!

- هما والداي، ولهما الحق في فعل أي شيء بي.

حسنًا دعيني أكمل لكِ...

أهلي صدموا فعلًا بقرار عدم الاستمرار في الدراسة، ولكني أصررت على قراري، وبالفعل بدأت في العمل، ها أنا أعمل ميكانيكي فترة، إلى أن اقتلع أحد أظافري في أحد الأيام فقررت عدم الاستمرار، ومن ثم عملت كحلاق وقد استمرَّ مزاولتي لهذا العمل إلى أن صار عمري ١٨ عامًا، وكان المال الذي أجمعه تخيلي يا أروما أتركه مع رئيفة...! تخيلي أعمل طوال اليوم ولا أحِنّ على نفسي بشيء أتمناه، ولكن كل ما في بالي أن أجمع كل المال اللازم كي أكون معها وكفى.

من ثم ها أنتِ ترين يا أروما أني أعدّ حقيبتي، ها قد جاء الوقت كي ألتحق بالجيش، مرَّ عامان وأنا في الجيش وعمري الآن ٢٠ عامًا وقد زاد البعد شوقي لها أكثر وأكثر، ها أنا أتقابل مع رئيفة في كل عطلة وأقرأ لها من الأشعار ما أُحبّ.

كنت أشعر وأنا أقرأ لها الشعر بأني أنا الذي كتبته خصيصًا لها، وهي كانت تملأها الفرحة وتظن أن هذا الكلام لم يكتب إلا ليصفها هي فقط.

كلانا نظن ذلك؛ لأننا لا نرى آخرين في الحياة سوانا، لا يوجد قصة حب كحبنا، ولم توجد ولن توجد.

في آخر يوم لي في العطلة قبل أن أعود إلى الجيش كنت أتسلل إلى بيتها فجرًا وهي تقابلني في مدخل بيتها، أعانقها عناقًا طويلًا، كنت أرغب يا أروما أن تختفي بداخلي من شدة العناق، لو بيدي أن أعانقها بكل قوتي إلى أن تدخل في ذاتي وأخبئها وآخذها معي لفعلت ذلك ولا أُبالي.

- أنت رومانسي للغاية يا عمي رؤوف.

- لست رومانسي يا أروما، بل هي الوحيدة التي حركت كل مشاعري، بل أسرتني... جعلتني أسيرًا لها ولصوتها ولنظرة عينيها؛ لقد كبَّلتني بحبها يا أروما، جعلت مني عبدًا لها من كثرة عشقي لها، لقد كان حبها مثل الغشاوة على عيني وما أحلى تلك الغشاوة التي تجعلني لا أرى سواها.

- هههه، اتركها يا عمي أرجوك.

- هههه، ما كان يصح أن أجعلك ترين هذا المشهد، أغمضي عينيك يا بنيتي.

- هههههه، أكمل لي يا عمي ماذا حدث بعد ذلك...؟

- ها هي كما ترين فلتت مني وصعدت السلم؛ كي تعلن انسحابها خوفًا من أن يرانا أحد صدفة، ها أنا دموعي تتساقط مثل الطفل الذي يبكي لأن أمه قررت ألا تأخذه في حضنها وترضعه من جديد، أبكي بحرقة مثل الطفل الذي قررت أمه أن تفطمه أخيرًا، أبكي مثل الطفل الذي فقد أمه وصار وحيدًا.

رئيفة لم تكن حبيبتي فقط بل كانت لي كل شيء.

ها هي الأيام تمرّ وفترة وجودي في الجيش كادت أن تنتهي، وأنا لا أفعل شيئًا سوى قراءة الشعر ومحاولة كتابته، ولكن محاولاتي كانت تنتهي بالفشل في كل مرة، أقرأ الشعر لكي أتخيل رئيفة حبيبتي به، أحاول أن أغزل حروفي محاولًا وصفها، ولكن لا توجد كلمات تمكنني من وصفها، عندما أيأس من الشعر، أفتح محفظتي وأنظر إلى صورتها، وأتمنى أن يمر الوقت كي أخرج من الجيش وأخطبها، وأبدأ في تحقيق حلمي.

ها أنا ذا... عمري ٢١ عامًا وهي ١٦عامًا، لقد أصبحت أنثى كاملة متكاملة، قابلتني وعانقتني كالعادة، وها أنا ذا عدت إلى العمل من جديد، وأرسل لها كل المال الذي أجمعه، وفي يوم قررت أن أفاتح أخيها محمد الذي يصغرني بعام في الموضوع، وقد قلت له بخجلٍ وتوترٌ كبيرين:

- محمد، إني أريد أن أكمل نصف ديني.

- أنت رجل جدّي ومتحمل المسؤولية، ومليون فتاة تتمناك.

- صراحةً يا محمد أ... أنا... أنا أريد أن أخطب أختك، أنتم جيراننا، ولن أجد أفضل من أختك، إنها خلوقة وأنتم عائلة محترمة.

- أنت تعلم يا صديقي كم أحبك، ولكن أختي رئيفة مخطوبة منذ ثلاثة شهور.

نزلت تلك الكلمات على مسامعي كالصاعقة، وطعنتني في طيات وأعماق قلبي يا أروما.

الأفكار تدور في بالي، الذكريات تمرّ أمام عيني، ضحكتها تصمّ آذاني وتجعلني لا أسمع سواها...!

ها هو العالم قد اختفى من أمامي لا أرى سوى صورتها التي كنت أظنها بريئة وتحبني، أنا كنت لعبة بالنسبة لها، أنا مجرد لعبة...!

ها هو محمد يحاول أن يهز كتفي؛ كي أعود إلى رشدي من جديد، بالفعل لقد فُصل عقلي عن عالم الواقع تمامًا.

- رؤوف، يا صديقي، أين ذهبت بالتفكير...؟

- لا...، لا شيء يا صديقي، ولكني أستأذنك سوف أعود إلى المحل لكي أكمل العمل.

لقد هربت منه يا أروما، لا أريد أن يراني أحد والدموع تتساقط من عيني، لا أحب أن أكون ضعيفًا أمام أحد.

هرعت إلى البيت، أغلقت على نفسي باب غرفتي، لا أحد يدري ما جرى لي، لا أحب الشفقة من أحد، ولا أحب أن أظهر أنني كنت مغفلًا أمام أحد.

رئيفة كاذبة، وسارقة، وخائنة، تخيلي يا أروما كل الصفات السيئة جمعت بها ولكني أحببتها، على الرغم من طعنتها لي وخيانتها لي أتمنى أن تعود لي من جديد.

لم أكن أعلم أن الحب يذل هكذا، تخيّلي... أنا صرت رجلًا ولكني أضع كرامتي تحت قدمي وأتجاهل كبريائي كل ذلك في سبيل حبها.

ها أنا أحزم حقائبي، لقد قررت السفر إلى القاهرة لكي أعمل في البناء، فرصة عمل لمدة ثلاثة شهور متواصلة، قررت أن أبتعد عن أي شيء يمكن أن يذكرني برئيفة؛ لعلَّ الله يمكنني من نسيانها، ولكني أثناء عملي كنت أتخيل صورتها في كل شيء حولي، لم أستطع أن أخرجها من عقلي، إذا أخرجتها من عقلي وتوقفت عن التفكير بها؛ يضطرب قلبي وأشعر أنه سوف يتوقف عن العمل، أشعر أن قلبي لا يعمل إلا بحبها، يجب أن أستمر في حبها؛ كي أتمكن من الاستمرار في البقاء على قيد الحياة.

لقد سحرتني وربطتني بحبها...!

انظري يا أروما كيف كانت القاهرة؟ إنها تختلف كثيرًا عما هي عليه الآن.

- صحيح يا عمي، ولكني لا أشغل بالي بالقاهرة الآن، أريد أن أعرف إلى أين سوف تأخذني...؟ وماذا حدث معك...؟ أرجوك أكمل لي.

- أكملت عملي في القاهرة ورجعت لمطروح في عطلة بسيطة، وقد رأيتها عندما وصلت شارعنا، عيناها جاءت في عيني ولكنها لم تحاول أن تقترب مني أو أن توضح موقفها.

ها أنا أقف في شرفتي وأدخن، وتلك العادة اكتسبتها بعد ذاك الخبر، إن عادة التدخين سيئة يا أروما، ولكني لم أعد باقيًا على شيء فلتذهب صحتي إلى الجحيم، ولكني أحتاج بشدة إلى تلك السيجارة التي أُنفِّس بها عن غضبي.

كم أود أن أشعل هذا العالم الظالم بدلًا من إشعال صدري بالنار.

أظل واقفًا أمام شرفتها أتذكر الماضي وأفكر وأتخيل كيف سيكون الحاضر...؟!

وعندما أراها تخرج وتقف في شرفتها أدخل مسرعًا، لا أريد عينيها أن تتصل بعيني؛ فتشعل بي نار الشوق والحب من جديد.

فماذا سأفعل أنا باشتعال الشوق في جوارحي وأنا لن أتمكن من القرب منها كي تطفئ لي تلك النار المشتعلة بداخلي؟!

كنت أهرب في كل مرة يا أروما، ومن ثم جاءتني فرصة عمل في دولة ليبيا، هي قريبة جدًّا من مطروح ولا يوجد متطلبات كثيرة للسفر إليها على عكس الوضع الآن يا بنيتي، لقد عملت بجد حقًا، لم أكن أعرف معنى الراحة يا أروما، استمر عملي

لمدة سنة متواصلة كعامل بناء، ذلك العمل أهلني أن أعود إلى مطروح وأشتري محلًا وأخصصه كصالون حلاقة صغير وأخي إبراهيم هو من يديره.

وأنا في عطلتي ها أنا ذا يا أروما... ترين أن ملامح الفرحة قد احتلت وجهي، وهذا حالي بعد أن عرفت أن رئيفة قد فسخت خطبتها، لقد عاد الحب إلى قلبي من جديد لقد عادت رئيفة لكي تنير حياتي وتزيل عني ستار الحزن والوحدة والكآبة من جديد.

ها أنا أردد في نفسي... كنت أعلم أنها تحبني أنا، قد تكون أجبرت على هذه الخِطبة، وها هي تفعل ما بوسعها كي تنفصل، وبالفعل تمكنت من ذلك.

ها أنا ذا أقف في شرفتي أدخن، ولكن هذه المرة وأنا أطير فرحًا... فسيجارتي أصبحت الآن تشاركني كل مواقف حياتي سواء حزن أو فرح أو غضب، ها أنا ذا أنتظر ظهورها في الشرفة في وقتٍ متأخر؛ كي تعطيني إشارة أن الكل قد خلد إلى النوم، آه يا أروما... إن التواصل حينها كان صعبًا للغاية.

من ثم هرعت مهرولًا لرئيفة؛ لكي أعيد إحياء نفسي من جديد بلمسة يدها، تعرفين يا أروما... أي جهاز مثلًا كبطارية السيارة عندما تتوقف عن العمل في بعض الأحيان تحتاج إلى مرور شحنة كهربائية لها كي تعود إلى العمل، كانت يدي اليمني مثل القطب الموجب ويدي اليسرى مثل القطب السالب ويداها كانتا مثل مصدر الشحنة الكهربائية، لقد أعادت شحني من جديد بحبها، جعلت حبها يسري في كل أنحاء جسدي فأعادتني للحياة،

ها أنا ذا أمسك يدها وأنظر لعينها التي حرمت منهما، أريد أن أطيل النظر في عينيها؛ كي تروي عطشي من ظمأ الفراق، ومن ثم ها أنا أعانقها لكي أتمكن من أن تعود لي الروح من جديد، أن أعيد روحي لي بإحساس نبضات قلبها تحت نبضات قلبي، وأن اشم رائحتها التي تجعلني أزهر من داخلي، ومن ثم همست في أذنها:

-لقد عدتُ للحياة من جديد يا رئيفة.

ولكنها لا تحرك ساكنًا! ومن ثم سألتها:

- لم فعلت بي ذلك يا رئيفة...؟ هل هنت عليكِ...؟ وكيف لا تخبريني...؟

ردت بلامبالاة:

- رؤوف أنت لا تعلم شيئًا.

كنت أعلم أنها ليس لديها ما تبرر به، إنها تستغل حبي لها، حتى اللوم والعتاب تحرمني منه.

ها هي تشاطرني الحب ولكن لا تريد أن نتطرق لأي شيء فات.

كان معي مبلغ من المال طلبت منها أن تحتفظ به وعندما أعود العام القادم نتزوج وأكون قد تكفلت بكل المصاريف الخاصة بالزواج.

وبالفعل تحدثت مع أمها بأني أريد الزواج من بنتها ورحبت بي جدًا.

هكذا ضمنت أن تكون لي رئيفة هذه المرة.

وضعت يدي في ماء باردة واطمأن قلبي، أو كما يقولون "وضعت في بطني بطيخة صيفي".

سافرت، وها أنا أجتهد ليلًا نهارًا وأحلم باليوم الذي ستكون رئيفة معي، وتشاركني كل لحظات حياتي.

كما ترين يا أروما ها أنا أعد نفسي للعودة إلى مصر، أترين كيف انفرجت أساريري، سوف أكون عريسًا لأجمل شابة في العالم، أي بعد أيام ستكونين زوجتي.

صدقيني يا أروما أنا لا أبالغ، ولا أحاول أن أظهر لك أني نحس، بل بالفعل أنا كنت تعيس الحظ في الحب بالفعل.

عندما وصلت الحي الخاص بي، وجدت الشباب ينصبون شادرًا كبيرًا، ويعلقون زينة، سألت محمد صديقي:

- من سوف يتزوج يا صديقي...؟

- زواج أختي رئيفة يا صديقي.

ذهلت ولم أصعق هذه المرة، صدقيني لقد تشاءمت من صديقي محمد، لا أعرف لم تأتي هذه الأخبار منه دائمًا...؟

ها هي ليلة حنتها، ها أنا أنظر إلى شرفتها من شرفتي وأضحك، لم أبكِ هذه المرة، بل كنت أضحك على سذاجتي، ها أنا أضحك ضحكًا هستيريًا على صوت غناء البنات في ليلة حنة حبيبتي على رجل غيري.

في اليوم التالي لملمت شتاتي، وجهزت نفسي وذهبت إلى زفافها وباركت لها، ولكنها لم تكن حزينة تخيلي... بل كما ترين سعيدة يوم زفافها، نظرتها لي تقول:

- أنت المغفل يا رؤوف، أنت من تعلقت بمن باعتك مرة من أجل من هو أعلى منك، وسوف تبيعك ألف مرة إذا جاءت لها فرصة مادية أفضل منك، أنت تشبه إطار السيارة الاحتياطي، ما دامت السيارة بخير فأنت ليس لك أي دور أو أي ضرورة.

ذهبت لأمها لأبارك لها، وفي داخلي أقول:

-آه يا لكِ من لصة أنتِ وابنتك، وأنا أسأل نفسي كيف رئيفة خانت وعدها بي، وأمها المنتقبة التي تظن نفسها تعرف الله جيدًا قد خانت وعدها لي، وباعت ابنتها لمن يدفع أكثر، رئيفة كاذبة وخائنة ولصة مثل أمها.

حقًا لقد صدقوا المصريين عندما قالوا "اقلب القدرة على فُمّها، تطلع البنت لأمها" كلها صفات مكتسبة يا بنيتي.

من ثم فقت من شرودي وقلت لأمها وأنا ابتسم بشدة لا أدري ما بي ولكن الصدمة في هذه المرة كانت صدمة ضحك هستيري:

- مبروك يا عمتي على زواج رئيفة.

تصنعت نظرة الأسى بعينيها، فأنا لا أرى منها سوى عينيها، تلك المنتقبة التي لا تتسم بصفات النقاب ولا تمت له بصلة، ومن ثم قالت:

- الله يبارك فيك يا بني، سامحني يا بني ليس لك نصيب بها.

ضحكت ضحكة تهكمية وذهبت، وحمدت الله أنها تزوجت قبل أن تأخذ مني المبلغ الذي جمعته في هذه السنة أيضًا، من ثم قررت السفر إلى القاهرة واشتريت قطعة أرض في منطقة صحراوية، وها أنا ذا استمر عملي في الخارج عشر سنوات وكل سنة اجدد استثماراتي، وأخي ابراهيم يساعدني في الإدارة.

أصبح عمري الآن٣٢ عامًا وقد زادت استثماراتي، صار هدفي المال يا أروما بعدما فعلته بي رئيفة أصبح كل ما أريده أن أكون أفضل ممن فضلتهم عليّ، وقد أصبحت أفضل بكثير، إلى أن قابلت مقاولًا كبيرًا اسمه "الحاج دسوقي" وتعاملنا سويًا ولم يكن لديه أولاد، لم يكن لديه سوى بنت واحدة ألا وهي فاطمة أُم عائشة، أعجب الحاج دسوقي بي بالفعل وأعجب بأفكاري، وتكرر بيننا التعامل إلى أن أنشأنا شركة مشتركة بيننا، ومن ثم صرت أنا المسؤول عن كل أمواله، كان يأتمنني على كل شيء وكأنني ابنه وأكثر، و...

- ولكن يا عمي لم تزوجت فاطمة وقلبك متعلقًا برئيفة...؟

- يا بنتي إن الحياة لا تقف على أحد، وزواجي من فاطمة كان نقطة تحول في مجال عملي.

ولم أبادر أنا في هذا الموضوع، بل إن أباها هو من طلب مني أن أتزوجها؛ لأنه لن يأمن لأحد على بنته كما يأتمنني عليها، إن الحاج دسوقي وكلني ماله وأهله، وبالفعل كنت قدر المسؤولية.

كانت حياتي مع فاطمة حياة زوجية روتينية لم يبادل كلانا الآخر الحب، ولم يرغب أن يهتم أحدنا بالآخر، إن فاطمة وحيدة

أهلها ومدللة للغاية وتفعل كل ما تتمناه، وأنا كان دوري أن أكمل ما بدأه أبوها، أن أعطيها كامل حريتها، فهي لا تريد سوى ذلك، وأنا لم أرفض قط.

لم تحبني ولم أحبها، هي تعلم أني تزوجتها لأنها فرصة لي، فكان المقابل أن أضع حذاء في فمي وألا أطلب منها أي شيء أو أن أمنعها عن شيء، كان وجودي في حياتها مثل عدمه، وأنا كنت معها كذلك هي مجرد زوجة ولم تكن حبيبة قط.

تزوجتها وأنا عمري ٣٥ عامًا، ولكنها لم تحمل إلا بعد أكثر من خمس سنوات من الزواج، ولكنها ماتت وهي تنجب ابنتي عائشة، كان عمري حينها ٤١ عامًا وكنت في ذروة مجدي بالفعل، وبدأت استثماراتي خارج البلاد تزداد، إن عائشة وجهها خير عليّ بالفعل.

ولكن شعرت أني سوف أظلم بنيتي هكذا أن تكبر من دون أم؛ لذا فكرت أن أتزوج من أجلها فقط، من أجل ألا تحرم من شيء، بعد سنة من وفاة فاطمة تعرفت على حنان كانت سكرتيرتي شابة رائعة الجمال يا أروما، كانت صغيرة عمرها كان ٢٠ عامًا وأنا كنت ٤٢ عامًا ولكني أُعجبت بها وتزوجتها ولم تطل مدة تعارفنا كنت أحتاج إلى أم لابنتي في أسرع وقت...

- ولمَ لم تحبها يا عمي...؟ إنها كانت تحبك للغاية.

- إني أحببتها ولكن مشكلتي مع حنان أنها كانت تشعرني بالذنب كلما نظرت لعينيها، كانت شابة صغيرة تريد حبًا واهتمامًا متواصلين وأنا كنت أفكر في عملي، وأفكر ألا أقصر معها

ماديًا، ولكنها لم تكن تريد أمورًا مادية، بل أحبتني أنا، كانت تحتاج إلى حبي، وأنا رصيدي من الحب قد أكملته في سبيل رئيفة ولم يتبقَ في داخلي مشاعر أخرى لكي أشاركها أو أن أبادلها مع حنان.

كانت لا تلومني ولا تعاتبني ولكن تكفيني نظرتها التي تطعن قلبي، نظرتها تقول لي كم أنا ظالم، ولكن أقسم لك أني لم أظلمها قط، ولكن رئيفة كانت سارقة، لم تسرق مالي فقط بل سرقتني وسرقت قلبي.

إن حنان كانت حساسة جدًّا ولم تكن تبوح بما في قلبها؛ لذا لم يتحمل قلبها كثيرًا، مات قلبها من كثرة الظمأ، قلبها كان يحتاج إلى أن يُروى بماء الحب، ولكني لم يكن لدي ما يكفي مما يروي ظمأها، كنت أستبدل الحب بالمال والهدايا لها ولكن المال لا يروي الظمأ يا أروما.

أحببت حنان ولكن حب من نوع آخر، ليس كحبي العاشق لرئيفة، كان حبي لها حب الزوج لزوجته التي تصونه، كانت نعم الزوجة ونعم الأم، ولكن لم تستطع أن تكون حبيبتي، لا أعلم ما السبب ولكن ليس بيدي... ليس بيدي...!

- رؤوف، رؤوف، استيقظ يا رؤوف.

- ها، أروما.

- لا يا أخي، أنا إبراهيم أخوك، لقد نمت كثيرًا، ولأول مرة أراك تنام ١٢ ساعة.

- آه يا أخي، إني متعب جدًّا، أشعر أني لم أنم قط.

- أعلم يا أخي، أنت متعب من السفر.

- لا يا أخي، ليس من السفر إنها ليست بالمرة الأولى، ولكن عقلي لم يرتَح تلك الليلة، كنت في مغامرة فظيعة يا أخي، مغامرة لا توصف.

لقد عدت إلى الغرفة من جديد، آه يا الله إن هذا الحادث يجعلني أعيش في مغامرات رائعة، إن عمي متعب جدًّا، آه... ما أكثر الأماكن التي ذهبنا إليها؟! ولكني كنت أريد أن أطلب منه شيئًا.

سوف أحاول أن أهمس له طلبي لعله يسمعني:

- المشروع الخيري، الأيتام، أولاد الشوارع.

ها يبدو أن عمي سمعني ها هو ذا قد ظهرت على وجهه ملامح تدل على أنه ربما شعر بي، ها هو عمي ينظر لأبي ويقول له:

- إبراهيم، ما رأيك يا أخي أن نبدأ في مشروع أروما، عسى الله أن يُعجل من شفائها مقابل هذا العمل الخيري.

- إنه مكلف جدًّا يا أخي و...

- أنت تعلم أن هذا حلم أروما، وأنا رأيتها في منامي والآن تذكرت طلبها، علينا البدء.

تحمس أخي ورد على عمي:

- حسنًا يا عمي، ها نحن ذا... سوف نستقر في القاهرة، وأنا سوف أتابع المشروع بدلًا من أروما.

أشعر بسعادة رهيبة، أحمِد الله كثيرًا على نِعمه عليّ، عسى أن أعود للحياة من جديد؛ كي أتمكن من أن أكون نعم الأمَة لله.

***

وها أنا ذا أفكر في رئيفة... أين هي الآن؟ وماذا جرى لها؟!

ولكن بمجرد أن فكرت بها وجدت طيفي صار في مكان آخر... مكان... مكان أشبه ب... دار... دار مسنين.

أمامي امرأة عجوز نحيلة سمراء ذات عيون سوداء واسعة، إنها جميلة حقًا رغم نحولها الشديد، إنها تشبه سوسن بدر إلى حدٍّ كبير، إن جمالها المصري لساحر وجذاب حقًا.

تجلس على مقعدها الهزاز _المتحرك_ سارحة في المظهر الذي أمامها من الشرفة، إنها شاردة الذهن حقًا.

إن عمي عنده حق؛ لأنه صار أسير حبها، إن جمالها أخَّاذ بالفعل.

ومن ثم جاء موعد قيلولتها فنامت، فتمكنت من دخول منامها لكي أعرف ما حدث معها.

عندما دخلت منامها لم أرَ سوى الظلام وكفى، صرت أنادي عليها:

رئيفة...، رئيفة...

لم أسمع ردًا سوى نحيب بكائها، اتبعت الصوت إلى أن جلست بجوارها، وبطقطقة من إصبعي غيرت هذا الظلام إلى نور وصرنا في بستان واسع، ومن ثم رفعت رأسها كي تنظر لي وسألتها:

- ما الذي يحزنك إلى هذه الدرجة يا رئيفة، ولمَ كل هذا الظلام!

نظرت لي بعينيها الحور الواسعة ذات الرموش الكحيلة المبللة الطويلة بانكسار وحزن وأردفت:

- هذا الظلام هو ظلام حياتي، حياتي سوداء وكئيبة ومؤلمة.

- ولمَ تقولين ذلك؟

- أقول ذلك؛ لأني وحيدة وليس لدي أحد في الدنيا.

- ولكن أنتِ متزوجة ولديكِ أولاد، ولربما أصبحتِ تمتلكين عددًا من الأحفاد...!

- بالفعل ما تقولينه صحيح، ولكن ليس معي أي منهم الآن.

إن زوجي قد توفي بعد 16عام من زواجي به، تركني وأنا ما زلت في ريعان شبابي في أوائل الثلاثينات، أُربي أولادي الثلاثة.

- ولكن الذي أعرفه أن لديك أخ وأم.

- لم أستطع العودة إلى مطروح؛ لأن زوجي بعد عشر سنوات من زواجنا قرر الاستقرار في القاهرة وأسس عمله ها هنا، وبعد وفاته صرت أنا المسؤولة عن عمله؛ كي أربي أولادي

الثلاثة وأؤمن لهم حياة كريمة، لم آتَمِن أحدًا على مالي؛ لذا قررت أن أكون المسؤولة عن بيتي وعن عمل زوجي في آنٍ واحد.

- وما المشكلة إذًا يا رئيفة؟!

أنا أرى أنك امرأة ناجحة ومتحملة للمسؤولية.

- ولكن الأمور في حقيقتها ليس كما تظنين يا...

- أروما.

- اسم جميل حقًا، لو كنت أنجبت بنتًا لكنت اسميتها أروما إذا كان عندي علم به.

الأمر يا أروما أن أولادي صاروا استغلاليين جدًّا، لم يحبوني كما أحبهم، كل ما في بالهم أن أوفر لهم ما يخطر في بالهم وكفى، وسرعان ما كبروا وتحملوا مسؤولية العمل بدلًا مني.

كنت أظن أن بهذه الطريقة يريدون راحتي، ولكنهم كانوا يأخذون كل الأرباح لهم ويتركون لي مبلغًا بسيطًا؛ كي أعيش به.

ولكني لم أشغل بالي؛ لأني أقول إن المال مالهم فلا داعي لافتعال المشاكل معهم.

وسرعان ما تشتَّت الأولاد بدلًا من أن يكونوا قوة واحدة، وبدلًا من أن يكبروا عمل والدهم... لقد باعوا كل شيء وقسموا المال فيما بينهم.

-وأنا صرت أعيش في شقتي بمفردي، لا يزورني أحد إلا كل حين وحين بعدما ألحّ عليهم كثيرًا.

لم يفكروا في أن يعرفوا طلباتي، كنت أعيش على مبلغ بسيط من العائد من المال الذي أدخره في البنك.

وفي عام 2017 جاء ابني خالد من دون أن ألحّ عليه، جاء لي في زيارة مفاجئة وقال لي أنه يريدني أن أعيش معه في شقته؛ لأنه يشعر بالقلق عليَّ لأنني أعيش بمفردي.

وبصراحة أنا لم أكذب خبر، فرحت جدًّا بأني سوف أعيش مع ابني الأكبر خالد، ولكن سعادتي لم تدم كثيرًا؛ لأني بمجرد أن وصلت شقته امرأته كانت تعاملني بقسوة؛ لذا قررت أن أعزل نفسي في غرفة بمفردي وألا أحتك بها ولا أنظر لها حتى، فقد كانت نظراتها لي قاسية.

بعد ثلاثة أيام طلبت من ابني أن أعود إلى شقتي، وأوضحت له أني أعاني من نفس الوحدة التي أعاني منها وأنا في شقتي بمفردي.

في هذه اللحظة صدمني عندما قال لي وهو يرسم ابتسامة خبيثة على وجهه:

-ما رأيك بأن أجعلك تعيشين في مكان جميل جدًّا وسيكون لك به الكثير من الأصدقاء الذين سوف يؤنسون وحدتك.

حينها فهمت ما يقصده، ولكني تصنعت الغباء متمنية من الله أن يكون فهمي على خطأ.

- أنا تحدثت مع دار مسنين وسوف تذهبين إلى هناك صباح الغد.

صدمت حقًا مما قاله لي وأردفت له:

- أنا لا أريد أحدًا، أنا فقط أريد العودة إلى شقتي وكفى، إذا كنتم لا تريدون أن تعتنوا بي قليلًا كما اعتنيت بكم طوال عمري؛ اتركوني وشأني، دعوني أهتم بنفسي بمفردي.

- أنتِ لستِ مخيرة.

- كيف؟

-لأن الشقة صارت باسمي، ومن اليوم ليس لكِ مكان للعيش به، إما توافقين على العيش في دار المسنين، وإلا...

هنا انهمر دمع عيني وشعرت بكسرة رهيبة، أولادي الذين لم أحب في الحياة سواهم لم يحبوني قط، اثنان لا مباليين أخذا نصيبهما من المال وسافرا ولا أدري عنهما شيئًا، والكبير ها هو قد خدعني بزيارته المفاجئة لي بأنه قد سرق كل ما أملك.

لم أرد عليه قط من أثر الصدمة، ونمت والدموع لم تجف من عيني، واستيقظت على صوته طالبًا أن أتأهب؛ لأن هناك من ينتظرني لكي يأخذني إلى الدار.

ومن وقتها وأنا في حالة ذهول، لا أتكلم مع أحد، ولم أعد أرغب في شيء.

- أريد أن أسألكِ سؤالًا يا رئيفة، أتظنين أن ما حدث معكِ هذا ابتلاء أم هذا جزاؤك؟

- جزائي! لم تقولين ذلك؟ لم أظلم أحدًا قط؟

- ولكنك ظلمتِ رؤوف.

- رؤوف! آه... كيف تعرفين رؤوف؟

- لا يهم، المهم أن ما حدث معك هذا ليس ابتلاء ولن تأخذي ثواب على صبرك عليه، بل هذا جزاؤك؛ لأنك كسرتِ قلب رؤوف.

رؤوف لم يحب أحدًا مثلك، وكان يضحي بكل ما يملك من أجلك وأنتِ بعتِه وكسرتِه، وها أنتِ ذا ضحيتي وتعبتِ من أجل أولادك الذين لم تحبِي سواهم قط، وفي النهاية كسروكِ باعوكِ، عضوا يدك التي مدت إليهم بالخير.

ماذا تظنين يا رئيفة؟ أتظنين أن الله يقبل بأن أحدًا من عباده يُظلم، بل الله ينصر المظلوم ولو بعد حين.

أنتِ في الماضي فكرتِ في ذاتك فقط على حساب رؤوف، وظلمتِه وتركتِه مجروحًا ومكسورًا أكثر من مرة، وها أنتِ ذا تشتكين من أولادك، هم ليسوا سيئين... بل كل ما في الأمر أنهم أخذوا طبعك، طبعك الأناني، لا تفكرين إلا في نفسك وهم مثلك تمامًا...!

إن الله يمهل ولا يهمل.

صارت رئيفة تصرخ وتبكي بهستيريا إلى أن استيقظت من نومها باكية صارخة، فهرعت إليها إحدى العاملات كي تطمئن عليها.

وأنا نظرت إلى حالتها الآن وهي مكسورة ضعيفة وحيدة حزينة، ليست هذه رئيفة التي رأيتها مع عمي، تلك الفتاة القوية الجامحة التي لا تفكر إلا في ذاتها وسعادتها، ها هي قد جاء دورها لكي تذوق من نفس الكأس الذي جعلت عمي يتجرعه.

الآن فهمت كلمة يمهل ولا يهمل حقًّا؛ لذا علينا ألا نظلم أحدًا لأن الدنيا تدور وسوف تعود علينا بما تركناه في قلوب الآخرين سواء فرح أو حزن، جبر أو كسر؛ لذا أدعو الله أن أكون دائمًا ممن يجبرون الخواطر وألا أكون ممن يظلمون أحدًا.

***

قررت أن أعود إلى المستشفى ولكني استغربت جدًّا...!

أين عائشة وأين كريم...؟ لم يأتوا لزيارتي قط.

سوف أذهب للبيت لكي أرى عائشة.

ها أنا أخرج من المستشفى.

آه، إنه شُبْرَا، ها قد خرج مع أهله، سوف أقترب أهمس له:

- حمدًا لله على سلامتك يا بطل.

إنه يبتسم، إنه يشعر بي، إنه يتذكرني، كم أتمنى من الله أن أخرج من المشفى أنا أيضًا.

***

ها أنا أطير إلى عائشة، وصلت إليها، رأيتها تتكلم في الهاتف ومنفعلة حقًا، كانت تقول:

- كريم، إني أحاول أن أصل لك، ولكنك أغلقت كل الطرق في وجهي، لمَ تفعل ذلك معي؟

- ابتعدي عني أنا لقد رددت على الرقم لأنه غريب، لو كنت أعلم إنه أنتِ لما رددت عليكِ، لا أريد أن أسمع صوتك.

- أنا أريدك يا كريم، اخترني أنا، أنا من أحبك، ومن تحبها بين الحياة والموت، حالتها خطرة ولا يوجد أمل أن تعود من جديد.

- لا دخل لك، اذهبي لغيري، حبي غيري، أنا لن أحبك أبدًا، أنتِ إبليس.

- لا أريدك أن تحبني بهذه السرعة، أريدك معي وكفى.

- أنا لست بكيفك، أنا رجل.

شرعت عائشة في البكاء ومن ثم قالت وهي تتنهد:

- أقسم لك أني لست كما تراني، أنا أتصنع القوة، ولكني هشة جدًّا، أنا وحيدة يا كريم، ليس لديّ أحد في الدنيا، أمي ماتت عندما ولدتني وأمي التي ربتني ماتت، وأروما لقد خسرتها لأني

كنت أريدها صديقة وأنت كحبيب، ولكن ها أنا خسرت أروما ولم أكسبك كذلك، أنا وحيدة في الدنيا.

أرجوك كن معي، كريم، أرجوك رد عليّ.

- عائشة، اعذريني أنا مشغول الآن، سوف أحدثك بعد قليل.

أكملت بكائها وهي تتنهد إلى أن انتهت المكالمة، ومن ثم مسحت دموعها ورسمت على وجهها ابتسامة خبيثة، كانت تمثل، وقالت:

- سوف توافق على أن تكون لي، ولكن كل شيء في أوانه.

قررت أن أظل مع عائشة؛ لكي أرى ماذا سيحدث معها ومع كريم.

ها هي تتصل بكريم من جديد، وكريم يرد بعد عدة اتصالات، ظلت تتعامل معه وتظهر له وجه المسكينة المكسورة، المظلومة، المحرومة، والوحيدة.

ومعروف أن كريم عطوف ورحيم، لا يحب أن يرى أحدًا مكسورًا، حتى لو كانت عائشة الحية.

الأيام تمر، ولا يوجد جديد في حالتي، وصارت عائشة مقربة لكريم، ولكن كريم يعتبرها مجرد صديقة، ولكن هي ما زالت مصرة على تنفيذ مبتغاها.

الشهور تمرّ، ومشروعي صار على أرض الواقع.

*علاقة عائشة بكريم صارت مقربة جدًّا، وفي يوم تقابلت عائشة مع كريم وقالت له بمنتهى الجرأة:

- كريم، أريدك أن تتزوجني، لا أتخيل حياتي من دونك، أحتاج إلى حبيب ورفيق درب، لا أريد أن أكون وحيدة.

- عائشة، لقد وافقت أن أكون صديقك، وألا أراكِ مكسورة وحيدة، لا أن أكون حبيبك، أنا لا أريد أن أكون حبيب أحد، أنا حتى أروما لا أستطيع أن أزورها في المشفى أو أن أراها في تلك الحالة، أنا ما زلت أشعر أن أروما هنا.

شاطت عائشة غضبًا وقالت صارخة:

- أروما، أروما، أروما، ماذا أفعل كي تفكر فيّ أنا؟ أقسم لك يا كريم إن لم توافق بي سوف...

- ها أتريدين أن تقتليني، اقتليني، لم يعد لديّ ما أخسره.

- لا، بل سوف أقتل نفسي، أفضل من وحدتي.

- افعلي ما تشائين.

همّ كريم واقفًا لا يبالي بها.

أمسكت عائشة السكين الذي أمامها وقطعت شرايينها أمام كريم وهو واقف أمامها مذهولًا مما فعلته.

حملها كريم مسرعًا إلى المشفى، وبعد ذلك جاء لزيارتي بعد شهور منذ آخر مرة.

طلب من أهلي أن يتركوه في غرفتي بمفرده قليلًا.

ارتمى كريم على جسدي الذي لا يحرك ساكنًا، وشرع بالبكاء، وأردف:

- أروما لمَ تركتني وحدي، أدعو الله يوميًا أن تعودي لي لكي تملئي حياتي ببهجتك.

لم أرَ مثل قلبك يا أروما، لا يوجد مثل نقاء قلبك يا حبيبتي.

أرجوكِ عودي إليّ، حياتي من بعدك ليست حياة، إن عائشة تهددني، أسافر تسافر ورائي، إنها تلاحقني، إنها تفرض نفسها عليَّ، ماذا أفعل يا أروما...!؟

قررت أن أقترب منه وأقول له وأنا مكسورة وأشعر أن ليس بيدي حيلة، ولكني قررت أن أنقذ اثنين، ها أنا ألمس يد كريم وأهمس له:

- كريم، وافق على عائشة، اجعلها سعيدة، يجب أن يكسب أحدنا، لا يجب أن نخسر جميعنا.

كريم يتلفت حوله يبحث عني وينادي عليّ:

- أروما، أنتِ هنا، أم أنا قد جننت، أروما أرجوكِ كفاكِ رأفة بمن لا يستحق، أنتِ تفكرين فيمن دمرت حياتنا، لا يا أروما لن أوافق، أنا أكرهها، هي من دمرت حياتي، أقسم أني سوف أنتقم منها، لقد تحملت جنانها بما يكفي.

- كريم، اسمعني أرجوك، لا يجب أن نخسر جميعنا أرجوك.

همّ كريم ورحل من المستشفى.

لقد تمكن الأطباء من علاج عائشة، وعندما خرجت من العناية المركزة، سألها عمي رؤوف عن السبب الذي جعلها تقدم على فعلتها تلك، قالت له بمنتهى الصراحة:

- أنا أحب كريم، ولكنه لا يحبني يا أبي.

ومن ثم عانقت عمي وصارت تبكي، وكأنها تريد لعبة وتريد من أبيها أن يشتريها لها.

وبالفعل عمي قرر أن يحقق مبتغاها وأن يشتري لها اللعبة، أقصد قرر أن يجعل كريم يوافق على هذا الزواج بطريقته.

عمي مسح دموعها ونظر في عينها وهو يقول لها:

- عيوش حبيبتي، لا يوجد شخص في الدنيا يستحق دموعك، أنتِ وحيدتي وسوف أحقق لكِ كل ما يجعلك سعيدة.

اتصل عمي رؤوف بكريم وطلب منه أن يقابله؛ لأنه يريد أن يتم بينهما شراكة كبرى.

وافق كريم على المقابلة، وقد عرض عمي رؤوف أن يكون كريم هو المسؤول عن كل أملاكه، وأن يكون ابن له، ولكن بشرط أن يوافق على الزواج من ابنته عائشة، وقال له:

- لن ائتمن أحدًا على ابنتي ولا مالي إلا أنت يا كريم.

- ولكن يا عمي أنت تعرف أني أحب أروما و...

- لا تكمل يا بني، كما ترى يا كريم أن أروما حالتها لم تتحسن قط، قد اقتربت غيبوبتها على السنة ولا يوجد تحسُّن في حالتها،

ولكن سوف أظل أعتني بها لمدة ثلاث سنوات وإذا لم يحدث تحسن سوف نرضى بقضاء الله لنا.

ذُهلت...! أنا أشعر أن الزمن يعيد نفسه من جديد، وعمي رؤوف يعيد ما فعله معه الحاج دسوقي لكي يتزوج ابنته.

ولكن كريم لم يعطِ ردًّا، ظل يفكر كثيرًا، ربت عمي على كتفه وقال له:

فكر يا كريم، وسوف أنتظر ردك الليلة يا بني؛ كي نبدأ في ترتيب أمور شراكتنا سويًا.

***

اتصل عمي رؤوف بكريم في المساء، وقال له:

- ماذا يا كريم، ماذا قلت فيما قلته لك...؟

- حسنًا يا عمي، أنا موافق.

ها هي عائشة بجوار أبيها تطير فرحًا، أعرف جيدًا أني قلت لكريم أن يوافق على عائشة ولكنه كان رافضًا تمامًا، كريم كان يفضل الموت وألا يتزوج عائشة، لم أكن أصدق أن الأمور المادية تفرق مع كريم.

يا حسرتي...! حتى عمي فقد الأمل في أن أعود للحياة، إن عمي يمشي بمبدأ "الحي أولى من الميت".

***

الشهور تمرّ، وكريم أصبح هو المسؤول عن شركة عمي، وعمي يرغب في الراحة أخيرًا؛ لذا قرر أن يجعل كريم مكانه، وشركاتهم صارت واحدة.

مشروعي اكتمل تمامًا، وها قد اقترب زواج كريم وعائشة، وبالفعل تمّ الزواج، ها أنا أنظر إلى حبيبي وهو مع غيري، عائشة نجحت في أخذ مكاني، آه يا حسرتي وكسرة قلبي...!

سافر حبيبي مع عائشة إلى جزر المالديف التي دائمًا ما كان يُشبِّه عيني بلون بحرها، لن أستطيع أن أراهما سويًا.

سوف أعود لمكاني في المشفى، أفضل وحدتي بدلًا من الذي أراه أمامي الآن.

أقسم أني لا أصدق ما تراه عيني، إن كريم يحبها بالفعل، كيف حدث ذلك...؟ لا أستطيع أن أفهم...

مرت الشهور ولا يوجد أيّ تقدم في حالتي! كما أنّ أهلي أوشكوا على فقد الأمل من أن أعود للحياة من جديد، عاد كل منهم إلى حياته، وصاروا يكتفون بزيارتي من حينٍ لآخر.

مرَّ عامان على وجودي في المشفى، في العامان حدث فيهما أشياء كثيرة، لدرجة أن حبيبي الآن صار أبًا، وابنه تبقى له بضعة شهور وسوف ينير الدنيا، ولكن مصيبة إذا حمل صفات أمه...!

حقًا هذه السلالة يجب أن تنتهي...

إن الناس الكاذبة أو الخائنة أو الأنانية أو من يتسمون بصفات سيئة لا حق لهم في الزواج؛ كي لا يكثُر مَن هم مِن أمثالهم.

إن كريم وعائشة موجودين في فيلا عمي رؤوف، آه إن كريم لزوج عطوف حقًا، لقد قرر أن يعطي عطلة للخدم اليوم وأن يطهي بنفسه، ها هو يساعد عائشة ويقدم لها الطعام أمامها، وبعد أن أكملوا الغداء، دخل المطبخ لكي يعد القهوة لعمي رؤوف وكوب عصير لعائشة، ولكن ماذا يفعل كريم...؟!

ماذا عن العلبتين اللتين يفتحهما...؟

فرغ القليل في فنجان القهوة، والعلبة الأخرى فرغها في كوب العصير الخاص بعائشة.

بعد قليل، نام عمي رؤوف، ومن ثم قالت عائشة:

- آه يبدو أن أبي متعب للغاية، لقد شاخ أبي ولم يعد يستطيع تحمل شيء كما كان في سابق عهده.

- وها أنا يا حبيبتي أكمل ما بدأه أبوكِ، أنا هنا لراحتك أنتِ وعمي رؤوف.

مسكت عائشة بطنها، ومن ثم قالت وهي تغمض عينها من شدة الألم:

- آه...، كريم، بطني، بطني تؤلمني جدًا، كل هذا نِتاج طعامك بالتأكيد، آآآآآآآآآه...

ظل كريم ساكنًا لا ينطق ويتأمل منظرها وهي تتألم وتتأوه، وارتمت عائشة على الأرض تضغط على بطنها وتتلوى في الأرض من شدة الألم وتقول وهي تنظر لكريم بعينين دامعتين في مذلة:

- كريم أرجوك أنقذني، إني أشعر أني أموت من الألم، يوجد سكاكين تقطع في بطني، أرجوك ساعدني.

ولكن كريم ينظر لها في تشفٍ، ثم قال:

- لا، لن أنقذك.

- أنقذني من أجل ابنك على الأقل يا كريم أرجوك.

- الذي في بطنك شيطان مثلك، لقد وافقت على قدومه للدنيا؛ لكي أكسرك أكثر.

أظننتِ أني أحبك، لم ولن أحبك أبدًا، ولكن أنا قررت أن أوافق على هذه الصفقة لكي أنتقم منكِ لما فعلتِه معي ومع أروما.

كريم يأخذ أوراقًا مهمة من خزانة عمي رؤوف، ومن ثم اتصل بمحاميه لكي يقابله في فيلته، ثم طلب من المحامي أن يستغل التوكيل؛ لكي يتم تحويل كل الشراكات بينه وبين عمي رؤوف إلى اسمه هو فقط.

قال له المحامي وهو ينظر نظرة شيطانية:

-تستطيع أن تستولى على كل أملاكهم.

نظر له كريم بلامبالاة وأردف:

-لا أريد أن استولى على أملاكهم، إني لا أريد شراكات بينهم وكفى، ولكني لا أريد أن أخسر بسببهم أكثر من ذلك؛ لذا نفذ ما أقوله لك وكفى.

جهز حقيبته وكانت معه تذكرة سفر وسافر، أما المحامي فسوف يتابع معه كل جديد.

لم أكن أتوقع أن كريم يمكن أن ينتقم، ويكره ويقتل ويسرق.

لقد صدمت في كريم.

آه، ولكن عائشة، يجب أن أنقذها، لا يجب أن تموت.

سوف أذهب لأخي عبد الرحمن لكي يساعدها.

أخي عبد الرحمن نائم، سوف أدخل في منامه وأقول له.

- أخي عبد الرحمن، تعالَ معي أريد أن أريك شيئًا.

- ماذا يا أروما، ولمَ تسحبيني بلهفة هكذا.

- حسنًا لن أسحبك هكذا، هيا نطير سويًا إلى بيت عمي رؤوف، إن هناك كارثة قد وقعت في البيت يا أخي.

دخلنا البيت وقد صدم عبد الرحمن من شكل عائشة وهي ممددة أرضًا وعلى وجهها ملامح الألم، وعمي لا يحرك ساكنًا.

قام أخي مفزوع من منامه، أمسك بهاتفه واتصل بعائشة؛ لكي يطمئن عليها ويتأكد أن الذي رآه في المنام كان كابوسًا.

ولكن عائشة لا ترد، حاول الاتصال بعمي رؤوف ولكن لا يوجد رد؛ لذا هم مسرعًا وقاد سيارته ووصل لفيلا عمي.

بالفعل لقد رأى نفس المشهد الذي رآه في المنام، اتصل بالإسعاف مسرعًا، والحمد لله أن عمي بخير مجرد أنه أخذ منومًا، ولكن عائشة لقد خسرت جنينها وتم إنقاذها بصعوبة؛ لأنها تعرضت لحالة تسمم.

تمرّ الأيام ولكن عائشة لا تنطق، يبدو أن كلام كريم أذاها أكثر من فكرة التسمم، لقد طعنها في كبريائها وغرورها، جعلها تشعر أنها لا شيء، وبأنها شخصية مكروهة لا تستحق الحب، لقد علمها درسًا "أن الحب لا يُشْتَرى...!".

إن الذي يُحبك... يُحبك من دون أسباب، من دون مقدمات، من دون مقابل أو مجهود.

قرر عمي رؤوف أن ينقلها لمصحة نفسية، فعائشة لا تشعر بما يدور حولها، إنها في حالة صدمة وذهول...!

ولكن عمي رؤوف لم يحزن على الخسائر التي لحقت به من سرقة كريم له، فقد قال عمي في قرارة نفسه:

- إن ما حدث لي جزائي؛ لأني أنا من طاوعت ابنتي في تصرفاتها بدلًا من أن أوقفها عند حدها وأعلمها الصواب من الخطأ، كان من الضروري أن أُعلمها أن الناس لا يشترون بالمال، وأن الحب نصيب ولا يصح أن نأخذ نصيب غيرنا من أيديهم عن غصب.

إن الذي فعله كريم معنا درس، ولأني لم أفكر سوى في ابنتي ولم أفكر فيه ولم أفكر في أروما؛ فكان هذا جزاء أنانيتي.

قرر عمي أن يسافر إلى مطروح مع أبي وأمي، وقرر أن يعيش في شاليه على البحر، يتذكر كل ما مرّ به في حياته.

يتذكر كيف ضيع حنان ولم يحبها من أجل أن يجمع المال، قد شاء القدر أن يخسر رئيفة، ولكن هو من خسر حنان بنفسه...!

إنه يشعر بذنبٍ رهيب على حق حنان الذي حرمها منه، ويشعر بالذنب على نفسه وروحه التي هلكها من أجل المال وكفى، كل ذلك بسبب عقدة تكونت بسبب علاقة حب فاشلة جعلته يفكر في الأمور بشكل خاطئ.

وها هو وحيد وحزين، ولا يوجد لديه شيء في الدنيا...!

***

الفصل الثالث

حياة جديدة

في يوم ١-٦-٢٠٢٠ كنت أجلس مع أهلي أتأملهم وهم يضحكون ويحاولون أن يهونوا على عمي آلامه وأحزانه، أعلم أن حياة عمي أفضل بكثير من حياة رئيفة، وبالفعل عوضه الله بحياة جميلة ومرفهة.

ولكن لأنه لم يحب حنان وهانت عليه؛ قد حدث نفس الشيء مع ابنته، ولأنها أحبَّت من لا يحبها؛ كسرها وأهانها.

وكأن الله لم يترك حق حنان حتى بعد موتها، حقًا إن الله لا يضيع حق مظلوم أبدًا...!

الآن عمي رؤوف يعرف جيدًا لمَ حدث ذلك مع ابنته، إن ما حدث هو انتقام لحنان من جهة، وسوء تربية من جهة أخرى.

عمي شارد الذهن كثيرًا، نادمًا على ما فعله بحنان، يتمنى لو يعود به الزمن فيحسن إليها ويكرم مثواها ويعاملها بما يرضي الله بالمودة والرحمة؛ حتى لا يحدث في ابنته ما حدث الآن.

في هذه اللحظة تذكرت حديث نبينا محمد _صلَّ الله عليه وسلم_ عندما قال (البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، فكن كما شئت فكما تدين تدان).

إنها العدالة الربانية حقًا، يجب أن أتعلَّم جيدًا من هذا الدرس.

ولكن فجأة بدأت أشعر أن الصوت لا أسمعه جيدًا، صورتهم بدأت تتلاشى من أمامي، طيفي لم أعد أراه، ماذا يحدث لي...؟

أسمع أصوات متداخلة:

- دكتور، لقد عادت إلى وعيها.

وجدت نفسي أتأمل السقف، ومن ثم استدرت قليلًا فرأيت الممرضة تقول لي في لهفة:

- حمدًا لله على سلامتك.

ذُهلت، لم أصدق نفسي، هل ما في بالي حقيقي...؟ لقد أوشكت أن أفقد الأمل أن أعود إلى الحياة من جديد وأن يراني الناس كما أراهم، أو أن يسمعونَنِي كما أسمعهم...!

لقد اعتدت على كوني طيفًا، ولكن كنت أعلم أنَّهم في يومٍ من الأيام سوف يُزيلون عني الأجهزة ويدفنونَنِي، ولكن حمدًا لله الذي أعادني للحياة من جديد قبل أن أكمل ثلاث سنوات في الغيبوبة كما قال عمي رؤوف.

اتصلوا بأخي عبد الرحمن؛ لأنه في القاهرة وهو من يزورني يوميًا.

أسرعَ أخي إلى المشفى من شدة لهفته على لقائي.

دمعت عيناه وضمَّني بقوة، لم أصدق نفسي...! إنه يراني، وهو لم يصدق عينيه أني على قيد الحياة.

سبحانك يا ربي بكلمة كن منك أيّ أمرٍ يكون.

عُدت إلى مطروح كفترة نقاهة وراحة للبال، أقضي وقتي في تأمُّل البحر وقراءة القرآن، ها أنا قد تحجبت مُعلنة قربي من الله، شاكرة ربي على نِعَمِه عليّ وتلك الفرصة التي لا يجب أن أضيعها من يدي.

لم يخبرني أحد عمَّا حدث مع كريم وعائشة؛ خوفًا من أن يجرحوا مشاعري، ولكن عندما سألتهم قالوا:

- إن كريم مسافر للخارج من وقت الحادث ولم يعد إلى مصر، وعائشة قررت أن تعيش في أمريكا.

طبعًا أمريكا هي المصحة النفسية التي بها، والتي سوف أزورها في أول فرصة أعود فيها إلى القاهرة من جديد.

مرَّ شهر على خروجي من المشفى، أول شيء قررت فعله هو زيارة عائشة، وعندما رأيتها كانت مذهولة لا تُحرك ساكنًا، ولكني اكتفيت بالنظر لها وعلى وجهي ابتسامة تَرتَسِم على ثغري، أنظر لها بشماتة، لقد فعلت المستحيل كي تدمرني، ولكنها هي من تدمرت في النهاية...!

صحيح أنَّ الشخص الحقود يتأذَّى أكثر من أذيَّته للغير.

***

فرحتي لا توصف أن العمل الخيري الخاص بي صار على أرض الواقع، شعور لا مثيل له برؤيتي إياه، شعور لا يوصف وأنا أشعر أني أوفر فرصة عمل وأمان وتعليم لأطفال الشوارع

والأيتام، آه لو يمكنني أن أنشئ العديد والعديد من هذا المشروع؛ لكيلا أدَع يتيمًا أو طفل شوارع محتاج.

***

ها قد أتى اليوم الموعود ١٧-١-٢٠٢١ موعدي للتبرع بالدم، آه يا له من يومٍ تتعلق به ذكرى مؤلمة للغاية.

عندما انتهيت من التبرع بالدم وقد أوشكت على الخروج من المشفى سمعت صوت شاب ينادي عليّ:

- أروما، أروما.

التفتّ إليه فرأيته وهو ينظر لي متشككًا بعض الشيء، وقال لي:

- أنتِ أروما، أليس كذلك...؟

ابتسمت من شدة السعادة التي تغمرني؛ لأني رأيته من جديد وقلت له:

- نعم، أنا أروما يا... شُبرا أليس كذلك...؟

ابتسم ابتسامته التي لا تفارقه ما دام ينظر لي.

- نعم يا أروما أنا شبرا، صدقيني لم أنسكِ لحظة، لدرجة أني قلت أنكِ لم تكوني حقيقة وأنكِ مجرد حلم ولكنكِ أجمل حلم حلمته.

وها أنتِ حقيقة، أجمل حقيقة رأيتها وأَوَدّ أن أعيشها.

منذ أن رأيتك وأشعر بأنك تسيرين في دمي، أشعر بأن الأطباء اختاروا كيس الدم الخاص بكِ؛ لكي ينقذوا به حياتي.

شعرت بالخجل من كلامه ومن نظرة عينيه التي لا تفارقني لحظة، إنه سارح في عيني بجنون؛ لذا قلت له وأنا أرغب في أن أُغيِّر الموضوع:

- ويمكن هذا ما حدث معي كذلك، آه، شُبْرَا، ما الذي أتى بك إلى هنا...؟

- أنسيتِ يا أروما! قلت لك أني أتبرع بالدم مرتين في العام في تاريخ محدد، ألم أقل لكِ من قبل أننا متشابهين في أمور كثيرة.

- حسنًا، يا شُبرا فرصة سعيدة، وسعيدة برؤيتك.

تلهف شُبْرَا وتغيرت ملامحه ومسكني من معصمي، ولكني نظرت له كي يتركني، ومن ثم أردف:

- آسف يا أروما لا أقصد، ولكن هذه الصدفة لن تمرّ مرور الكرام، لا...، لن تضيعي مني، أريدك معي اليوم، سوف أتبرَّع بالدم ومن ثم نجلس سويًا في المكان الذي يناسبك، أريد أن أتحدث معكِ كثيرًا، لم أرتح قط في حياتي مثل اليوم الذي كنتِ فيه معي، لن أجعلك ذكرى يا أروما، أريدك أن تكوني حقيقة في حياتي، بل سأقول لكِ الحقيقة وهي أني أريدك أن تكوني حياتي.

* أنظر له وأكتم ضحكتي ومن ثم قلت له:

- أنت مجنون يا شُبْرَا، ومشاعرك مجنونة مثلك.

أنت عفوي للغاية؛ لذا لن أتركك، أنا معك، وسوف أكون حقيقة في حياتك لا تقلق، ولكن أن أكون حياتك لا..، لن أوعدك بهذا.

- حسنًا، مع الوقت سوف تتغير رغبتك تجاهي.

- هههه، لِما تتحدث معي هكذا يا شُبْرَا؟ تتحدث معي وكأنك تعرفني منذ زمن.

- صدقيني يا أروما، أنا رأيتك ليلة فقط، ولكن أنتِ تعيشين في قلبي منذ ثلاث سنوات منذ أن رأيتك.

- أنت تتذكر إذًا اليوم، وهذا الطبع لا يوجد في الكثير من الرجال.

- إنه أفضل يوم في حياتي، كيف أنساه، كنت أعيش على أمل أن أراكِ في الواقع وها قد تحقق أملي، لقد قابلتك.

- إذا كنت تريد أن تراني كنت سألت في المشفى على الأقل.

- صدقيني يا أروما جئت إلى المشفى وسألت هل يوجد حجز باسم أروما، ولكن موظفة الاستقبال ردت ببرود أنه لا يوجد هذا الاسم في المشفى.

لذا ظننت أنك قد تكونين مجرد حلم، ولكن كان هناك صوت بداخلي يقول أنكِ حقيقة، وها أنتِ ذا.

-حسنًا يا شُبْرَا، أنا معك من الآن، احكِ لي ما تشاء.

***

الفصل الرابع

حب جديد

بعد مرور بعض الوقت... انتهى شُبْرَا من التبرع بالدم، فنظرت له والابتسامة قد رُسِمت على وجهي وقلت له:

- إنها لعادة حسنة يجب أن نفعلها جميعًا، وأن نحدد قدرًا من المال "من مرتب كل شهر" ونتبرع به للأعمال الخيرية بأي شكل من الأشكال، المهم ألا ننسَ الإحسان، ويجب أن نتذكر أن جزاء الإحسان هو الإحسان.

- صحيح يا أروما، وأشعر بضيق حقًا عندما أنصح أحدًا بتلك النصيحة، ويرد عليَّ بأنه ليس معه ما يكفي لذلك، فأقول له:

- لا تُحطِّم نفسك، ولا تقل ليس لدي ما يكفي للتبرع، تبرع ولو بأقل القليل، ولكن المهم أن تستمر على تلك العادة وأن تقول لمن حولك عليها، وتذكر أن "الدال على الخير كفاعله".

- أحسنت يا شُبْرَا، بالفعل قليل دائم أفضل من كثيرٍ منقطع أو غير مستمر.

نظر لي شُبْرَا وعيناه التي تشبهان عينَي الذئب عندما يحملق في فريسته، عيناه غريبة حقًا...! رسمتها توحي بالشراسة ولكن نظرته عطوفة حقًا، ألطف من نظرة القِط عندما يتوسل إليك.

عيناه سوداوان، برَّاقتان، حادتان، ولطيفتان، إنه لشخص غريب.

يمتاز شُبْرَا بشاربه الكثيف الذي يوحي بمظهر "سي السيد" بالفعل، ولكن لحيته تعطيه مظهرًا معاصرًا بعض الشيء، شعره أسود، ناعم وطويل ومعقود للأعلى، شكله يوحي بشاب متهور ولكن في نفس ذات الحِين يوحي بأنه شخص خلوق...!

لا أدري كيف أحكم عليه! كيف وهو يرتدي تلك السلسلة في رقبته وهذه الأساور في يديه، إذا كان شابًا آخر لقلت إنه ليس رجل ولكن شاربه الكثيف هذا يوحي بسلامته ورجولته الفذّة، وكثرة إعجابه بأسلوبي والتزامي يدل أنه شخص ملتزم ويحب من هم أقرب لله ويحب عمل الخير.

أقسم أنني لا أستطيع أن أفهمه، إن شخصيته وشكله يجعلاني مشتَّتة، ولا أستطيع أن أصل إلى قرار بشأن شخصه.

عُدت من شرودي ولكن شُبْرَا ما زال يحملق بي، سارحًا جدًّا، وعيناه تقول الكثير من الكلمات، طقطقت إبهامي والوسطى أمام عينيه؛ كي يفوق من أحلام اليقظة تلك، وقلت له:

- شُبْرَا، فيما أنت سارح، أسنظل واقفين ها هنا كثيرًا، لقد تعبت من المشفى ورائحتها، أنت تعلم أن المشفى مكان مُقبض بالنسبة لي.

- اعذريني يا أروما، ولكن أقسم لك... عينيكِ مثل البحر، وقد غرقت في بحر عينيكِ الزرقاوين، أنتِ أغرقتني في حبك من أول نظرة رأيتك بها، لا أدري كيف حدث معي كل هذا! ولكن أعلم أنها مشيئة الله أن أقابل حب حياتي.

شعرت بالخجل ولكني تمالكت نفسي وكتمت ضحكتي؛ لأن بالفعل أمامي شاب مجنون، ومن ثم نظرت له وأنا أحاول أن أظهر على وجهي بعض الصرامة:

- شُبْرَا ماذا تقول؟ ما هذه المشاعر الفيَّاضة، أنت لا تعرفني كي تقول لي كلامًا كهذا.

- أقسم لكِ يا أروما، أنا لا أقصد أن أضايقكِ، أنتِ لا تعلمي ما بداخلي تجاهك منذ أن قابلتك، صدقيني لم أؤمن يومًا بالحب من النظرة الأولى، ولكن عندما رأيتك تأكدت أنها حقيقة.

آه يا أروما... أتسمحين لي أن نذهب لكافيه أحبُّه كثيرًا بالقرب من الأهرامات؛ كي أُكمل لكِ ما بداخلي وماذا جرى معي كل تلك الفترة...؟

- أنا معك يا شُبْرَا، ولكني أُفضِّل أن تقول لي ما جرى معك فقط، لا أريد أن أعرف مشاعرك تجاهي.

قضب حاجبيه وشعر بغضبٍ شديد وأحمرَّ وجهه فبرز عرقان بارزان في جبهته، ومن ثم أردف:

- ولمَ لا تريدين أن تسمعي وتشعري بمشاعري أنا ما...؟

أسكتّه وأنا أضع سبابتي أمام فمه من دون أن ألمسه، وأردفتُ قائلة:

- لأنه وبصراحة لا يجوز أن تقول مشاعرك إلا لزوجتك على ما أظن.

- صدقيني إنها أسوأ ما جرى لي يا أروما، ارجوكِ أعطي لي فرصة أن أحكي لك ما جرى معي وماذا أشعر، أرجوكِ أنقذيني من البؤس الذي أنا به، أنتِ مُنقذتي من سواد العالم وأنا أسير حبك وغريق جمال عينيكِ، قد جعل الله بكِ راحة وفرحة لي يا أروما.

نظرته لي لم تجعلني أستطيع أن أستمر في صرامتي وقسوتي معه، عيناه صارتا دامعتين بشدة، وكأنه يقول لي "أرجوكِ لا تتركيني".

بالفعل تكلَّم شُبرا وهو يحاول أن يتماسك وألا تسقط ولو دمعة واحدة من عينيه، ولكن دموعه الحارة خذلته وسقطت على خديه، ومن ثم أردف بصوت مرتعش؛ بسبب الخوف من الخذلان:

- أنتِ سبيل النجاة لي في هذه الحياة، أنا ضائع في متاهة الدنيا وأنتِ من سَيرشدني للخروج منها بأمان ومن دون عناء، أرجوكِ كوني معي.

كادت دموعي أن تسقط؛ بسبب حالته تلك التي قطعت نياط قلبي، ولكني حاولت أن أتمالك نفسي، لم أتمكن قط في حياتي أن أرفض أحدًا، أو أن أترك أحدًا يستنجد بي، أحاول أن أساعد غيري بأيّ شكلٍ من الأشكال، أحب أن أرى البسمة على وجوه من حولي، ولكني مع شُبْرَا سوف أحاول أن أجعل نفسيته تتحسن من دون أن أُمَكنه من الوصول لما يبتغيه مني.

حقًا أنا لم أعد أرغب في الحب، وإذا أعطيت فرصة لأحدٍ أن يدخل في حياتي لا يمكن أن يكون رجلًا متزوجًا، استحالة.

نظرت إلى شُبْرَا واستطردت:

-هيا بنا يا شُبْرَا، إن الجوّ الآن مناسب جدًّا أن نكون بالقرب من الأهرامات، هيا وقل لي ما تشاء.

***

في طريقنا وجدت محل كتب (بوك ستور) أمامه بالونات، يبدو أنه قد كان هناك احتفال، طلبت من شُبْرَا أن يتوقف كي أشتري كتابًا، طلبت منه أن ينتظرني ولكنه أصرَّ أن يأتي معي، وبالفعل اشتريت كتابين ورواية واحدة، اسم الرواية كان غير مألوف اسم الرواية " بروفيتيا " المؤلفة لم أسمع عنها قط، اسمها "رانيا رمضان".

تَعَجَّلَني شُبْرَا... يبدو أنه لا يحب الكتب، ثم وصلنا إلى الكافية، ومن ثم أردفت:

- أوه...، كم أحب هذا المكان يا شُبْرَا.

نظر لي شُبرا بعينيه البراقتين المثبتتين عليّ واللتين لا تفارقاني قط، ومن ثم أردف:

- ألم أقل لكِ يا أروما أننا متشابهان كثيرًا.

- لسنا متشابهين يا شُبْرَا أنت تظن ذلك، إنها مجرد صدفة، كلانا يسكن في القاهرة إنه أمر طبيعي أن نتشارك في أماكن كثيرة.

- أنا لا أرى الأمر هكذا، حُب الأماكن لا يتفق عليه اثنان يا أروما إلا لو كان بينهما تشابُه.

غيَّر شُبْرَا الموضوع مسرعًا وسألني:

- ماذا تحبين أن تشربي الآن؟

- إن الجوَّ باردٌ بعض الشيء، كما تعلم أن المكان ها هنا شديد الحرارة في النهار حتى في عز الشتاء وشديد البرودة مساءً، لذا سوف أطلب كوب شاي بالنعناع.

ضحك شُبْرَا وأردف:

- أنتِ تشربين شاي بالنعناع، كنت أظن أن بمكانتك تلك سوف تضعين ساقًا فوق ساق وتقولين بوقار "أريد فنجان اسبريسو مثلًا...!".

ضحكت بسبب أسلوب شُبْرَا وأردفت:

- لا أدري ما دخل القهوة في الحب أو الثقافة أو الوقار، إنها لمشروب مثل أي مشروب وإن الناس جعلوا لها صيتًا وسمعة كبيرة، لم يتبقَ إلا أن يقولوا إنها تُحقق الأحلام.

- بصراحة أنا أُحبها جدًّا، ولكني سوف أطلب شاي مثلك.

- أنا أحب الأمور البسيطة في كل شيء يا شُبرا، يعني مثلًا أنا أرتاح في هذا المكان؛ لأنه يسمح لي أن أسرح في بساطة الماضي ولكن كل شيء أمامي يوحي بالعظمة، بينما الأماكن الآن مليئة بالبهرجة ولكنها خالية من الإبداع والعظمة.

- ليس كل ما هو شديد الجمال ومبهرج سيء من الداخل وليس عظيم يا أروما، ها أنتِ ذا شديدة الجمال من الخارج وعظيمة بأفعالك وشخصيتك المؤثرة فيمن حولك والمجتمع.

خجلتُ من كلامه واحمرَّ وجهي خجلًا، وأردفت:

- صدقني يا شُبْرَا... أنا لا أصدق هذا الثناء.

- هذا التواضع من جمال طبعك، وهذا ما يزين عظمتك.

صدقيني من يكون مميزًا في شيء ويظهر هذا لمن حوله ولكن بالكبر والغرور صدقيني هذا ليس بعظيم بل هو شخص مريض، بينما من يتواضع وهو مميز يكون عظيمًا حقًا، عظيم من الداخل والخارج.

أخذنا الكلام كثيرًا إلى أن حلَّ الليل مسرعًا وبدأت أمامنا حفلة الصوت والضوء، قال لي شُبْرَا ما رأيك أن نذهب ونشاهدها عن قرب، وافقت لأني أحب الأهرامات بشدة ولكني لم أجرب قط تلك الحفلة.

إنه لمشهد مهيب حقًا عندما ترى الآثار التي تركها أجدادنا خلفهم لكي يقولوا لنا كم كانوا متفوقين وعظماء في مجالات شتى، شعوري حينها أني مقصرة في حق بلدي وفي حق أجدادي الذين لم أمشِ على نهجهم وطريقهم نحو التميُّز والتفوق في كل شيء، أظن أن أجدادنا الفراعنة لم يقصدوا قَط أن يكتبوا التاريخ بأيديهم ويضعوا حجرَ الأساس في كافة العلوم كي يجعلونا فخورين بهم وكفى، هم دَوَّنوا كل ذلك كي يكون التاريخ

هو الدليل لنا في دربنا نحو القمة، وأن نكمل ما بدأوه هم ولكن سحقًا لنا جميعًا.

نظر شُبْرَا وقال هامسًا:

- أشعر عندما تسلط الضوء على أبو الهول أنه دبت به الحياة.

- هههه يا ويلنا، إذا دبت به الحياة لسوف ينتقم منا أشد انتقام؛ بسبب ما فعلناه في مصر العظيمة.

ومن ثم عمَّت الأصوات المُجسَّمَة في المكان الفارغ وزرعت في قلبي خوفًا شديدًا لدرجة أني نسيت نفسي ومسكت يد شُبْرَا بقوة! كي أطمئن...!

أما هو... فلم يُكذب خبرًا، ووضع يده فوق يدي وقال لي هامسًا وهو ينظر في عيني لكي يطمئنني:

- لا تقلقي أنا معكِ يا أروما.

سحبت يدي مسرعةً وقلت:

- آسفة جدًّا لم أُركز فيما فعلت، كان ذلك مجرد فعل بسبب خوفي.

- ولكني لم أشعر بهذا، أنا شعرت أني مصدر الأمان لكِ يا أروما، وشعرت أنه يجب أن أكون جديرًا بهذا الموقف.

- شُبرا أنت تكبر الموضوع، أنا مصدر الأمان والثقة لي هو الله وكفى، بعد الذي مررت به في حياتي أنا مكتفية بالله فقط ولا أحتاج لأحد.

- أروما لا أقصد أني أق...

- شُبْرَا هذا يكفي، أريد أن أرحل الآن؛ لأن الوقت تأخر وأريد أن أنام لأني أستيقظ باكرًا.

حزن شُبْرَا كثيرًا وقال لي:

- أنتِ مستاءة مني، لم أقصد أن أقو...

- يا شُبرا أنا سعيدة جدًّا لأني قابلتك اليوم، أنا فقط أريد أن أرتاح.

- معنى هذا أننا سوف نتقابل مرة أخرى...؟

- إذا أراد الله سوف نتقابل صدفة مثل هذه المرة.

- لا، الله قال خذ بالأسباب، أريد رقم هاتفك وسوف ننسق موعدًا كي نكون فيه معًا.

- حسنًا يا شُبرا، .....٠١.

مجرد أن نزلت من سيارته ووصلت البيت، ألا وهاتفي يرن، حينها عرفت أنه ذاك المجنون شُبْرَا، رددت عليه فقال لي:

- صدقيني يا أروما لا أقصد أن أُضايقكِ، ولكني أشعر أنني لا أستطيع أن أبرح مكاني إلا برؤيتك مرة أخرى.

- حسنًا يا شُبرا في الغد نقرر سويًا بشأن هذا الأمر.

- لا بل أقصد الآن.

- كيف أفعل ذلك؟

- اخرجي من شرفة غرفتك، أريد أن أراكِ، لا أدري قد أموت الليلة، ولا أريد أن أترك في خاطري شيئًا قبل أن أموت، اعتبريها أمنيتي، وأرجوكِ حققيها.

- لا لن تموت يا شُبرا، وهيا عد إلى بيتك وزوجتك، أنت م...

- أرجوكِ لا تذكري سيرتها، أريدك أنتِ، أريد رؤيتك أنتِ، أريد أن أشبع من رؤيتك قبل أن أرحل، ومن ثم سأذهب إلى بيتي... أغمض عيني وأنام ولا أرى غيركِ ولا أفكر في سواكِ.

سوف أخرج كي يتوقف ذلك الثرثار عن الحديث، إنه يعاني من فراغ عاطفي حقًا...!

- ها أنا ذا يا شُبْرَا، هيا عُد إلى بيتك الآن.

- لا، لن أعود قبل أن تَعِدينَنِي.

آه يا ربي إنه مخبول حقًا، إنه يعاملني كأنه يعرفني منذ فترة طويلة، لا أدري لمَ أنا متحملة لِجنانه، كل ما أفكر به أن أوقفه عند حدِّه، ولكن تمنعني نظرة عينيه المكسورتين الحزينتين، ومن ثم بعدما سكت برهة قلت له:

- ماذا تريد يا شُبْرَا، أرجوك أنا أرغب في النوم بشدة.

- تعلمين فيلم علاء الدين.

- نعم أعرفه، ومن لا يعرفه؟! ها ستقول لي أني أنا ياسمينا وأنت علاء الدين وتُثرثر، أليس كذلك...!

- لا، أنا لا أستطيع أن أُشَبِّهكِ بياسمينا، ولا أستطيع أن أشبهك بأي امرأة في العالم، أنتِ ليس لكِ مثيل يا أروما.

- حسنًا ماذا تريد...؟ وفي قرارة نفسي هيا أيها المجنون توقف عن جنانك وارحل.

- تعرفين " الجِنِّي " أليس كذلك؟

- أوه، لم تشبهني بياسمينا ولكن تشبهني بالجِنِّي السمين، شكرًا يا شُبْرَا.

- هههههه لم أقصد هذا، ولكن أقصد أني محظوظ جدًّا؛ لأني دخلت المشفى التي تمثل لي وجود مصباح علاء الدين، وعندما قابلتك هناك مثل عندما دعك علاء الدين المصباح، وعندما قابلتك اليوم مثل خروج الجِنِّي من المصباح، ها أنا ذا أريد أن أتمنى أمنية من أمنياتي الثلاث.

- لا تنسَ أنك طلبت واحدة منذ قليل أن أخرج كي تراني.

- حسنًا، لا يهم، أمنيتي هي أن تكوني معي إلى الأبد.

- والثالثة...؟

- لا..، دعيها في وقتٍ آخر.

- لا..، الآن يا موص طا فا.

- هههههه، تذكرتِ فيلم إسماعيل ياسين الآن.

- هيا يا شُبْرَا أرجوك أريد أن أعود للداخل وأنام.

- أتمنى أن تحبيني بجنون.

- بجنون مرة واحدة، حسنًا يا شُبْرَا، غدًا نتحدث تصبح على خير.

- وأنتِ من أهلي، ومن أهل الجنة يا أروما.

أغلقت الهاتف وأنا أُتَمتِم، من هذا الأحمق الذي ظهر في حياتي...! أوه، لا تفكري يا أروما.

ومن ثم لم أستطع أن أنام ليلتها؛ لذا قررت أن أقرأ الرواية حتى أنام، إن الرواية لغريبة حقًا، كم أتمنى لو كان لديّ قدرة البطلة بأن أرى كل شيء في عيون من حولي، وأن أُغير قدري، ولكنها مجرد رواية ولا يوجد مثل هذه التخاريف في الحقيقة.

***

تمرّ الأيام وشُبرا يفرض نفسه ووجوده في حياتي، بل يشاركني يومي بالفعل، أنا لا أشعر بالضيق أبدًا بسبب وجوده في حياتي، بل اهتمامه بي جعلني أتعلَّق به وأحب وجوده في حياتي.

اهتمامه بي ليس كأيّ اهتمام، إنه يحتويني حقًا، اهتمامه وحبّه وتعلُّقه بي مثل الطفل مع أُمّه، تعلُّقه الجنُونيّ بي يجعلني أتغاضى تمامًا عن ظروفه الحالية وكونه متزوجًا.

حاولت مرارًا أن أجعله يبتعد عني، ولكنه كان يقترب أكثر...! يحبني أكثر، يتعلق بي ويعلقني به أكثر...!

إصراره عليَّ جعلني أُحبّه.

لم أتخيَّل قَط أنَّ هنالك شخصًا يصر مثل إصرار شُبْرَا عليّ، إنه يدعو الله ليلًا ونهارًا كي أكون نصيبه.

صار يشاركني كل شيء لدرجة أنه صار يفعل أشياء لا يحبها من أجلي فقط، ذهب معي إلى معرض الكتاب من أجل أني أحبه فقط.

وأنا في معرض الكتاب قابلت تلك الكاتبة مؤلفة رواية "بروفيتيا" إنها شابة صغيرة جدًّا، ومدحتها على روايتها فشعرت بالخجل لأنها لم تتخيَّل ذلك، ومن ثم تعرَّفت عليها ومع الوقت صرنا أصدقاء وعرفت عنوانها.

في عام ٢٠٢٢ في شهر يوليو، أصرَّ شُبْرَا أن أُصارحه بمشاعري تجاهه، على الرغم من مرور أكثر من سنة ونصف وأنا لم أقل حرفًا واحدًا لشُبْرَا، بل أنا أحاول جاهدة أن أجعله يبتعد عني وأقول له برفق أن يهتم بزوجته وأن يحمد الله على اختيار الله له، ودائمًا أُذكِّره بقول الله تعالي {وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم}.

عندما أقول لشُبرا ذلك يخرج عن طوره ويقول لي للمرة المليون:

-هي ليست خير لي يا أروما، لا أشعر بالراحة معها صدقيني، لا أدري لمَ تزوجتها، ولا أدري كيف حتى...؟!

صدقيني يا أروما أنا لم أرغب قط بالزواج، أنا شاب مستهتر جدًّا وعلاقاتي كانت كثيرة جدًا، ولم يكن لديّ ثقة في أيّ أنثى، أنا أي بنت تقع في حبي، سواء كانت فتاة خفيفة سهلة، أو حتى

المحجبة التي تظهر لمن حولها أنها وقورة وتعرف ربها، صدقيني كل منهن كنت أستطيع أن أحصل على ما أريد منهن بسهولة وأتركهن، أعلم أني سيئ جدًّا، ولكن أنا معروف أني لست شابًا سيء السمعة وذلك بفضل ستر الله عليّ، أعلم ذلك.

كانت أمي عندما تراني تفتح معي أمر الزواج، وتقترح عليّ بعض الفتيات التي ترى أنهن ذوات خلق، ولكني كنت أقول لها لا أريد يا أمي، أنا لن أجد امرأة خلوقة مثلكِ، البنات الآن فاسدات حقًا، حتى من تظهر أنها تعرف الله تحت حجابها هذا مصائب يا أمي، كلهن خفيفات يا أمي.

أمي كانت عندما تسمع ذلك تحزن من أسلوبي وتقول لي، لا تُعمِّم يا بني، الدنيا ما زالت بخير، وها هن أخواتك البنات الناس تحلف بطبعهن وتديُنهن، سوف تجد من تَصونك.

أوقفت شُبْرَا عن كلامه وقلت له وصوتي كله حِدَّة:

- كيف تقول على بنات الناس هكذا، أنت من تأتي إليهن أم هن من يأتين إليك ويعرضن أنفسهن عليك كي تقول عليهن خفيفات.

- صدقيني يا أروما يوجد منهن من فعلن ذلك.

- بالتأكيد أنت من كنت تطلب منهن ذلك، لا ترمي اللوم عليهن فقط فلا تكن شرقيًا، إذا كان هن فاسدات؛ ذلك لأنك فاسد.

لا تكن رجلًا شرقيًّا يرمي اللوم والعيب على المرأة وهو مهما يفعل من أخطاء لا يقع عليه اللوم.

بل أنت الفاسد؛ لأنك من أفسدتهن.

المرأة كائن رقيق، يشعر أغلب الأحيان ولا يفكر بالعقل، فبعض البنات يستخدمن قلبهن لا عقلهن فيجرين وراء العاطفة والهوى، وفي النهاية يخسرن كل شيء.

كل ما على البنات فعله حقًا ألا يثقن بمن هم أمثالك يا شُبرا.

الصحيح أن يملأن قلوبهن بحب الله بدلًا من العشق والهوى لأنهن لن يأخذن من اتباع الهوى إلا السقوط في الهاوية، والخسران والخذلان وقلة القيمة.

- ها، أرأيتِ الآن يا أروما لمَ أحبك أنتِ؟

أحبك لأنك تفهمين الأمور بشكلٍ صحيح.

- لا تقل لي إنك تحبني! أنت شخص ليس لك أمان أن تتحدث على بنات الناس هكذا كي تتفاخر برجولتك، بل إن كل ما قلته يعود بالنقص عليك؛ لأنك كذبت عليهن وخنت وعدك لهن وتسليت بهن، فالويل وكل الويل لك على ما فعلت.

أنا لا أدافع عنهن إنهن أخطأن خطأً فادحًا، ولكن أنت العامل الأساسي في ذلك يا شُبْرَا.

- أروما افهميني، أنا لم أعد أفعل ذلك بمجرد أن تزوجت صدقيني، أنا لا أخون.

ذهلت وضحكت، وقلت ساخرة:

- لا تخون...! هههه أنت طوال الوقت تطلب مني أن أحبك، أليست هذه خيانة لزوجتك؟

- لا، ليست خيانة، أنا أنتظر منك توافقي عليّ وأتزوجك، أنا رجل وهذا حقي وهذا شرع الله.

- يا سلام، الآن تتكلم عن شرع الله في تعدد الزوجات، بينما ارتكاب الفواحش والكذب واللعب ببنات الناس لا تعرف وقتها شرع الله.

أنتم يا رجال العرب تفسرون الدين كما تشاؤون، أنتم رجعيين ومتسلطين، أنانيين ولا تفكرون إلا في ذاتكم وكفى.

- أنتِ تعلمين أن الله غفور رحيم، وأنا تبت عن الذي فعلته، إنها فترة الشباب كما تعلمين، ولكن أنا أريدك حقًا، ولا أتخيَّل حياتي من دونك.

- سامحني يا شُبْرَا، أنت بالنسبة لي أخ وصديق رائع وأحب وجودك في حياتي لا أكذب عليك، ولكن مبادئي لا تسمح لي أن أخرب بيت أحد، ولا أن يكسر قلب امرأة وأكون أنا السبب.

- لا لستِ أنتِ السبب، إن التفاهم بيننا سيء جدًّا منذ البداية، ولكن هناك شيء يربطني بها يجعلني لا أستطيع أن أتخذ خطوة الانفصال منذ الخطوبة صدقيني.

أقسم لك أنني لا أكنّ لها أيَّة مشاعر، ولكن أشعر أن الوقت لم يحِن للانفصال، ولكن أريدك أن توافقي عليّ... أرجوكِ، أنتِ دعائي من الله صدقيني يا أروما.

- لا يا شُبْرَا، لن تنفصل عنها هي نصيبك، عسى أن تكون خيرًا لك وأنت لا تدري.

- يا أروما خير لي كيف قولي لي، عندما قابلتك يوم الحادث منذ أكثر من أربع سنوات ونصف كنت متزوجًا من شهر فقط، وانظري ماذا جرى لي بمجرد العودة من شهر العسل؛ لقد كنت بين الحياة والموت، بعد سنة من زواجي أمي ليلى ماتت، وبعد وفاة أمي بستة أشهر لحقها أبي، كل هذا بمجرد عام ونصف من زواجي منها المصائب لا تتوقف عن ملاحقتي وعلى الرغم من زواجنا طوال هذه المدة لم نرزق بطفل على الرغم من أنه لا يوجد عيب في أيّ منا، ولكني أشعر أن الله لا يريد أن يربطني بطفل يُعلقني بها وغير ذلك الكثير أقسم لك.

- إن الموت قدر ومكتوب يا شُبْرَا، لا تقل ذلك.

- أنا أريدكِ أنتِ، أنا لم أجد الحب في حياتي من قبل، وجدت الحب معكِ يا أروما، لقد وجدت بكِ كل ما أتمناه وأكثر، حياتي تغيَّرت للأفضل، ونفسيتي قد تحسنت كثيرًا، أنتِ راحتي يا أروما؛ لذا لا تتركيني.

كان دائمًا يردد نفس الكلام، كنت أشعر أن حياتنا تتكرر، كل يومين يفتح معي نفس الموضوع ويجد مني نفس رد الفعل وتندلع بيننا النيران...!

تمرّ الشهور وشُبْرَا معي خطوة بخطوة في يومي، حتى في اللحظات التي يكون في عمله ليتابع الأمور الضرورية فقط

يتصل بي كي أكون معه كل لحظة، يكتفي بسماع همسي ونفسي أو صوتي مع من حولي، ودائمًا يقول:

-أريد أن أشبع منك بأن تكوني معي طوال اليوم، وعلى الرغم من ذلك لا أشبع منك قط.

حينها تذكرت كريم، كان بيننا حب لا أنكر ذلك، ولكن حب كريم لي لم يصل مرحلة الجنون مثل شُبْرَا، كريم كان هدفه الأول العمل، بينما شُبْرَا هدفه الأول أنا، وهذا يجعلني أفكر من جديد في علاقتي به، لم أرَ حبًّا كهذا...!

حب تفوّق على الخيال لدرجة أنه اشترى فيلا في نفس التجمع السكني الخاص بي، فيلا بالقرب مني، وصار يترك زوجته بالأيام بحجة العمل، وعلى قدر ما كنت أسعد لأنه معي ويريدني أنا فقط ولا يريد من الحياة شيئًا سواي؛ إلا أنني قد كان بداخلي شعور الخوف من أن يفعل معي هكذا بعد حين، ولكن كان يُثبت لي العكس، كلما زادت فترة علاقتنا زاد تعلُّقه بي بجنون، وللحق أنا بمجرد أن بعد عن زوجته لفترات طويلة بدأت أحبه وبدأت أشاركه المشاعر، أعلم أن ما أفعله خطأ، وبداخلي صوت يقول لي أن ما أفعله ليس خطأ هو الذي يحبك وهو الذي لا يريد زوجته ليس لك ذنب، أنتِ لا تقصدين أن تخربي بيت أحد، بل هو مخروب ليس لك ذنب في ذلك، وصوت آخر يؤنبني ويصيح فيَّ... "لا يا أروما ابتعدي عنه حتى وإن كان يحبك، إن شخص كهذا ليس له أمان، إذا كان لا يريدها فليطبق شرع الله يقول "إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان" إن كان لا

يريدها حقًا فليطلقها، لا تُدخلي نفسك في متاهة هذه العلاقة على الأقل إلى أن يأخذ خطوة من أجلك...".

قلبي وعقلي في صراعٍ طوال الوقت، وكلاهما صحيح، وأنا لا أدري لمَ ظهر شُبْرَا في حياتي؛ كي أفرح بحبّه! أم لكي أتألم بسبب ظروف تلك العلاقة؟!

عندما يأتي لي شُبْرَا كالعادة في مكتبي، يقول لي:

- كم كنت أتمنى لو كنت رأيتكِ قبل زواجي يا أروما، أقسم لك لكنتِ الآن زوجتي التي أفتخر بها أمام الناس جميعًا، فخور لأني أعيش قصة حب لم يعشها أحد قط.

- من يمكنه أن يفسخ خِطبة بإمكانه أن يخرج من علاقة زواج فاشلة كما تقول.

- لا أدري يا أروما ولكن أنتِ تعلمين أنا لا أحب أن أظلم أحدًا، ولكن أشعر أن ذلك لقريب، إني أدعو الله وهذا بيد ربي.

- كل شيء بيد الله ولكن الله يقول خذ بالأسباب يا شُبْرَا، وإني مستغربة حقًا من أسلوبك لمَ فقدت حماسك في الكلام مثل كل مرة.

- لا أدري يا أروما، ولكن ليلة أمس كانت ليلة مؤرقة حقًا، لقد رأيت حلمًا غريبًا.

- احكِه لي يا شُبْرَا عسى أن يكون خيرًا لك، أنا أفهم القليل في علم الأحلام ولكن إن لم أفهم الحلم لن أفسره.

- حسنًا سوف أحكي لك.

ومن ثم أخرج شُبرا علبة السجائر الخاصة به وأخذ سيجارة وبدأ يدخن أمامي، ذهلت وقلت له:

- أنت تعلم جيدًا أنا لا أقبل التدخين، وأنت قد وعدتني أنك سوف تترك تلك العادة السيئة لا أن تمارسها أمامي من دون أي احترام لرغبتي.

كان شبرا مُبلبل الفكر وينفث دخان السيجارة وهو لا يبالي بما أُثرثر به، باله مشغول بأمر آخر، ومن ثم رد عليَّ وقال:

- أروما أرجوكِ لا تكبري الموضوع، ها قد أوشكت على إنهائها، أنا لا أقصد أن أضايقك ولكن أعصابي تحتاج إلى أن تهدأ.

- وما دخل السم الذي يدخل جسدك في راحة أعصابك؟

- أروما ها قد انتهيت منها، دعيني أحكي لكِ ما رأيت.

ما زلت في حالة صدمة لمَ فعله شُبْرَا أمامي ولكن هو بمنتهى البساطة شرع في الكلام وكأنه لم يفعل شيئًا يضايقني.

- بالأمس رأيت أنني أحمل حقيبة سوداء كبيرة على ظهري يا أروما، وأمشي في الحارة في منطقتي (شُبْرَا) ومن ثم انزلقت في طين كثير إلى أن اتسخت كلي بالوحل والناس أمامي ولكن لم يساعدني أحد، ولكن ينظرون لي ويتهامسون، ومن ثم استطعت أن أخرج من الوحل وذهبت إلى البيت، فرأيت أمي الله يرحمها هناك... فاغتسلت، ثم رأيت أن أمي تمد لي قميصًا جديدًا لونه وردي بعض الشيء.

وبعد ذلك بدأت الدموع تسقط من عينيه وهو يمسحها مسرعًا، ولكن تنهمر دموعه على خديه بلا توقف، هو يحاول السيطرة عليها ولكن بلا جدوى، حينها نسيت موضوع التدخين من بالي وكل شغلي الشاغل أن أجعل شُبْرَا يرجع إلى سابق عهده معي، هو من يرسم الضحكة على وجهي بسبب تصرفاته العفوية المجنونة، أظن الوقت قد حان لكي أرد له جزءًا مما يفعله معي.

ولكن في قرارة نفسي أقول... أوه أمامي رجل عمره 35 عامًا ولكن بمجرد ذكر سيرة الأم يتحول إلى طفل، طفل يحتاج إلى أمه، يحتاج إلى حنانها وعناقها له.

اضطررت أن أترك مكتبي وسحبت الكرسي الآخر؛ لكي أجلس أمام شُبْرَا كي أُطَمئنه وأهوّن عليه.

نظر لي بعينيه التي احمرَّت بسرعة من شدة الحزن الذي يشعر به؛ لكن بمجرد أن اقتربت منه أمسك يدي! ولأول مرة أسمح له بذلك رغم أننا ها قد اقتربنا على عامين مع بعضنا البعض، ثم همس لي والدموع ما زالت تنزل من عينيه:

- أروما، أنتِ مثل أمي في حنانها، لم أرَ بحنانك من قبل يا أروما، فابقي معي.

لم أستطع أن أقول شيئًا سوى أني أومأت برأسي بأن نعم موافقة.

ومن ثم حاولت أن أُغير الموضوع وقلت له:

- بصراحة لا أدري ما الرسالة وراء هذه الرؤيا ولكن أظن أن فترة صعبه تمر بها تعقبها فترة جميلة، لا أدري حقًا كنهها.

نظر لي وقد تحولت نظرته إلى سعادة عارمة ولكن مازال بها بعض بريق الحزن، ومن ثم أردف:

- لا أريد أن أعرف ما كنهها، يكفيني أن الواقع صار جميلًا والحياة بدأت تضحك لي بموافقتك عليّ.

توترت أظن أن شُبْرَا قد فهم الأمر بشكل خاطئ، أنا إلى الآن ما زلت مترددة وأرغب في كونه صديق أكثر من حبيب؛ لذا حاولت مسرعة أن أوضح له ليس من طبعي أن أظلم أحدًا:

- شُبْرَا، يبدو أنك فهمت كلامي بشكل خاطئ، أنا معك دائمًا ولن أتخلى عنك، ولكن كصديقة وأخت لا كزوجة، لا أريد أن أحل محل كان هناك أحد قبلي به.

- ما هذا الهراء، يعني مثلًا إن كنت غير متزوج كنتِ قبلت بي بسهولة، إن الشخص غير المتزوج كان هناك في قلبه أحد قبلك، إن الأمر لا يختلف كثيرًا صدقيني.

- أشعر أني سوف أحمل ذنبها طوال عمري.

- لا لن تحملي ذنبها، الذنب ذنبي لأني تزوجت امرأة لا تناسبني، ندمت أني تسرعت لكي أرضي أمي التي كانت ترى كل أصدقائي مِمَن هم في سني وأصغر مني قد تزوجوا وأولادهم معهم؛ لذا فضَّلتُ رضاها على إسعاد نفسي، ولو عليّ لما تزوجت قط.

أرجوكِ فكري يا أروما.

- وبعدما أفكر وآخذ قرارًا... ماذا سوف تفعل؟

- سوف أفعل من أجلك المستحيل، صدقيني.

***

تمرّ الأيام وها نحن في آخر شهر ديسمبر عام 2022، أي بالأحرى كانت ليلة رأس السنة الميلادية.

جاء لي شُبْرَا وأخذني لكي نخرج في رحلة يخت في النيل، كان اليخت مزينًا بالورود والكثير من مصابيح الإضاءة الصغيرة، كان اسمي مكتوبًا بالمصابيح الصغيرة في أعلى اليخت، يوجد الكثير من البالونات الوردية والبيضاء، إنهما أكثر الألوان التي أحبها بشدة، حتى الورود كانت بيضاء ووردية، لقد زين كل شيء كما أحبه أنا.

لقد أحببت شُبْرَا بشدة؛ لأنه مهتم بكل تفاصيلي، يعرف عني كل صغيرة وكبيرة ويهتم بها، لم أرَ مثله قَطّ...!

عَبَّرت له عن سعادتي، وكان واضحًا عليّ من معالم الفرحة والدهشة التي رُسمت على وجهي، ومن ثم قال لي وهو ممسك بيدي:

- إني سعيد لرؤية السعادة على وجهك يا أروما.

- أنت تعلم جيدًا كم أحب النيل، إنه الروح بالنسبة لي، أنا أعشق الماء سواء كان بحرًا أو نيلًا.

نظر لي نظرة العاشق الولهان كعادته، واستطرد:

- وأنا أعشقك أنتِ يا أروما.

احمرَّت وجنتي ومن ثم ابتسمت له وأنا أضربه برفق على عضده لكي يتوقف عن مغازلته لي، وأردفت:

- أنا أحب ال...

قاطع كلامي وأمسك بيدي وقبَّلها، ومن ثم قال:

- وأنا أحبك أنتِ ولا أريد أن أحب أو أن أرى سواكِ يا أروما.

أخذنا الوقت واستمر كلامنا وضحكنا كالعادة، إن فمي يؤلمني بشدة من كثرة الضحك مع شُبْرَا، إنه صاحب أجمل روح في العالم، لم أشعر بسعادةٍ في حياتي مثل تلك التي عشتها مع شُبْرَا، ومن ثم سمعت صوت دقات ساعة بصوت عالٍ والعد التنازلي قد بدأ، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١ ....

ومن ثم أُطلقت العديد من الألعاب النارية ورأيت ستارًا قد أسدل على جدار اليخت مزينًا ومكتوب عليه " Marry me Aroma "

وبمجرد أن أنزلت نظري من على الستار المنسدلة رأيت شُبْرَا جالسًا على إحدى ركبتيه ويقدم لي خاتمَ ألماس ويعرض عليّ الزواج.

نفس الموقف يتكرر معي، لمَ دائمًا هنالك من تشاركني الشخص الذي يحبني وأحبه.

كنت مترددة والدموع نزلت من عيني من شدة التوتر الذي أشعر به.

لا أدري ماذا أقول، ولكن بمجرد النظر لعيني شُبْرَا الذي يتوسل لي بهما لم أستطع الرد، ولكن شُبْرَا فاجأني أمسك بيدي وألبسني الخاتم في بنصر يدي اليسرى، قلت له:

- ماذا تفعل يا شُبْرَا؟ أنت مجنون حقًا.

- لا لست مجنونًا، ولكن أقسم لك يا أروما إن لم تقبلي بي كزوج لكِ سوف انتحر الآن.

من ثم أخرج مسدس عليه كاتم صوت من درج في اليخت وأكمل كلامه وهو يراني قد رسم على وجهي كل ملامح الرعب والخوف أن يفعل ذلك المجنون شيئًا في نفسه:

- إن وافقتِ عليّ سوف أبدأ سنة جديدة وأنا أشعر بأني قد ولدت من جديد، إنما إن رفضتني سوف أعتبر أن هذا آخر يوم في حياتي، لا أريد أن أعيش أكثر من ذلك وأنتِ بعيدة عني، ولا أريد أن تكوني لغيري.

- ولكن يا شبرا أنت هكذا تعرضني للخطر إذا فعلت في نفسك شيئًا.

- وهذا ما أريده يا أروما... أريد أن تكون حياتك هي حياتي، وإن كنتِ تريدين غير ذلك، فقولي "عليّ وعليكِ السلام...!".

نعيش سويًا أو نخسر حياتنا سويًا، أنا بالانتحار وأنتِ بالسجن أو الإعدام.

صرخت به وقلت وأنا أصيح في وجهه:

- أجُنِنت يا شُبْرَا! أتهددني!

-أنا أفعل ذلك لأنك تماطلين معي كثيرًا ولا تشعرين بنار الحب التي اندلعت في قلبي من أول مرة رأيتك منذ خمس سنوات.

-أنت تعلم الظروف و....

-اششششش، اسمعي يا أروما، ردك الآن موافقة أم لا؟

وبدأ العد، وأنا أحبه حقًا ولكن لا أريد أن أوافق وأكون معه في هذه الظروف، ولا أن أرفض لأني أعلم أنه مجنون حقًا واحتمال كبير أن يفعلها لأنه يعاني من حياته كثيرًا.

وصل ل4،5 ولكني أوقفته وقلت له موافقة.

رمى المسدس وهرع إليّ وعانقني باكيًا، وأردف وهو يبكي:

-كنت أعلم جيدًا أنكِ سوف توافقين، قلت لكِ مرارًا لن أجد أحنّ من قلبك، لن أجد من يحبني مثلك حتى وإن كنتِ لا تصارحيني بذلك كثيرًا، ولكني أشعر بكِ أشعر بمشاعركِ تجاهي، أنتِ تحبينني كما أحبك، لا أكيد أنا أحبك أكثر بكثير.

لذا سوف نتزوج الليلة.

صدمت وقلت له:

- ماذا؟ نتزوج كيف؟ أهلي لا يعلمون! وأنت لم تطلق، لم أوافق على هذه زيجة...

- أروما توقفي أرجوكِ، إنها فترة صدقيني، وبعد ذلك سوف نرتب الأمور، ولكن أنا أريد أن أبدأ عامي هذا وأنتِ زوجتي.

- شُبْرَا أنا ابنة ناس وأهلي يريدون أن يفرحوا بي، لا أن أجلب لهم العار.

- ومن قال ذلك، سوف نتزوج على سنة الله ورسوله، ولكن دون علم أحد.

لفترة فقط وبعدها سوف تكون الأمور كما ترغبين أنتِ يا أروما صدقيني، أعطِ لي فرصة أثبت لك.

- اثبت لي فيما بعد، أنا لست متعجلة.

- ولكن أنا متعجل وأريد أن تكوني نصيبي من الآن.

سوف أتصل بأخي مروان وصديقي حامد لكي يأتيا بالمأذون ونتزوج.

- وأخوك وصديقك يعلمان بما تنوي عليه!

- هما يحباننني جدًّا، وكل ما يريدانه أن يرياني سعيدًا في حياتي، أقسم لك فترة بسيطة والكل سوف يعلم أعطِ لي فرصة أثبت لك.

- شُبْرَا افهمني، أنا لا أرفضك ولكني أرى أن الوقت ليس مناسبًا لهذه الخطوة.

وأنت إن أردت أن تغير شيئًا كنت توقفت عن التدخين أو تقربت إلى الله أكثر، أنت لا تحافظ على صلاتك فكيف سوف تحافظ

عليَّ وهذا أمر يجعلني مترددة من شأنك، لدينا وقت إلى أن ترتب أمورك كلها.

-أعدك سوف أتغير من أجلك و...

صوت شُبرا بدأ يصير بعيدًا جدًّا لا أسمعه بوضوح، بل رؤيتي لشُبْرَا بدأت غير واضحة أبدًا...

أسمع صدى بعيدًا إلى أن خرّت قدمي وسقطت أرضًا، ولا أتذكر ما حدث بعدها.

***

الفصل الخامس

الخسارة

أفقت من جديد ومن ثم رأيت شُبْرَا أمامي وملامح الخوف والقلق قد رُسمت على وجهه، سألته وأنا أحاول أن أجلس لأني كنت ممددة:

- ماذا حدث يا شُبْرَا؟

- لا أدري يا حبيبتي، يبدو أن ضغط دمك قد انخفض وفقدتِ الوعي.

سكتت برهة وأنا يدور في عقلي الظنون والشكوك، أظن أن شُبْرَا رشَّ شيئًا ما لكي أفقد وعيي، ولكن عندما نظرت إلى ساعتي لم يمرّ إلا عشر دقائق فقط، وأنا بالفعل أعاني من حالات هبوط بعض الأحيان، قد يكون شُبرا صادقًا.

من ثم همَّ شُبْرَا وأحضر لي عصير الليمون بالنعناع الذي أحبه بشدة صيفًا وشتاءً، ولكن عندما أحضره لي نظرت له نظرة شك ورفضت أن أشربه، ولكنه أردف:

- أنا لن أفعل شيئًا يضرك يا أروما أنتِ حبيبتي، ولكي أثبت لك ها أنا سوف أشرب من الكوب قبلك إذا كنتِ لن تشمئزي مني.

- لا أشمئز منك يا شُبْرَا أنت فهمتني خطأ، أنا فقط لا أريد.

- لا بل يجب أن تشربي وسوف أشرب أنا قبلك، ها..

جرع شُبرا بعضًا من العصير، ومن ثم أردف:

- ها أنا ذا يا أروما لم يصِبني شيئًا، اشربي حبيبتي كي تكوني بخير.

ومن ثم ابتسم لي وأمسك بالكوب وضعه على فمي؛ لكي أبدأ بالشرب.

وبالفعل مرّ بضع دقائق وقد تحسنت بعد أن شربت، بل وعاد المزاح بيننا، كأنه لم يكن بيننا أي جدال.

وجاء حامد ومروان والمأذون وكنت سعيدة جدًّا ووافقت على الزواج، لا أدري ما حلَّ بي لكن هذا ما حدث.

في صباح اليوم التالي وجدت نفسي على السرير وملابسي قد تبدلت، أنا ما زلت في اليخت، استغربت في أول ثوانٍ من استيقاظي ولكن سرعان ما تذكرت كل شيء بمجرد أن رأيت شُبْرَا دخل المكان، شرعت أغطي نفسي، قال لي ضاحكًا:

- أنا زوجك يا أروما، لا يوجد داعي للخجل بيننا من الآن، أنا وأنتِ صرنا واحدًا، ألا تتذكرين...؟

تركت الغطاء ووقفت لكي أرتدي الروب ومن ثم قلت مستغربة:

- نعم تذكرت كل شيء، ولكني كنت أظن أن ما حدث أشبه بحلم.

- وإنه لأجمل حلم يا رو، ولكنه لم يعد حلمًا بل صار حقيقة.

- ما هذا الاسم رو!

- أريد أن أطلق عليكِ اسمًا لم يقله لكِ أحد من قبلي.

- أنا مشتَّتة حقًا يا شُبْرَا، لا أدري كيف وافقت، وكيف حدث ذلك.

- قلت لكِ يا أروما إن الله عندما يريد تتدبر الأمور من حيث لا نحتسب.

- ولكن ما فعلناه ليس صحيحًا.

- بل نصف صحيح، وسوف يكون صحيحًا تمامًا عن قريب.

قدم لي شُبْرَا مشروبًا ومن ثم عادت أجواء المرح من جديد.

***

ومن ثم حجز شُبْرَا تذكرتين وبعد يومين في اليخت سافرنا إلى لبنان، فهو يعلم جيدًا كم أحبها.

ولكن هناك كانت الصدمة.

في يوم كنت في ردهة الفندق حينها رأيت كريم، على الرغم من أنه كان يمشي مسرعًا كعادته ولكن لسبب ما رأيته بعد كل هذه السنين (خمس سنوات) وقف أمام عيني ولم يُحرك ساكنًا، على الرغم من إني محجبة لقد عرفني، ومن ثم قال وهو يشعر بالخجل كعادته:

- عيناكِ ليس لهما مثيل يا أروما، عيناك تجذباني إليكِ حتى لو كنتِ بين الملايين، أنتِ أجمل بنت غير محجبة وأجمل محجبة في العالم، لقد زادكِ الحجاب جمالًا فوق جمالك.

شعرت بالخجل من ثنائه عليّ، ومن ثم سألته:

- كيف عرفتني بعدما تغيرت هكذا، وكيف حالك بعد كل هذه السنين؟

- أنتِ مميزة يا أروما، وقلت لكِ يا أروما أنتِ مثل روما كل الطرق تؤدي إليكِ، أنتِ صدفة وأجمل صدفة في حياتي، وثانيًا ملابسك مميزة فستانك الأبيض، وما أكثر فساتينك البيضاء الفضفاضة التي ترتدينها كثيرًا، لم أرَ أحدًا يعشق الأبيض هكذا.

ومن ثم اقترب شُبْرَا ونظر لي متعجبًا وسألني:

- من هذا!

بدأت في أن أعرفهم على بعضهما البعض، أو بالأحرى أُعَرِّف ماضيَّ على حاضري:

- شُبْرَا هذا كريم، قد تحدثت لك عنه كثيرًا، كريم هذا شُبْرَا...

وهنا قاطع شُبْرَا كلامي وصافح كريم وقال بحزم بشاربه الأشبه بشارب رجال الشرطة:

- أهلًا أنا شُبْرَا... زوجها.

إن الفندق الذي حجز فيه شُبرا كان ملكًا لكريم وأنا لا أعرف ذلك، ولكن شاء القدر ذلك لكي أرى كريم من جديد.

لم أقلق من كريم أنه عرف أمر زواجي لأنه ليس له علاقة بأهلي، ومن ثم حجز لنا كريم جناحًا ملكيًّا في فندقه، أردف وابتسامته على جانب فمه الأيسر كالعادة:

- أفضل جناح يطل على أفضل منظر طبيعي لأجمل عريس وعروسة.

استغربت من تماسك كريم ومن ثم رسم ابتسامة على وجهه على الرغم من الدمع الذي يلتمع في عينيه، وقال لي أنا وشُبْرَا:

- اسمحا لي أن أستضيفَكما لسهرة خاصة، لو تسمح بذلك أستاذ شُبْرَا، أنت وأروما وأنا وزوجتي ديما.

حاولت أن أتمالك نفسي وألا أُظهر تعبيرات على وجهي أمام شُبْرَا.

ولكن في قرارة نفسي أقول، تزوَّج؟! ها هو متزوج للمرة الثانية، ومن ثم قاطع شُبْرَا شرودي، وهمس وهو ينظر في عيني مباشرة:

- فيمَ أنتِ سارحة يا أروما...؟ هل ما زلتِ تفكرين به؟!

رسمت على وجهي ابتسامة سخرية، وأردفت:

-هههه، أنا أفكر في كريم، إنه ماضي وانتهى، وأنا حياتي استمرت من بعده، وهو كذلك، لا داعِ أن تشغل بالك بأفكار ليس لها وجود من الأساس.

نظر لي شُبْرَا نظرة خوف من أن أتوقف عن حبه؛ لأن الماضي قد جاء لحاضري ويمكن أن يخرج هو من حياتي بسهولة، نظر لي نظرة الترجي المعهودة منه ومن ثم قبَّل يدي، وقال هامسًا:

- أنتِ تعلمين يا أروما أنه لا يوجد أحد في الدنيا يحبك أو سوف يحبك مثلي أنا، وأنتِ تعلمين أنه لو شاء القدر وكنت قد عرفتك

قبل زواجي لكنتِ أنتِ زوجتي الأولى والأخيرة، ما كنت لأفعل ما فعله كريم معكِ بأن أتركك وأكمل حياتي كما أريد، أنا حياتي متوقفة عليكِ أنتِ يا أروما، وسوف أثبت لك قريبًا ذلك، سوف أضحي بكل شيء لكي تكونِي لي أنا فقط.

من شدة توتر شُبْرَا جعله شيطانه يبدأ في المقارنة بينه وبين كريم، كي أقتنع تمامًا بكلامه، ولكني أوقفته عن الكلام وطمأنته:

- شُبْرَا... لا داع لذكر مقارنة، أنت حاضري ومستقبلي، وشاء القدر أن يجمعني بك لكي أحبك أنت وكفى.

عانقني شُبْرَا بشدة وكأنه يحتوي شيئًا ثمينًا يخاف أن يفقده.

***

في المساء اجتمعنا بالفعل في أعلى مكان في الفندق، نحن فقط في المكان، نحن والهواء الطلق وبيروت من عالٍ، إنها لجميلة حقًا، الجو كان باردًا وأنا كنت أرتدي معطف من الفرو، ولكن عندما وصلت ديما، استغربت حقًا مما ترتديه، إنها ترتدي فستانًا أسود قصير جدًّا ولكنها وللحق والحق أقول كانت تضع شالًا من الفرو على كتفها، لا أدري ما دوره وكيف يستطيع أن يدفئها، سحب كريم لها الكرسي لكي تجلس، ومن ثم شرع كريم في أن يعرفنا على بعضنا البعض، وهي كانت شابة ودودة جدًّا، إن لبنان وأهلها يتسمون بالجمال بالفعل قلبًا وقالبًا.

مع التغاضي عن عمليات التجميل التي في وجهها، ولكن جمال روحها يعكس جمالها الحقيقي فيما سبق.

عندما يكثر المال في يد أغلب النساء لا يفكرن إلا في كيف سيكونَّ أكثر جمالًا.

نظر كريم لزوجته ديما وقال لها بلباقته المعروفة:

- اسمحي لي ديما، أريد أن أتحدث مع صديقتي أروما على انفراد بعض الشيء، مرَّت الكثير من السنوات ولم نتحدث سويًا، من ثم قبَّل يدها.

وطبعًا ديما فتاة متحررة وواثقة في نفسها فلا يوجد لديها مبدأ الغيرة؛ لأن الفتاة التي تغير يكون بداخلها شعور أن التي أمامها أجمل منها وتستطيع أن تخطف حبيبها منها.

من ثم نظر لشُبْرَا وقال:

- هذا إن لم تمانع أستاذ شُبْرَا!

طبعًا مبادئ شبرا لا تسمح له بذلك، ولكن هو يحاول أن يتكيف مع حياتي وأن يعطي لي مساحتي الخاصة كي لا يخسرني، هو يحاول أن يغير من طبعه في سبيل رضائي، لذا أومأ برأسه... أي أنه موافق.

ولكن بمجرد أن ذهبنا لأقصي وأبعد مكان كي لا يسمعنا أحد، وقفت أنا وكريم بجوار الجدار وشرعنا في التحدث ونحن ننظر لجمال ليل بيروت، ولكن كريم قطع ذلك الصمت بصوته المجروح وقال:

-تزوجتِ يا أروما.

من ثم غير موضعه وأعطى ظهره لديما وشُبْرَا، ومن ثم نظر لي ولكن في تلك اللحظة كانت دموعه تسقط من عينيه.

كرَّر كلامه مرة أخرى متعجبًا!

- تزوجتِ يا أروما!

نظرت له في دهشة من حاله، ومن ثم استجمعت قوتي وقلت:

- وماذا فعلت أنت يا كريم؟ ها... قل لي، كنت في المشفى ولم تزرني قَط سوى مرة واحدة ولم تكن بإرادتك، كانت الزيارة صدفة يوم أن انتحرت عائشة أمامك.

- الأمر ليس كما تظنين يا أروما، إني أحبك بشدة لم يكن هينًا عليّ أن أراكِ في تلك الحالة أبدًا، فضلت أن أبعد وأكتفي بروحك في حياتي وأتخيلك أنكِ ما زلتِ ها هنا حولي، أفضل بكثير من أن أذهب إلى المشفى وأرى جسمك الهامد الذي لا يحرك ساكنًا يخبرني أن كل شيء قد انتهى، لم أقبل تلك الحقيقة أبدًا، فضَّلت أن أعيش في وهم جميل خير لي من حقيقة مؤلمة، حقيقة فقدك يا أروما.

- حسنًا، سوف أعتبر أن ما تقوله صحيحًا، ولكن قل لي لمَ فعلت ذلك بعائشة وعمي رؤوف.

استغرب كريم من كلامي وجفَّت دموع عينيه، وها هو استجمع قواه ورسم على وجهه ملامح الكره بمجرد سماع اسم عائشة، ومن ثم قال:

- كانت كل العوامل حولي تقول لي أن أتزوج عائشة، حينها كنت أشعر أن العالم كله تآمر ضدي لكي أتزوج تلك الأفعى مع احترامي للأفعى؛ لأنها أقل مكرًا وخبثًا منها، لدرجة أني سمعت صوتك يهمس لي قائلًا أن أتزوج عائشة.

ولكن صوتك عندما همس لي أوحى لي فكرة جيدة أن أنتقم منها، أنتِ تعرفيني جيدًا لا أؤذي أحدًا مطلقًا حتى لو حيوان لا أؤذيه، ولكن عائشة لم تكن بشرًا بل كانت إبليسًا، وكنت أتمنى بشدة أن تلقى حتفها على يدي، ولكن للأسف شاء القدر أن تظل على قيد الحياة، ولكن لا تختلف عن الأموات في شيء، لقد عرفت أنها في مصحة وفي حالة صدمة، حينها حمدت الله أني قد أرحت العالم من شرها.

- مع إنني ضد ما فعلته ولكن قل لي ما التبرير لمَا فعلته مع عمي، أنت سرقت يا كريم ولم أكن أظن أنك في يوم أن تفعل ذلك أو يصدر منك أي خلق فاسد كهذا.

- لم أسرق يا أروما، إنه حقي، وهذه أمور (بزنس) لا شأن لكِ بها، تلك العائلة لعبت معي وقد استحقت جزاءها.

- لا أعتبر أن ذلك مبررًا يا كريم يا من كنت أصفه بالقلب الرحيم.

- أروما، إن الحياة لا يمكن أن نعيشها بسذاجة، الطيبة شيء والسذاجة أمر آخر، ويجب أن نعامل من حولنا كل منهم بالطريقة والمعاملة التي يستحقها، استحالة أن نعيش الحياة بنهجٍ واحد.

- حسنًا، سؤالي الأخير للرد على سؤالك، لمَ لم تتبع أحوالي على الرغم من أن بعد خروجي من المشفى عدت من جديد وتفاعلت على صفحات التواصل الاجتماعي خاصتي منذ أكثر من عامين ولكن لم أتلقَ رسالة واحدة منك.

- لأنني بعدما صفيت حسابي مع عائشة وأبيها سافرت لبنان وقلت في قرارة نفسي أني لن أعود إلى مصر إلا في حالة أنكِ عدتِ للحياة، ولكن الأمور لم تجرِ كما خططت لها، هنا تقابلت بديما، أتعرفين أنها تكبرني بخمس سنوات...؟ أتتخيلين أن هذه 37عامًا؟!

- أوه، حقًا لم أكن أتوقع ذلك، كنت أظنها مثل عمري أو أصغر مني، كنت أظنها 27عامًا...!

عندما التفتُّ لديما رأيت شُبْرَا ينظر لي أنا وكريم ولا يرفع نظره عنا قَط إلا لثوانٍ معدودة؛ كي يرد على ديما ومن ثم يعود للنظر إلينا من جديد وقد اشتعل قلبه من الغيرة ولكنه تمالك نفسه.

ثم سمعت صوت كريم؛ فالتفتُّ إليه مصغيةً لحديثه الذي لم أعد أشعر أن له نفس الطعم والمتعة التي كانت في السابق، ومن ثم أكمل حديثه:

-طبعًا لم يلفتني شكلها؛ لأن ما أكثر الجميلات، ولكن تمت صفقات بيننا، وفي ليلة عزمتني على العشاء، وتلك الليلة بدأت تمدح في كل شيء بي، وكان في حديثها بأنها كانت تتمني أن يكون شريك حياتها مثلي أنا في كل شيء.

إنها جريئة حقًا ولا تدع شيئًا في قلبها، إنها تقول ما في داخلها، وتفعل ما يخطر في بالها، طبعًا إن ديما الوريثة الوحيدة لأبيها وهو رجل أعمال غني جدًّا.

- لا تقل لي أنك لم تلتفت لها ولم تحبها.

- لا لم أحبها، هي من تحبني، هي من تهتم بي، هي من عرضت عليّ الزواج في مرة كدعابة.

- وأنت قد وافقت بالتأكيد؟

- إنها صفقة وجاءت لي على طبق من ذهب؛ لذا وافقت.

شعور جميل أن تشعر أن هناك من يحبك بجنون ومستعد أن يفعل كل شيء من أجل سعادتك وكفى.

- حسنًا، إن المال والثروة قد جعلاك تنساني إذًا، هذا بدلًا من أن تعود إلى مصر مهرولًا وتصلح ما دمره القدر في علاقتنا.

- عندما عدت من جديد يا أروما أنا كنت خاطب وهي متعلقة بي بجنون، تخيَّلي لم أستطع قَط أن أكسر قلبها؛ لذا سلمت أمري لله وقد أيقنت أن القدر لا يريد أن تكوني من نصيبي.

أنتِ الوحيدة التي أحببتها، أنا من أحب في هذه العلاقة لا من أجبر أن يمثل أنه يحب.

- إذاً أنت لا تحب ديما!

- أقسم لكِ أن الأمر ليس كما تظنين، إن ديما جميلة حقًا في كل شيء ولكن هناك شيء ما لم تستطع أن تعوضني عنه، هناك

شعور ما لم أشعر به إلا معكِ أنتِ يا أروما، قلبي نبض وانساق إليكِ أنتِ فقط، لم تفرضي نفسكِ عليّ قط، ولكنه القدر، إنه النصيب الذي كتب علينا ألا نكون لبعضنا البعض.

- لا، لا تقل هذا، النصيب لا شأن له باستسلامك يا كريم، في كل مرة كنت تهرب، إذا كنت معي أثناء غيبوبتي كنت عندما أفقت من الغيبوبة نتزوج من جديد، ولا تقل لي عائشة أو انتقام وما إلى ذلك من هذا الهراء، إذا كنت لا تريدها لما كنت تزوجتها ولتفعل في نفسها ما تشاء.

لم أكن أتوقع منك أن تردّ الإساءة بإساءة مثلها.

أنا طلبت منك أن تتزوجها؛ لكي تطفئ نار الحقد والغيرة التي في قلبها، لا أن تكون مثلها وتنتقم منها...!

لا تقل لي أن الحياة لكي نعيشها يجب أن نتعامل بقسوة مع من يستحقها، إذا تعاملنا بقسوة وقمنا برد الإساءة بإساءة مثلها لما صارت هذه الحياة هكذا، لصارت الحياة مثل الغابة، كل منا ينتقم من الآخر.

بينما إذا كنت أنت بالفعل تكرهها كنت ابتعدت عنها هي وظللت في قربي أنا إلى أن أتعافى؛ لكي نكمل ما قطعه ومنعه القدر.

ولكن ها أنت للمرة الثانية تفكر في نفسك ولكن في هذه المرة ليس من أجل الانتقام بل من أجل المال.

علمت أني قد شفيت وتعافيت ولكنك كنت خاطبًا في هذه المرة، إذا كنت تحبني بشدة كما تقول وأنك لم تحب أحدًا في الدنيا

مثلي، لكنت استغنيت عن ديما وأنت ما زلت في أول الطريق معها من أجلي، لكنت فسخت خطبتك منها لكي نكون سويًا، ولكنك لا تحبني كما تظن، أنت تحب نفسك أولًا، وتحب المال ثانيًا، والنجاح وتحقيق الأهداف التي ليس لها غاية أو مدى بالنسبة لك.

أعلم أن الأمور التي تحبها ليست بسيئة ولكن لا تكذب عليّ وتقل لي أني أكثر أحد أو شيء تحبه في الوجود.

أتعلم لمَ أنت تحبني...؟

- لأن ليس لكِ مثيل يا أروما.

- توقف عن كلام الأفلام هذا، واسمعني، أنت تحبني لأني لست كباقي البنات التي عرفتهن، لأن همي في الحياة أمور أخرى فلم يكن لي الوقت أن أطلب منك الاهتمام المبالغ فيه، لم أكن أطلب منك أن تقول لي كلامًا رومانسيًّا أو أن تتحدث معي لساعات، كنت أعطيك مساحة كبيرة لنفسك، كنت مقدرة تفكيرك وأهدافك، بينما عائشة أو ديما تريدك كحبيب كعاشق ولهان يهيم بها حبًا ليلًا ونهارًا.

بينما أنا كنت أدعك على راحتك لم أقيدك بالحب يومًا لأني حينها لم أكن أعلم ما هو الحب.

كنت أدعك تهتم متى تشاء وتغيب متي تشاء، تحب متى تشاء، تشاركني حياتي كيفما تشاء.

أنت أحببت حريتك معي، وأنت تمقت ذلك القفص الذي يقيد حريتك باسم الحب مع ديما وعائشة.

ولكن قفص ديما قفص ذهبي مرصع بالألماس لذلك تحبه بعض الشيء، ولكنك تحِنّ بعض الوقت إلى حريتك حينما كنت معي.

تفكر أحيانًا في أن تُحلق وتصير حرًا من جديد ولكنك ترجع وتتذكر وتقول... والقفص الذهبي والألماس لمن أتركهما؟ إن المال أغلى من حريتي.

- توقفي يا أروما عن تحليل الأمور على مزاجك.

- ها، لقد انفعلت الآن لأنك تعلم أنها الحقيقة، أنت تحب مصلحتك، اسمك، منصبك، نجاحك، حتى لو كان كل ذلك سوف يكلفك حياتك وحريتك.

أتعلم! أنت تذكرني بعمي رؤوف، أضاع عمره كله من أجل المال والمنصب، لم يذق طعم الراحة كل ذلك في سبيل المجد.

كان عمي يقول:

-أتعب اليوم لكي أرتاح غدًا.

وها هو صار قدمًا في الدنيا وأخرى في القبر، لم يرتح قط، صحيح كسب الكثير من المال، ولكنه فقد طعم الحياة والسعادة الحقيقية ألا وهي بأن يكون له أسرة، أولاد يحبهم وزوجة يعشقها.

جاءت له الفرصة، ولكنه لم ينتبه إلا بعد فوات الأوان.

صدقني الكثير من المال يُشبه بعضه، عندما تصل لمرحلة معينة من الثراء تشعر أن كل ما يزيد هي مجرد أصفار حقًا، البيوت مثل بعضها، القصور لا يوجد بينها فرق، والسيارات والطيارات كذلك، كلها أقصاها أن تشعرك بالسعادة لمدة دقيقة، أو قل يا سيدي لبضعة أيام تمثل دهشتك بها لأول الأمر من ثم تتعامل معها بفتور.

- كلامك صحيح يا أروما أعلم ذلك، ولكن ما حدث معنا سببه القدر صدقيني، أنتِ في قل...

- كفى، هذا الكلام لم يعد يفيد شيئًا، أنت تقول كلمة القدر حجة لكي تهرب من الحقيقة، وأنت لن تتغير، ستظل إلى آخر يوم في حياتك تسعي لبلوغ السماء، والحصول على المزيد والمزيد من المال، وستظل تذكر قصة حبنا؛ لكي توضح لمن حولك أن القدر لم يهبك كل شيء، لم يهبك الحب، ولكن لا ذنب للقدر في شيء أنت من ضيَّعت حبك بيدك.

وصدقني أنا فهمت الحب وشعرت به مع شُبْرَا، شعرت بالحب معه في اهتمامه واحتوائه وغيرته التي يتحكم بها كثيرًا، وخوفه عليّ، بل وأهم شيء أنه ضحَّى بالكثير من أجلي، اترك كل ما ذكرته في زاوية، وضع تحت كلمة أنه ضحَّى من أجلي مليون خط.

على الرغم من إني تذوقت الحب معه إلا إني لم أغير من طبعي، لم أصبح فتاة زنانة أطالب بالاهتمام، ما زلت كما أنا إذا أردت أن تهتم فلتهتم وإذا أردت أن تتوقف عن إعطائي وملء كأسي من جرعات الحب فلتفعل ما تشاء، ولكن الحقيقة والحق

أقول... أن شُبْرَا لم يجعلني في مرة أفكر أو أشعر أنه قلَّل حبه واهتمامه لي.

تعرف ما يُميز شُبْرَا عنك، إنه يعتبرني أنا أهمّ شيء في حياته بل أنا كل حياته وأعظم انتصاراته ومصدر فخره.

أنا محظوظة به حقًا، وأنا أتمنى أن تحافظ على ديما؛ لأنها كما تقول "تحبك"، شعور جميل أن نشعر أن هناك من يحبنا ويحاول أن يقدم كل ما في وسعهِ في سبيل رضانا.

أتمنى ألا يظهر في حياتك شيء يساعدك في تحقيق أهدافك أكثر فتتركها من أجل ذاك الشيء.

- أنا لست وقحًا هكذا يا أروما.

- لم أقل إنك وقح، ولكن لا أريدك أن تكرّر ما فعلته معي بأن تفعله مع ديما، حب من حولك أكثر ودع المال قليلًا.

- ولكني أحببتكِ ولم أحب المال معك.

أعلم أنك أحببتني أنا فقط ولم تحبني لأي غرض آخر؛ لذلك لم تحارب من أجلي، لم تظل على العهد على الرغم من قسوة الظروف.

حاول أن يتكلم ولكني أسكتّته وأردفت:

- صه، هذا يكفي يا كريم، لا داع للتحدث فيما مضى أكثر من ذلك، دعنا في الحاضر، أتمنى لك حياة سعيدة.

من ثم تركته وذهبت إلى الطاولة؛ لكي آخذ حقيبتي الصغيرة وألقيت التحية على ديما واعتذرت عن عدم مقدرتي على إكمال السهرة ومن ثم طلبت من شُبْرَا أن نرحل ورحلنا.

***

وصلنا الجناح الخاص بنا، وهناك ملامح الراحة قد رُسمت على وجه شُبْرَا، فنظرت له وأنا أبتسم، إن تعبيراته العفوية تضحكني حقًا، ثمَّ سألته:

- ما بك؟ ما السبب الذي يجعلك تشعر بهذه الراحة؟ ماذا يدور في خُلدك لا أستطيع أن أخمِّن...؟

ردَّ عليَّ وهو يبتسم وعيناه تفيضان من الحب، سألني:

- أتحبينني يا أروما؟

- إن لم أكن أحبك لما كنت معك الآن وتحملت هذه الظروف.

- أستكونين لي أنا فقط يا أروما...؟

- لك وحدك وإلى الأبد يا شُبْرَا.

- أحقًا إلى الأبد ستكونين لي أنا...!

- إلى آخر نفس في حياتي، وفي الآخرة أيضًا.

عانَقَني عناقه المفاجئ المجنون الذي كاد أن يكسر من شدته وقوتهِ ضلوعي، ها هو يهمس لي:

- أريدك أن تدخلي في أريدك أن تكوني في داخلي، أريد أن أخبئك تحت جلدي، لا أريد أن يراكِ سواي، أنتِ لي وحدي دائمًا وأبدًا.

لم يحب شُبْرَا أن يذكر ما يدور في خلده بسبب الغيرة لأنه يعلم أن ذلك سوف يضايقني فاكتفى بذلك.

لم أعد أفكر، لمَ تزوجت بهذه الطريقة من دون علم أهلي، بل أنا اعتدت الأمر، وبداخلي يقين أنها فترة وكل الأمور سوف تتم كما خطط لها.

طبعًا لم أعبأ بموضوع سفري فأهلي متحررين ولي مساحتي الخاصة لكي أسافر أو أن أفعل ما أشاء.

قضينا شهر العسل أنا وشُبْرَا ثم عدنا إلى مصر، وصلنا القاهرة صباحًا، وقد قررت أن أسافر إلى مطروح لزيارة أهلي، وهو عاد إلى بيته وأهله كذلك.

وأنا في طريق سفري اتصل بي شُبْرَا يكرر وعده لي، بأنه سوف ينسحب من زواجه في أقرب فرصة؛ كي لا أشعر بضيق بأنه سوف يكون مع زوجته اليوم.

وبالفعل لم يكذب خبرًا، في نفس الليلة، كنت مع أمي أضع رأسي في حضنها كنت أُغمغم في قرارة نفسي كم أرغب في أن أقول لكِ ما قمت به و...

من ثم قطع شرودي صوت الهاتف، إنه شُبْرَا، قمت وخرجت خارج البيت تمامًا لكي أرد، لا أدري لم فعلت ذلك، ولكني كنت

أرغب في الهرب بعيدًا كي لا يشعر أحد بِفعلتي تلك، إن التحرر عند أبي له حدود، رددت على الاتصال، وقال شُبْرَا بحنق:

- لقد طلقتها.

استغربت مما قال، فسألته سؤالًا غبيًّا:

- طلقت من!

- طلقت غادة...

لكم أن تتخيلوا أني لم أكن أعلم اسمها إلى ذلك الوقت، لم أسأله يومًا عن اسمها وهو لم يكن يحب أن يذكره أمامي.

قلت له مستفهمة:

- كيف؟ كيف حدث ذلك بهذه السهولة...!

- قلت لكِ سابقًا أن عندما يريد الله سوف يتم الأمر بمنتهى السهولة.

كنت مصرة ولأول مرة أن أعرف كيف.

- قل لي كيف تم ذلك...؟

- عندما وصلت البيت بدأت في حلقة النكد التي لا تنتهي، بأني لست أحبها، وأنها بمفردها، وأنها لم تنجب إلى الآن بعد أكثر من خمس سنوات زواج.

صرخت بها وقلت لها لا تعذبي نفسك مع رجل لا ينجب مثلي ولا تضيعي شبابك معي، عيشي حياتك وتزوجي غيري لكي تنجبي.

قالت لي أنها لم تقصد ذلك ولكني أصررت وقلت لها:

-سوف أحرِّركِ من هذا السجن، انطلقي وعيشي حياتك، لك الحرية المطلقة، أنتِ طالق.

وقلت لها أني سوف أترك البيت؛ كي يكون لها مُتسع من الوقت لكي تأخذ كافة متاعها.

بصراحة لا أريد شيئًا يذكرني بها.

أشعر أنه قد كان هناك من يقيدني، والآن أطلق سراحي.

كنت أشعر شعور الغريق الذي لا يستطيع أن يرفع رأسه عن سطح الماء لكي يتنفس، وها أنا قد تمكنت من رفع رأسي أخيرًا لكي آخذ نفسي.

كم أتمنى من الله أن يُمكِّنني من العوم وأصل لبر الأمان في أقرب وقت.

- بما أنك طلقت يا شُبْرَا، لمَ تُؤجل إعلان علاقتنا سويًا.

- نحن تخلصنا من الصعب يا أروما، إن القادم سهل جدًّا لا داعي للاستعجال، أنتِ تعلمين أهلي، وليس من الصحيح أن أطلق وأتزوج بعدها، فترة بسيطة كي لا يكون شكلنا سيئًا أمامهم.

- الآن لا نستعجل، حسنًا، حسنًا يا شُبْرَا.

طلب مني شُبْرَا أن أعود إلى القاهرة، وبالفعل في الصباح الباكر تأهبت للسفر، أقمت لأسبوع في فيلا شُبْرَا في نفس التجمع السكني الخاص بي، كانت علاقتنا في أقصى مرحلة من الحب حقًا، كلانا يشعر بالأمان، وها قد اقتربنا من تحقيق حلمنا.

ولكن بعد أسبوع حدث موقف غريب جدًّا.

بعدما انتهيت من الاستحمام وفتحت الباب، كان شبرا جالس على السرير ولكن بمجرد أن رآني

فجأة ومن دون أي مقدمات صرخ في وجهي وهو يهم من مكانه ويصيح ويقول بهستيريا:

-ابتعد، ابتعد عني.

ولكن بمجرد أن توقفت عن الحركة تجاهه وابتعدت عنه هدأ وحاول أن يلتقط أنفاسه بصعوبة، جلبت له الماء، ولكنه رفض وارتدى الروب الخاص به وأخذ علبة السجائر وخرج للشرفة لكي يدخن، قلت له حانقة:

- ما بك يا شُبْرَا، ماذا دهاك، ما الذي أفزعك لهذه الدرجة...؟

نفث دخان السيجارة، وبصوت امتزج برعشة الخوف، رد عليّ وهو لا يريد أن ينظر إليّ حتى:

- لا شيء يا أروما لا تشغلي بالك، ادخلي الآن، إن الجوّ بارد الآن، ثوانٍ وسوف ألحق بكِ، أريد أن أشمّ بعضًا من الهواء.

- تريد أن تلتقط أنفاسك وتشمّ بعض الهواء وتدخن في نفس الحين...! منذ متى وأنت تدخن أمامي؟!

- أروما أرجوكِ، أعصابي تحتاج إلى أن أدخن؛ لكي أهدأ.

- ولكن هذا...

صرخ في بجنون:

- توقفي عن الكلام، وادخلي حالًا.

حينها رأيت وجه من شبرا لم أرَه من قبل، هرعت إلى الداخل، لم أصدق أنه زوجي، أنه حبيبي، لم أصدق أن هذا الفعل يصدر من مجنوني شُبْرَا.

مرّت خمس دقائق ومن ثم دخل وجلس بجواري، نظر في عيني نظرة أسف، وأمسك يدي وقبلها وقال معتذرًا:

- آسف يا رو، آسف، أقسم لك لا أعرف كيف حدث ذلك.

وضعت يدي الأخرى على رأسه كي أمسح بها على شعره وكي أهدئ من روعه، ما زال بداخله شعور الفزع مع شعور القلق وشعور الندم، ومن ثم سألته برفق:

- ما الذي حدث يا شُبْرَا كي تهرع وتفزع هكذا؟

- لا أدري، لا أعرف كي أصف لكِ.

- حاول، سوف أشعر بما تشعر به.

- لن تصدقي ما أقوله عما رأيت.

- إن لم أصدقك أنت، فمن سوف أصدق يا شُبْرَا...؟!

- تخيَّلي يا أروما، يا أجمل ما رأت عيني، قد خيل إليّ أنكِ وحش.

- وحش! مثل ماذا؟

- كأن وجهك الجميل هذا تحول إلى وجه مسخ، وجه محروق تمامًا ملامحه مطموسة، وجسدك كله مكسوًا بالشعر الغزير، شعر أشبه بجسد القرود، وحش ضخم قبيح المظهر كان يقترب مني.

- أنت تتعاطى شيئًا يا شُبْرَا، أليس كذلك!

- أنا لا أتعاطى شيئًا غير حبك، ولا أسكر بشيء سوى بجرعات عشقك.

- لا بل تتعاطى أكيد، وهذه المخدرات هي التي سببت لك هذه الهلوسة.

- قلت لكِ لا، لا أتعاطى.

- بل تتعاطى، والدليل على ذلك عندما كنا في شهر العسل وضعت لي حبوب هلوسة، وأنا قد وجدتها وقمت برميها؛ لذا قررت التوقف عن التفكير بشكل عقلاني وعشت معك شهر العسل ولا أفكر في شيء سوى حبنا وكفى.

- إن الأمر ليس كما تظنين يا أروما، أنا أحبك، وأريدك لي بأي شكل وبأي طريقة.

- حاول أن تهدأ يا شُبْرَا، ولا تدخن مرة أخرى في مكان أنا موجودة به إذا سمحت.

- ليس قصدًا مني... صدقيني يا حبيبتي، أنتِ غير متخيلة ما رأيت.

ومن ثم همَّ لكي يضمني ويعتذر لي.

ولكن الصدمة أنه أخرجني من حضنه بسرعة ورأيت في عينيه ملامح الفزع من جديد.

سألته وأنا مفزوعة على فزعه، سألته صارخةً:

- ماذا حدث يا شُبْرَا، ماذاااا؟

-كنت أعانقكِ وأنا مغمض عين، ولكن فجأة شعرت أن جسدك صار أكثر ضخامة ومشعر وخشن وبمجرد أن فتحت عيني رأيت ذلك المسخ من جديد.

بدأ يبكي ولكني هدأته وقمت بتشغيل بعض آيات القرآن، وطلبت منه أن أنام في مكانٍ منفصل عنه كي يهدأ قليلًا، أمسك بيدي وأنا أهّم بالوقوف وقال:

- أرجوكِ لا تتركيني، أنتِ الأمان بالنسبة لي.

- كيف أكون بالنسبة لك الأمان، وأنت تفزع مني في كل مرة تقترب مني هكذا.

- لا أدري ما الذي يحدث يا حبيبتي ولكن ابقي معي، على الأقل يدي في يدك كي أتمكن من النوم.

بلمسة يدك يصلني حرارة قلبك التي تصل إلى قلبي فيطمئن وأتمكن من النوم.

في الصباح وجدت شُبْرَا ما زال نائمًا ورسم على ملامحه الخوف والتعب فلم أحب أن أوقظه، قررت أن أجهز نفسي لكي أذهب إلى عملي وأتابع الجديد.

كنت مشغولة حقًا بمتابعة ما جدّ في العمل؛ لذا كنت تاركة هاتفي في المكتب.

مرَّت ساعات وأنا ما زلت مشغولة، ولكني فوجئت بقدوم شُبْرَا إلى مكان عملي، وعيناه كانتا تخرجان شرارات نار من شدة الغضب، أمسكني بحزم من يدي وسحبني أمام الموجودين بقسوة وأدخلني المكتب.

لم أحب أن أصرخ به أمام الناس كي لا أزيد الطين بلة.

ولكن بمجرد أن أغلق الباب، همست به غاضبةً وأنا أضغط على أسناني:

- ما الذي فعلته أمام الناس، أجننت؟ نحن في نظر الناس أصدقاء ولسنا متزوجين، وحتى إن كانوا يعلمون أنك زوجي لا يحق لك أبدًا أن تفعل ما فعلته بي و...

أسكتني وقام بضربي كفًا على خدي وصرخ في:

- صهِ، اسكتي، أتظنين أنني لست رجلًا؟

- كيف تجرؤ أن تفعل ذلك؟

- وأنتِ كيف تجرُئين أن تتركي البيت من دون إذني، أنا رجل وسوف أعلمك كيف يكون الرجل؛ لأنك لم تري رجلًا في حياتك.

- لا بل خرجت من أسرة بها رجال ولكن يفهمون معنى الحرية.

- الحرية تعني قلة أدب وانسياب وتفلت، وهذا لا يتماشى معي.

-لا الغلط الوحيد الذي ارتكبته، هو أني تزوجتك، واستغللت الحرية التي أعطاها لي أهلي بشكلٍ خاطئ.

أنا نادمة أشدّ الندم أني خنت ثقة عائلتي فيّ، نادمة لأني خذلت رجال عائلتي بأن أحدًا مثلك يذمهم.

- أحد مثلي!

- اخرج يا شُبْرَا، اخرج هذا يكفي.

قمت بفتح الباب لكي يخرج، ومن ثم شرعت في البكاء، لا أدري كيف تحول شُبْرَا هكذا؟

التساؤلات كثرت في بالي.

أهو كان سيئًا وتصنَّع بأنه شخص جدير بي؛ كي يوقعني في شباكه ومن ثم يمارس سلطته ورجعيته عليّ...؟ أم أنه صادق في مشاعره ولكن هناك خطب ما غيره تجاهي...!

أنا نادمة حقًا على ما أقحمت به نفسي.

***

هاتفي لم يتوقف عن الاتصال من شُبْرَا، ولكني أغلقته تمامًا، ومن ثم قررت فتحه فوجدت العديد من الرسائل والتسجيلات والفيديوهات التي قد كان محتواها الندم والاعتذار.

يحلف لي أنه لم يشعر قَطّ بما فعل ولا بما قال، ولكني لم أرد عليه.

ولكن بمجرد أن عدت إلى بيتي رأيته في سيارته ينتظرني، أول ما رآني خرج من سيارته مسرعًا، حاولت أن أتملص منه وأُسرع لكي أدخل بيتي من دون أن ألقاه ويدور بيننا كلام، ولكنه لحق بي مسرعًا ومسكني من ذراعي وشدني إلى حضنه، عانقني بشدة، وأنا أحاول أن أتملص منه، ولكنه مُصرٌّ على معانقتي بشدة، ويقول باكيًا وهو يعانقني:

-آسف يا أروما... آسف، أرجوكِ سامحيني، أقسم لكِ لا أعرف كيف حدث ذلك.

أرجوكِ أعطي لي فرصة أخرى... أرجوكِ.

لم أستطع أن أقاوم توسله لي وبكاءه بحرقة، بداخلي إحساس يقول لي أنه صادق، ولكن كرامتي لا تسمح لي أن أسامحه على ما فعله وقاله لي اليوم، ولكن نظرته لي جعلتني أدعس كرامتي تحت قدمي، لقد قام بغسل مخي بنظرته تلك، أنساني ما جرى والآن لا أتذكر سوى حبه لي وحبي له وكفى.

رجعت معه إلى فيلته، وتناولنا العشاء؛ لأن كلانا لم يأكل شيئًا منذ الصباح، ولكن من حين لآخر يكرر شُبرا اعتذاره لي وهو يقبِّل يدي، وأنا مستغربة من نفسي كيف سامحته بكل هذه

البساطة والسهولة، لهذه الدرجة المرأة عاطفية وبسبب قلبها وحبها تنسى الإهانة والقسوة...؟!

مرّ الوقت وبدأنا ننسى ما حدث، ومن ثم دخلت إلى حجرتي لكي أجهز نفسي ودخل شُبْرَا لكي يستحم ويتأهب للنوم.

ولكن بمجرد أن خرج من الحمام ورآني صار يصرخ ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويتلو بعض الآيات، هرعت إليه كي أهدئ من روعه مرةً أخرى سألته:

- ماذا بك؟ ماذا حلّ بك حبيبي؟

صرخ فيّ وهو يغمض عينيه ويخبئ وجهه عني ويقول:

- ابتعدي عني، أنتِ مسخ، أنتِ وحش، ابتعدي.

- لست كذلك... افتح عينيك، ها أنا أمام المرآة ولا أرى ما تقوله، ماذا جرى لعقلك؟

فتح عينيه ونظر لي في المرآة رآني بصورتي العادية، وقف ورائي وهو ينظر لوجهي المنعكس وقال:

-آسف حبيبتي، لا أفهم ما يحدث لي، بل أرجوكِ كوني معي حتى أتجاوز هذه المرحلة.

ومن ثم هم كي يمسك يدي ولكن بمجرد أن رفع نظره إلى المرآة مرة أخرى رأى نفسه ممسك بمسخ، ثم أبعدني عنه بقوة كدت أرتطم في المرآة من قوتها.

صرخت به قائلة:

- أجننت يا شُبْرَا؟ لن أتحمل هذا كثيرًا.

من ثم جلس في زاوية الغرفة وانكمش وقال باكيًا:

- أرجوكِ، اسمعيني، لا تتركيني، لا أعرف كيف أرى ذلك أو كيف أفعل ذلك أقسم لكِ.

- حسنًا، لن أقترب منك، وفي الغد سوف نذهب لطبيب نفسي لكي يتابع حالتك.

- سوف أفعل ما تريدين، ولكن لا تتركيني وحدي في هذه المرحلة.

***

في الصباح وصلتني رسالة من كريم بأنه في مصر ويرغب في مقابلتي، وأنا كي لا أدخل في مناقشة حادة مع شُبْرَا، طلبت من كريم أن يزورنا في بيتنا، أعطيته العنوان والموعد.

عندما استيقظ شُبْرَا اقتربت منه برفق وأخبرته:

- كريم سوف يزورنا اليوم.

رُسم على ملامحه علامات الاستغراب، وسأل سؤالًا غبيًّا:

- كريم من؟

- كريم يا شُبْرَا الذي حكيت لك عنه وكنا معه في ب...

لم أكمل كلامي إلا وشُبْرَا قد تحوَّل تمامًا من شدة الغضب، وقال لي صارخًا:

- من أذن لكِ، أنتِ لا تتعلمين أبدًا.

- هو كان يريد مقابلتي، ولكن أنا مع احترامي لك طلبت منه أن يأتي لزيارتنا سويًا.

- أتظنين أني امرأة، كي تقولين لي ما تفعلين بعدما تقررين، أنا رجل، هذا الشارب ليس على امرأة أتفهمين، إذا كنتِ تحترمينني كما تقولين كنتِ قلتِ لي قبل أن تقرري.

أنا في حالة صدمة وذهول ممَّا صدر من شُبْرَا وقلت له وأنا مشمئزة ومصدومة مما فعله:

- ما هذا الأسلوب القذر الذي صدر منك، أنت جننت بالفعل، وأنا على خطأ لأني سامحتك.

سحبني من شعري بقوة وقال لي بقسوة وبصوت رجولي خشن:

- اسمعي، أنتِ سوف تختارين، أنا أم حياتك تلك، أنا إما عملك وأصدقاءك، اعلمي أن حياتك تلك لا تناسبني.

رددت عليه صارخة أتأوه من شدة قبضته على شعري:

-اتركني أيها المخبول، لم أُجبرك على حياتي أنت من كنت تتذلل لي كي أقبل بك.

لن أغير حياتي من أجلك إذا أردت أن ترحل... ارحل وخلصني من جنانك هذا.

فجأة شعرت أن قبضة شُبْرَا قد حلت عن شعري وجهز نفسه من دون أن يوجه لي كلام أبدًا، ثم خرج من البيت.

لم يتصل بي مثلما حدث بالأمس.

ولكن فجأة سمعت هاتفي يرن وأنا أجهز نفسي وأضع الملابس التي تخصني في حقيبتي لكي أترك هذا البيت إلى الأبد بلا رجعة، إن هذا البيت شاهد على أكبر خطأ في حياتي، وعلى أكبر إهانة مررت بها.

نظرت لهاتفي ورأيت رقم غريب، رددت وأنا متعبة:

- ألو، من معي.

- تخيلي من؟

- أوه، كريم، لقد نسيت أني كتبت لك رقمي في الرسالة في الصباح كي تتواصل معي، اعذرني أنا متعبة بعض الشيء، ها طمئنّي... كيف حالك؟

- أنا بخير، ولكن ماذا بكِ يا أروما...! صوتك يدل أنكِ لستِ على ما يرام.

- مجرد خلافات مع شُبْرَا.

- خلافات مع زوجك بعد شهر من الزواج.

حينها ندمت أن كريم هو الوحيد الذي يعلم بأمر زواجي، لذا حاولت أن أغير ما عرفه عني، وكذبت قائلة:

- ليس زوجي، هو مجرد صديق مقرب، ولكن أنا أحببت أن أظهر ذلك أمامك كي أشعل في قلبك غيرة، لا أدري، لا أدري

لم قلت لك أنه زوجي، إذا كان زوجي لكان أهلي يعلمون بذلك، ولكني لم أتزوج قط.

- أيمكن أن نتقابل أريد التحدث معكِ، أنا جئت مصر من أجلك.

- وأين زوجتك؟

- لا أنا هنا بمفردي.

- لا أستطيع اليوم يا كريم، أعطِ لي فرصة أرتاح اليوم، وغدًا سوف نتواصل سويًا.

***

مرّ اليوم ببطءٍ فظيع ولم تصلني حتى رسالة واحدة من شبرا، لا أريده أن يعود لي، ولكن أريد أيّ رسالة توضح إلى أين نحن ذاهبون، سوف يطلقني أم يتركني كالمعلقة هكذا!

في اليوم التالي تقابلت أنا وكريم، ولكني لا أتحدث أبدًا، كنت شاردة الذهن فيما فعلته في نفسي، لقد ضيعت نفسي مع شُبْرَا.

ظل يطلب مني ألا أتركه وفي النهاية هو من تركني.

خنت ثقة أهلي وربي من أجله وفي النهاية باعني.

تحمَّل كريم مقابلاتي معه التي استمرت أسبوعين على نفس الحال، شاردة الذهن ولا أرد إلا بالقليل من الكلام، وإذا ضحكت أضحك ضحكة مكسورة على زاوية فمي اليسرى.

كل هذا ولم يصلني أي رسالة أو مكالمة توضح لي وضعي معه، لا أفهم هل يريد أن يتركني...! إذا كان يريد أن يتركني فليطلقني، وإذا كان يريدني فليتصل بي ويعتذر.

قررت أن أتصل أنا لكي أعرف، ولكن الرقم غير موجود في الخدمة، وكل مواقع التواصل الاجتماعي تم إغلاقها.

إنه "فص ملح وذاب"، ماذا عليَّ أن أفعل؟

قررت أن أذهب إلى منطقته في شُبْرَا، أعرف اسم الشارع الذي يعيش فيه ولكني لا أعرف أين بيته، ولكنه أمر بسيط سوف أسأل أحد المارة.

في المساء ارتديت فستانًا أبيض فضفاض وقبعة رياضية بيضاء تحتها وشاح أبيض، ولكني أخبئ وجهي بنظارة شمس كبيرة الحجم زجاجها به لمعة فضية ووردية، طلبت سيارة أجرة من تطبيق على هاتفي لم أرغب أن أذهب إلى هناك بسيارتي، ومن ثم وصلت أول شارعه وسألت أحد المارة؛ فأجابني وأشار لي على بيته وبيت أهله، ومن ثم قدمت له مبلغًا من المال.

ورحلت، وعدت إلى بيتي، لكن عقلي ظل يفكر، ماذا أفعل؟

أذهب له في صباح الغد ولكن يمكن أن يكون خارج البيت، أم أذهب له الآن!

ولكن الوقت متأخر!

ولكن هذا المهم والمقصود؛ لأن في هذا الوقت سيكون في البيت.

أسأل نفسي:

لمَ تريدين أن تذهبي إليه يا مجنونة؟

لكي أعرف ما سوف أفعل بدلًا مما أنا مشتَّتة هكذا.

شعور مؤذٍ جدًّا أن يشعر المرء أنه مشتَّت تمامًا، وألا يعرف ما الذي يجب عليه أن يفعله.

قرَّرت أن أذهب لكي أعرف وجهتي التي سوف أُكمل عليها، بدل ما أنا أهيم على وجهي هكذا ولا أعرف من أين أنا آتية ولا إلى أين أنا ذاهبة.

تأهبت للعودة إلى حيث كنت منذ ساعات، وفي هذه المرة أيضًا لم أذهب بسيارتي في هذا الوقت المتأخر؛ لذا قررت أن أركب سيارة أجرة وعندما أكمل لقائي مع شُبرا أطلب سيارة أخرى تقلني إلى بيتي من خلال تطبيق في هاتفي.

ولكن يتردد بداخلي سؤالًا... ماذا إن سألني أحد ما وأنا أطرق على البيت؟

-سوف أقول أنا مجرد صديقة وأتيت لعقد صفقة ما.

ما هذا الهراء الذي أتفوَّه به، لا تفكري كثيرًا ودعي الأمور تحدث كما تشاء، أحيانًا كثرة التفكير والتخطيط يخرب الأمور تمامًا.

ها أنا وصلت إلى بيته، إن جوّ المنطقة التي يسكن بها كان هادئ جدًّا في هذا الوقت المتأخر ولا يوجد إلا القليل من الناس

ولم يسألني أحد، ها أنا وقفت أمام باب البيت وضعت هاتفي في جيب فستاني ومن ثم تنفست الصعداء وقررت أن أرن جرس البيت، إني أسمع صوته قادم، قلبي يؤلمني بشدة، يؤلمني لأن قلبه هان عليه قلبي، ها هو بخير وقد ابتعد عني بسهولة، الباب فتح أمامي وظهر أمامي شُبْرَا، فقطع أفكاري، ولكنه بمجرد أن رآني استشاط غضبًا وسحبني للداخل بقوة، كتم نفسي خوفًا من أن أصدر صوتًا، لا أدري لمَ يكتم صوتي، أنا أعرف أنه يعيش بمفرده لأنه طلق زوجته، ولكن لم يفعل ذلك، سحبني وفتح شقة في الدور الأول وأدخلني بقسوة، قلت له صارخة:

- لم تفعل بي هكذا؟ لمَ تعاملني كأنني ألدّ أعدائك؟

- لأني أكرهك، أنتِ دمرتِ حياتي أنا وزوجتي ولكن زوجتي بنت حلال لم تتخلَّ عني بعد الذي فعلته معها.

هذا الفرق بينكِ وبينها، هي ابنة أصول وتضحِّي من أجلي، بينما أنتِ لا تعرفين عن الأصول شيئًا.

بدأت أحاول أن أدافع عن نفسي وأنكر كلامه ولكن صوتي صار عاليًا بعض الشيء فكتم نفسي كي لا أتكلم، كان يكتم صوتي ويقول لي أكرهك، وأكره صوتك، أتمنى أن تموتي، موتي، موتي.

أحاول أن أدافع عن نفسي ولكن بلا جدوى، أضربه بقدمي كي أفلت منه ولكن قوتي لا تساوى شيئًا بجانب قوته، أحاول أن أبعده عني بيدي الضعيفة ولكنه يمسك يدي الاثنتين ويكبلهما بقبضةً واحدة بيده الأخرى.

لم يعد بيدي حيلة إلا أني أنظر إليه نظرة لوم وعتاب، وأقول بعيني وهي تترقرق من الدمع:

-لمَ تفعل بي هذا يا شُبْرَا، أنت لست حبيبي.

ولكنه لم يفهم توسل عيني له، واستمر في كتم نفسي بقوة إلى أن بدأ الصوت في الابتعاد شيئًا فشيئًا.

والصورة بدأت في الاهتزاز أمام عيني، والبقعة السوداء بدأت في الازدياد في عيني.

لم أسمع بعدها شيئًا وآخر شيء رأيته عيني شُبْرَا التي تعكس الكره لي وكفى، ومن ثم فقدت الوعي.

***

الفصل السادس

الانتقام

استيقظت ولكني استغربت لما وجدته، وجدت نورًا في آخر الحديقة الخلفية للبيت، استغربت وسألت نفسي:

- ما الذي أتى بي إلى هنا من الأساس؟ آخر شيء أتذكره أني كنت في غرفة ما في بيت شُبْرَا في الدور الأول.

وجدت في آخر الحديقة نورًا يأتي من الأرض، أول مرة أرى نورًا يخرج من الأرض هكذا، وصلت للمكان الذي ينبعث منه النور، لكن لم أعرف ما مصدر الضوء الأبيض، الضوء يخرج من الأرض لا من شيء على الارض.

جلست على ركبتي ومن ثم اقتربت أكثر لكي أرى جيدًا، النور ينبعث من بين ذرات تراب الأرض.

ركزت تفكيري بإزاحة التراب لكي أعرف مصدر الضوء أكثر.

بمجرد أني فكرت بإزاحة التراب صار التراب يتكور وينجذب إلى يدي لأعلى، وبمجرد أن أحرك يدي جانبًا وأبسط راحة يدي يسقط جانبًا، استمررت بجذب التراب وتكويره بين قبضة يدي وكأن يدي مجال مغناطيسي والتراب كرة معدنية تطير وتسبح في تلك البؤرة المغناطيسية...!

ها هو النور يزداد أكثر، بدأت ملابس تظهر أمامي، إن تلك الملابس أعرفها جيدًا.

هل أنا أحلم، لا داع للتفكير أريد أن أعرف مصدر الضوء.

استمررت في إزالة التراب وفي النهاية وصلت لمصدر الضوء.

صرخت وهرعت مبتعدة:

-لاااا.

ظللت في حالة ذهول، وكنت أردد:

لا... لا، ليس مرة أخرى، ولكن المرة السابقة كنت في المشفى يعني يوجد أمل أن أعود للحياة.

ولكن أنا الآن تحت التراب، يعني سأظل هكذا، لاااااااا.

نظرت للساعة كانت الثالثة فجرًا، وأنا وصلت هنا الساعة الواحدة.

وشُبرا كتم نفسي الساعة الواحدة وربع، إذا أين كان طيفي حينها إذا كنت متّ بسبب الخنق.

بل إني لم أمت بسبب أن شُبْرَا قد كتم أنفاسي، بل أنا متّ بسبب الدفن وأنا ما زلت على قيد الحياة.

معروف أن الإنسان يفقد وعيه بعد عدة ثوانٍ من التوقف عن التنفس، أنا فقدت الوعي فقط.

لم أمت بسبب خنق شُبْرَا لي، لقد دفنني حَيَّة...!

ها أنا أتأمل جسدي الذي لا يمكنه أن يعود للحياة من جديد، ها أنا أبكي بحرقة على ما حدث لي، وكل ما أريد أن أعرفه الآن كيف حدث لي هذا...؟!

في نفس اللحظة التي فكرت في هذه الفكرة رأيت نفسي أتحرك للوراء وكأن هناك مشهد استرجاع (فلاش باك).

بالفعل ها أنا وها هو شُبْرَا، أنظر لساعتي، الوقت وجدته قد تغير بالفعل، لقد عدت بالزمن...! الساعة الآن صارت الواحدة وعشر دقائق.

ها أنا في المكان ولكن في هذه المرة كمشاهدة للمشهد وللحادثة وشُبْرَا مثل الوحش يكتم أنفاسي، ينظر لي بكل غيظ وكره، أسأل نفسي:

-لم فعل بي هكذا؟ كيف تحول إلى وحش؟ كيف صار يكرهني لهذه الدرجة بكل هذه البساطة؟

ها أنا قد فقدت الوعي، ولكنه جعل جسدي يهوي على الأرض، ظل يفكر قليلًا ماذا يفعل بي؟ ولكن لا يوجد في عينيه أي ندم أو حزن حتى على ما فعله بي.

خرج من الغرفة وأغلقها بالمفتاح جيدًا.

صعد إلى الدور الثاني، ولكني ها أنا سبقته إلى شقته، لا تنسوا أني طيف الآن بإمكاني أن أطير أو أنتقل إلى المكان الذي أريده في غمضة عين.

ولكن بمجرد أن دخلت للشقة رأيت غادة تقف عند باب الشقة وتحاول أن تسمع ما يحدث.

ولكن بمجرد أن سمعت غادة خطوات شُبْرَا على السلم هرعت للداخل ومثلت أنها نائمة في سريرها.

يا لها من لئيمة حقًا...!

إذًا هي تعلم بأمري، هي تعلم أن هناك شجار وقع بيننا، وها هي تمثل أنها لا تعرف شيئًا، إن وراءها موضوع كبير تلك الغادة.

دخل شُبْرَا يبحث عنها، استغرب أن البيت صار هادئًا جدًا خاليًا من أي صخب ومن أي صوت، وبحث عنها ولكنه وجدها نائمة في سريرها على غير العادة.

سألها:

- غادة أنتِ نائمة يا حبيبتي؟

وقعت هذه الكلمة على مسمعي مثل السكين الذي طعنني في قلبي.

قلت في قرارة نفسي مستغربة:

-يا لك من كاذب يا شُبْرَا، وأنت كنت تقول وتحلف لي أنك لم تحبها قط...!

ردت عليه هامسة بفحيح مثل الحية:

- أشعر أني متعبة يا حبيبي لذا قررت أن أنام.

- ما رأيك ان أحكي لك ما مررت به خلال يومي إلى أن تنامي من جديد، هيا تعالي لحضني، كم اشتقت إليكِ يا حبيبتي، لا أستطيع أن تمر ساعة وأنا بعيد عنك.

صار يحكي لمدة نصف ساعة ومن ثم مثلت الحية أنها نامت.

ظل الذئب الماكر يمسح بيده على شعرها برفق، وأنا أقول في قرارة نفسي وأنا أضحك ضحكة تهكم على غبائي:

-هههه، هكذا يفعل معها وهو لا يحبها، حسنًا، ماذا كان سوف يفعل إن كان يحبها؟

من ثم ترك سريره برفق؛ كي لا تستيقظ تلك القطة الماكرة.

نزل إلى الدور الأول ودخل الشقة ومن ثم نظر إلى جسدي وفكر قائلًا:

-كيف اتخلص من تلك المصيبة!

ها أنا أشاهد ما يجري وأضحك بحسرة.

الآن صرت مصيبة...

حسنًا لأكمل ما حدث، خرج إلى الحديقة الخلفية وشرع يحفر وجهَّز قبري، ها قد انتهى من الحفر ودخل إلى الشقة كي يحمل جسدي لكي يأخذني لقبري، حينها صرت أتذكر عندما كان يحملني من شدة حبه وفرحته بي.

آه من الدنيا ليس لها أمان، وآه من ذاك القلب المتقلب.

الساعة الآن الثانية والنصف بعد منتصف الليل، ها قد وضعني في القبر، ويغطي جسدي بالتراب، أخفى وجهي المصدوم عن رؤيته برمي التراب عليه.

-آه، الآن يخبئ وجهي عنه بالتراب بعدما كان لا يحب شيئًا في الدنيا سوى أن يسرح في ملامحي، وأن تداعب أصابعه ملامحي، لا أصدق ما يحدث أمامي.

هذا ليس حبيبي، هذا ليس فقط حبيبي بل ليس إنسانًا تمامًا، أشعر أنه مبرمج، ماذا يحدث له...؟!

ها هو أكمل كل شيء وانتهى من دفني تمامًا.

من ثم هرع مثل المجنون مرة أخرى إلى الدور الثاني، ذهب إلى زوجته لكي يراها، أكتفي بأنه قبل رجلها مثل الكلب، ومن ثم دخل إلى الحمام كي يستحم ومن ثم نام وأخذها في حضنه ومسك يدها ونام وهو يُقبِّل يدها.

أشعر أنه يتعامل مع زوجته مثل الطفل الصغير المتعلق بلعبته بشدة ولا يستطيع أن تبتعد عنه أبدًا.

طبعًا أنا في القبر منذ الساعة الثالثة إلا ربع وأنا ظهرت في هذا المكان الساعة الثالثة أي أني أخذت وقتًا قليلًا إلى أن خرجت روحي من جسدي بعدما فرغ جسدي من كمية الأكسجين المخزنة بداخله بالكامل.

ها أنا عدت إلى قبري من جديد، ها أنا أجلس أمام جسدي، ها أنا أتحسَّر على ما فعلته في نفسي...!

أتحسَّر على ما سوف يشعر به أهلي...

أهلي، أهلي الذين يعانون من اللامبالاة...

أريد أن أذهب إليهم.

وصلت إلى عائلتي وجدت أبي وأمي نائمين ولكني بمجرد أن رأيتهما نائمين في سلام تام لا يشعرون بما جرى لي صرخت بصوت عالٍ، صرخة رجَّت البيت لدرجة أن كليهما قد استيقظ.

لم أكن أتوقع أن صوتي سيكون مسموعًا في هذه المرة.

بالفعل هذه المرة تختلف عن المرة السابقة، كوني كطيف لكائن ميّت أقوى بكثير من طيف لكائن بين الحياة والموت.

صرخت بقوة وقلت بحرقة:

- لمَ فعلتما بي هذاااااا؟

فزع أبي وأمي وجلسا على سريرهما وحاول أبي أن يضيء ضوء المصباح المجاور بيدٍ مرتعشة لكي يعرف مصدر الصوت.

وأمي تحاول أن تصب كوب ماء لكي تشرب هي وأبي بعد هذه الفزعة.

كلاهما يظن أن ما رآه كان كابوسًا، ولكن كيف يكون كابوسًا وكلاهما سمعا نفس الصوت في نفس الوقت وفي نفس المكان...؟

قرَّرت أن أرفق بهما وألا أفزعهما، ومن ثم بعد أن هدأ كلٌ من أبي وأمي، بدأت أقول لهم باكيةً:

- لمَ فعلتما بي هكذا؟ لم لم تحتوياني؟ لمَ لم تخافا عليَّ؟ لمَ أعطيتماني الحرية المطلقة وأطلقتُما سراحي من قفص بيتكما ولم تسألا نفسيكما في مرة: لمَ لم يعد العصفور من جديد وماذا حدث له؟

أمي تشعر بالفزع وتبكي بسبب صوتي الذي كله حسرة، فضمها أبي مهدئًا لها، ومن ثم رد عليّ:

- أروما حبيبتي، كيف نسمع صوتك؟ أكيد أنتِ هنا وتمزحي معنا بمكبرات صوت؟ أيرضيكِ يا بنيتي أن تفزعي أباكِ وأمك هكذا، إن قلبينا لا يتحملان هذا.

صرت أضحك ضحكة تهكّم وأردفت وصوتي يهتز بسبب الحزن والبكاء:

-أمزح معكما! لم يعد وقت للمزاح، أنا شبح أروما.

وأريد ردًا منكما حالًا على أسئلتي.

رد أبي وهو متردد لا يعرف هل هو خائف أم إنه مطمئن لأنه يشعر بأن هذه مزحة محبكة مني كي أخيفه ولكنه رد عليّ وقال:

- حسنًا سوف أجيبك يا أروما، وأنا لست أثق تمامًا أنك شبح، أعلم أنك تمزحين معنا، ولكن ما فعلناه معكِ تتمناه أي بنت أن يعاملها أهلها كما نعاملك، نحن أعطيناكِ الحب وكل شيء

تحتاجين إليه، وها أنتِ ذا... فتاة عظيمة مميزة في كل شيء، مميزة في تعليمك وفي عملك وفي أخلاقك وفي علاقتك مع الله.

مسحت أمي دموعها وقالت:
- أنتِ فتاة ليس لكِ مثيل يا أروما، أنتِ استغللتِ حريتك المطلقة في تنفيذ كل ما هو صحيح.

لم نحب يومًا أن نكون عائقًا في حياتك وفي الوقت نفسه أنتِ احترمتِ ثقتنا بك.

بدأت أبكي وقلت في قرارة نفسي:

- هذا كله ليس صحيحًا أبدًا، هذا ما يعرفه الناس عني، أو هذا ما كنت عليه قبل أن أعرف شُبْرَا، الذي غير مبادئي تمامًا، لقد قلب حياتي رأسًا على عقب بحجة الحب.

أبي وأمي لا ذنب لهما، العيب فيّ أنا لا في حريتي المطلقة، لم تكن الحرية يومًا سبب في الانفلات، هناك بعض الأهالي تقيد بناتهن تمامًا وعلى الرغم من ذلك يرتكبن الكثير من الأخطاء.

العيب بنا نحن لا بالحرية ولا بالتقييد.

من يريد أن يفسد نفسه أو أن يفعل خطأ يفعله مهما كانت الظروف.

توقفت عن البكاء، ومن ثم قلت لهما معتذرة:

- آسفة يا أبي، آسفة يا أمي، عندكما حق في كل شيء، أنتما نعمة تتمناها أي فتاة في العالم.

اعذراني إن لم أكن نعم البنت لكما.

اتصل أبي برقمي على أمل أن يصدر صوت هاتفي نغمة بصوت عالٍ في مكبر الصوت، ولكن هاتفي مغلق أساسًا، بدأ أبي يشعر بالقلق عليّ فاتصل على أخي عبد الرحمن، طبعًا أخي عبد الرحمن في القاهرة ليس في مطروح مع أبي وأمي.

لم يستيقظ أخي على اتصالات أبي وأمي، لأن هاتفه صامت أكيد، في غمضة عين كنت عند أخي، صرت أنادي على عبد الرحمن وأنا أبكي، أبكي لأني لا يمكنني أن أضمّ أخي من جديد.

أنادي باسمه وأنا أنتحب باكيةً:

عبد...عبد ال... عبد الرحمن... حبيبي، أنا أختك أروما، استيقظ.

قام عبد الرحمن مفزوعًا من مكانه مستغربًا؛ لأنه يسمع صوتي ولكنه لا يراني أمامه، ثم قال بصوت مرتجف مستغربًا:

- أروما، ها...، ولكن أين أنتِ؟

- أنا صرت شبحًا يا عبد الرحمن، لا يمكنني أن ألقاك من جديد، لن أستطيع أن أضمّك مرة أخرى يا حبيبي.

- أروما توقفي عن مزاحك السمج هذا، أنتِ تمزحين معي، ما هذا المقلب السمج في هذا الوقت.

بكيت بسبب نكرانه لكلامي، ثم قلت له وأنا أجهش بالبكاء:

- أقسم لك أني لا أكذب عليك يا عبد الرحمن، وحزينة جدًّا لما أقوله لك، لو كنت أعلم أن هذا سوف يحدث لي في سني هذا لما كنت ابتعدت عنكم لحظة، لكنت استغللت كل لحظة في حياتي في حضنكم.

عبد الرحمن يرتجف خوفًا ويبكي بسبب حزني وصوتي، ولكني هدأته:

- أخي لا تخف مني، أنا أروما ولن أؤذيكم أبدًا لأنكم لم تؤذوني قَط، أنا أحبك يا أخي ولكن هيا قم وردّ على أمي وأبي.

- ولكن أين أنتِ يا أروما؟

- ابحثوا عني وإذا أراد الله سوف تجدوني.

***

أخي يحاول الاتصال بي ولكن بلا جدوى، ولكنه طمأن أبي وأمي بأنه سوف يذهب إلى بيتي وإلى شركتي ويبحث عني، ولكن أبي وأمي لم يطمئنا.

لم يطمئنا ليس بسبب غيابي أو عدم ردي؛ بل بسبب الصوت الذي تحدث معهما، إنهما يريدان أن يطمئنا.

يحاولا أن يكذبا على أنفسهما كي يطمئنا ويقولا إن ما سمعاه كان هلوسة جماعية لا أكثر ولا أقل.

***

أخي قام من مرقده وجهز نفسه مسرعًا وهرع إلى سيارته، أعلم ان أخي سوف يحدث شيء لقلبه بسبب استيقاظه مفزوعًا هكذا.

قاد سيارته إلى بيتي، ودخل إلى البيت ولكن البيت فارغ تمامًا، قرَّر أن يذهب إلى مقرّ مشروعي.

ذهب إلى هناك وسأل رجال الأمن ولكنهم أوضحوا أني تركت مقرّ العمل الساعة الخامسة مساءً.

أخي حاول أن يتماسك، وذهب إلى سيارته وشرع في البكاء؛ لأنه يعلم جيدًا أني إذا قررت أن أسافر أخبر أهلي قبل أي شيء.

أبي وأمي لم يتوقفا عن الاتصال به ولكنه قرر أن يطمئنهما بأنه سوف يبلغ الشرطة كي تبحث معه، ولكنهما قالا له:

- ها نحن ذا في الطريق إليك؛ لكي نبحث معك يا بني.

أشعر بحسرة لما سبَّبته من ألم لأهلي ولنفسي، كله بسبب الحب، فليذهب الحب إلى لجحيم، خسرت بسببه علاقتي بربي وخسرت ثقة أهلي، خسرت بسببه حياتي، وخسرت كل شيء.

بلَّغ أخي الشرطة وطلب منهم البحث عني من خلال موقع هاتفي ولكنهم لم يستطيعوا الوصول إليّ من خلال هاتفي نهائيًا؛ لذا قرروا أن يبدئوا في البحث عني في كل مكان.

بدأت الشرطة في استجواب أهلي شخصيًا لمعرفة تفاصيل أكثر عني، ومن ثم استجوبوا الموظفين في شركتي.

وعندما سألوا السكرتيرة عن أكثر الناس قربًا مني، ذكرت لهم، الأستاذ شُبْرَا، والأستاذ كريم.

وعندما سألوها فيمن تشكين أنه سبب اختفاء أروما "أي أنا"

قالت لهم ناكرة:

-أنا لا أعرف ولا أجزم بذلك، ولكن أغلب الموظفين في الشركة شهدنا وسمعنا مشاجرة جرت بين الأستاذ شُبْرَا والأستاذة أروما.

استجوبوا بقية الموظفين والبعض شهد بنفس الموقف.

- إذًا أكثر شخص تشكون فيه هو أستاذ شُبْرَا...؟

- لا نجزم بذلك، ولكن هذا ما حدث أمامنا يا سعادة البيك.

***

وبحث أخي مع شركة الاتصالات آخر الأرقام التي كنت أتواصل معها لمدة شهر.

وبدأت الشرطة في استجواب أصحاب الأرقام في اتصالاتي الأخيرة.

إلى أن وصلوا إلى كريم، كريم صُدم وذُهل وقال لهم:

-إن أروما كانت معي بالأمس وكانت بخيرٍ تمامًا، ولكن منذ أسبوعين من وقت أن وصلت إلى مصر وأنا أشعر أنها متغيرة تمامًا، شاردة الذهن، حاولت أن أُخرجها من تلك الحالة ولكن بلا جدوى.

- هل تعرف أحدًا اسمه شُبْرَا؟

- نعم أعرفه، إنه صديق أروما المُقرب، وصار صديقًا لي أيضًا.

- هل تشك أنه وراء اختفاء أروما؟

- لا، إنه شخص طيب جدًّا ويحب أروما، أظن أنه لا يمكنه أن يُلحق بها الاذى.

من ثم وصل الدور إلى شُبْرَا، ولكن الشرطة وجدت أن الرقم غير موجود في الخدمة، ولكنهم عرفوا مكانه على الخريطة بمنتهى السهولة.

وصلوا إلى بيت شُبْرَا، كان الوقت عصرًا حينها، وشُبْرَا كان يفعل شيئًا ما في الحديقة الخلفية.

فتح للشرطة وهو مُتَّسخ بالتراب، ثمّ سألوه:

- أنت شُبْرَا؟

رد بمنتهى البرود، وهو ينفث سيجارته:

- نعم أنا شُبْرَا، ماذا تريد؟

- مطلوب التحقيق معك في قضية اختفاء أروما؟

- من هي أروما!

- لا تكذب ولا تنكر الكل شهد أنك تعرفها جيدًا، وأن هناك خلافًا حدث بينكما من فترة.

- آه، أروما، إنها مجرد صديقة، وجرى بيننا خلاف وانقطع تواصلنا تمامًا؛ وذلك لأن علاقتنا بسيطة فلم نعر الموضوع اهتمامًا أن نحل الخلاف، وانتهى كل شيء بيننا بسهولة، هذا كل ما في الأمر.

- إن أروما مُتغيبة من الأمس و...

- أوه الشرطة تبحث عن شابة مفقودة قبل أن يمرّ أربعة وعشرون ساعة على اختفائها، ما شاء الله لم أكن أعلم أن شرطة بلدنا نشيطة إلى هذا الحدّ، بالفعل المال والنفوذ لا يؤثرون في ذمة وهمة رجال الشرطة أبدًا.

- الزم حدودك، نحن نقوم بواجبنا، ومن قال لك أنه لم يمرّ على اختفائها أربعة وعشرون ساعة؟

توتر شُبْرَا قليلًا ولكنه تمالك أعصابه ومَثَّل البرود وتكلم والسيجارة تدلي من طرف فمه:

- أنت قلت إنها غائبة ومختفية من مساء أمس، ونحن الآن قبل العصر أي لم يمرّ أربعة وعشرون ساعة.

- أنا قلت مختفية من الأمس، حسنًا يا أستاذ شُبْرَا، أنت تجعل العيون عليك أكثر وأكثر.

حوَّل شُبْرَا عينيه عن الضابط بلا مبالاة ونفث دخان سيجارته وأردف:

-افعل ما تشاء أنا واثق في نفسي جيدًا وقلت ما حدث معي.

كان هناك كلب بوليسي مع الشرطي، شم الكلب قطعة من ملابس أروما ومن ثم بدأ ينبح بقوة، ويزمجر وهو ينظر إلى شُبْرَا، قال الضابط نريد أن ندخل، الكلب يريد أن يصل لشيء ما، وأنت الشكوك كلها عليك.

أدخلهم شُبْرَا وهو ينظر إلى زوجته التي تقف في الشرفة وقد أشار إليها ألا تقلق، ومن ثم استمر في التدخين وهو يتبعهم إلى حيث يأخذهم الكلب، أخذهم الكلب إلى الحفرة المدفونة بها أنا.

هنا نظر الضابط بنظرة شك أكثر إلى شُبْرَا وقال:

- لم نظن أنك بهذا الغباء، وتخرج لنا وأنت متسخ بالتراب، وهذه الحفرة مردومة منذ قليل.

- نعم لأني كما ترى أحب حديقتي وأحب زراعة الأشجار، وكما ترى هذه شجرة جديدة فقمت بالحفر لها لكي أزرعها وها قد انتهيت من الزراعة ثم جئت أنت.

زاد نباح الكلب أكثر وأكثر، وأمر الشرطي العساكر بالحفر في المكان الذي ينبح عليه الكلب.

حفروا وحفروا وحفروا ولكن لم يصلوا إلى شيء، ثمَّ قال العساكر:

- لا يوجد شيء يا سيدي.

نفث شُبْرَا دخان سيجارته وهو يتهكَّم ضاحكًا:

- يعني يا سعادة البيك كما يقولون لك، أنا لست بهذا الغباء، إذا قتلت أحدًا في داري لن أدفنه في عز النهار في حديقة بيتي.

نظر له الضابط نظرة توعُّد وربت على كتفه وعيناه تحملقان في عيني شُبْرَا اللتين تشبهان عيني الذئب في شراسته وأردف:

- ولكن لا تظن أن الأمر قد انتهى يا شُبْرَا، العيون سوف تكون عليك، وسوف تظل تحت المراقبة.

أمر الشرطي البحث في كل أرجاء البيت، وأن يفتشوا شبرًا شبرًا به.

ها هي أمي تتوسل لشُبْرَا وتقول له باكيةً:

- يا بني ساعدنا إن كنت تعلم أين هي، لا تحرق قلبي عليها.

- لا أعلم أين هي صدقيني، وإذا عرفت شيئًا عنها سوف أطمئنك صدقيني.

بحث العساكر في كل أرجاء المكان ولكن لم يجدوا شيئًا، ولكنهم وضعوا شُبْرَا تحت المراقبة، ولكن بمجرد أن خرج رجال الشرطة من البيت، خرَّ شُبْرَا على الأرض، لم يعد يتحمل الوقوف أكثر من ذلك، من ثم شرب سيجارة بجوار الحفرة وسأل نفسه مستغربًا:

- أين ذهبت جثة أروما؟ آه يا ربي... ماذا كان سوف يحدث إذا كانت جثتها هنا؟

إنها لمعجزة حدثت لي حقًا.

همست له ضاحكةً:

- هههههه، ليست معجزة بل أنا من فعلت ذلك.

حاول أن يقف لكي يهرول هاربًا، ولكني أسقطته أرضًا، وقلت له وأنا أرى في عينيه نظرة الرعب وهو يحاول أن ينظر عن يمينه وعن شماله يبحث عن مصدر الصوت، من ثم همست له:

-لا أريد أن تأخذ الشرطة حقي منك، بل أنا من سوف أنتقم لنفسي منك.

ومن ثم صرخت به وقلت:

-أكرهك يا شُبْرَاااااا.

وكان الألف في نهاية اسمه يخرج بحرقتي وألمي.

صرختي جعلته يصم أذنه من شدة الصوت وارتجف البيت من شدتها.

من ثم تركته يهرع إلى زوجته، وصل إلى سريره مرتجفًا خائفًا وهي تضمه وهي خائفةً كذلك، تسأله بصوت مرتجف:

- ما الذي كان يجرى يا شُبْرَا؟

- لا أدري، لا أدري يا حبيبتي.

ومن ثم بدأ يهدأ قليلًا، وبدأ يسأل نفسه مرة أخرى:

- كيف انتقلت الجثة؟ وما هذا الصوت الذي سمعته؟ هل هذه حقيقة أم أنا أتوهم؟

رددت عليه وأنا أهمس وأجعله يشعر بحرارة من كلامي:

- أنت لا تتوهم يا شُبْرَا، بل أنا أروما، أو بالأصح شبح أروما، الذي لن يرتاح إلا بعد أن ينتقم ممن فعل بي هذا.

وبالنسبة للجثة أنا من نقلها ليلًا.

جلست أمام قبري أو الحفرة التي حفرتها لي يا شُبْرَا ووضعت بها جسدي وسألت نفسي:

- هل أرجع التراب على جثتي من جديد، أم آخذ جثتي وأضعها في مقبرة العائلة.

لذا قررت أن أحمل جثتي، قررت أن أنتقل مباشرةً إلى مقبرة العائلة، لم أفضل أن أطير كي لا يستغرب الناس أن هناك جسدًا ما يطير في السماء.

أنا مستغربة حقًا من قدراتي في هذه المرة، ها أنا أستطيع أن أحرك الأشياء من موضعها، أستطيع أن أفعل ما أشاء وأُسَخِّر أي شيء.

وصلت المقبرة وها أنا أحمل جثتي ولكني صنعت حول جسدي هالة شفافة؛ كي لا يرانا حارس المقبرة.

أقصد كي لا يرى جثتي الهائمة في الهواء؛ لأني أصبحت طيفًا لا يراه أحد.

المقبرة عليها قيود... ماذا أفعل الآن؟

آه يا أروما توقفي عن التفكير كبشرية، أنا الآن طيف، وبلمسة فقط قد فُتح القيد، ووضعت جثتي بجوار جثث عائلتي.

لا أدري لم فعلت ذلك! ولكن لا يصح أن أترك جثتي بعيدة عن أهلي.

وفي نفس الوقت لكي أزيل عنك الشبهات أمام الشرطة، وفي نفس الوقت لكي تتيح لي الفرصة أن أعذبك قليلًا قبل أن تموت، لا أريد أن تموت بسهولة يا شُبْرَا.

أتظن يا شُبْرَا، أن الشرطة لم تجد بصماتي أو أثري في البيت بهذه السهولة!

أنا من ارجعت كل شيء من دون بصمات وأنا من قمت بإعادة تهميش وضبط هاتفي تمامًا؛ كي لا تتمكن الشرطة من معرفة موقعي، بينما موضوع الكلب ونباحه أحببت أن أقلقك بعض الشيء.

سوف ألعب بك يا شُبْرَا كما لعبت بي.

من ثم دخلت زوجته فرأت شُبرا يرتجف خوفًا:

- ماذا بك يا شُبْرَا؟ أتشعر بالبرد؟

- بل إني أشعر بحرارة فظيعة، لا أريد غطاءً عليّ.

كان شُبْرَا يتصبَّب عرقًا بالفعل، يتصبَّب عرقًا في عِز فبراير.

زوجته تلمس يده وتقول:

- ولكن يا عزيزي أنت لست دافئًا أبدًا.

من ثم قرَّرت أن أضع يدي على يده، فسحب يده مفزوعًا مسرعًا صارخًا:

- آه، آه يا غادة أشعرتِ بتلك الحرارة؟

ردت عليه غادة وقد رسمت ملامح الوجوم على وجهها، وأردفت ناكرةً:

- لم أشعر بأي حرارة يا حبيبي، أنت تحتاج إلى أن ترتاح، وبعد أن تستيقظ احكِ لي موضوع الشرطة.

نظر لها شُبْرَا مستغربًا، ثمّ أردف قائلًا:

- أكنتِ تسألين عن الشرطة؟ كنت أظن أنك تسألين عن الصوت الذي سبَّب رجفة قوية للبيت.

ردت غادة بنفس النبرة التي تدل على البلاهة:

- أي صوت يا حبيبي؟! لم أسمع صوتًا غير صوت رجال الشرطة والناس الذين كانوا معك فقط، ولكن لسوء وضعك الآن لن أسألك.

تَمتمَ شُبْرَا في قرارة نفسه:

- يبدو أني قد جننت، إذا لم تسمع غادة هذا الصوت إذًا يبدو لي أني أُهلوس، كل ما أشعر به ليس حقيقة، أروما وهم، أروما أذى.

قررت حينها أن أظهر أمامه وأنا أَهيم في الهواء، كنت موازية له تمامًا، ممددة على الهواء كما هو ممدد على السرير ووجهي مقابل وجهه، وأردفت:

- أنا لست حقيقة بالفعل لأني مت، ولكني الآن شبح وسوف أجعلك تعيش أسوأ كابوس، ولكنه كابوس في الواقع لا أثناء نومك.

من ثم أوهمته بلهيب نار من فمي وعيني، فصرخ شُبْرَا، صرخ بجنون وهو يخبئ وجهه.

زوجته ضمَّته بقوة تهدئه:

-اهدأ يا شُبْرَا، اهدأ يا حبيبي، ممَا أنت خائف؟

أزاح يده عن وجهه يبحث عني ولكني اكتفيت بما فعلته الآن، ومن ثم نظر لزوجته وصوته يرتجف من الخوف، بل كله كان مرتجفًا:

- نار يا حبيبتي، كنت سوف أحترق وأنتِ أنقذتني.

- لا يوجد نار يا حبيبي ماذا جرى لك، يجب أن ترتاح.

- شغلي قرآن أرجوكِ يا غادة كي أطمئن.

وعندما بدأ القرآن صرت قريبة منه ولكن مختفية، أهمس له فقط، وأردد مع القارئ الآيات.

ومن ثم قلت له متهكمة وهو يرتجف ويلتفت عن يمينه وعن يساره باحثًا عني:

- أنت غبي يا شُبْرَا، تشغل لي قرآن كي تصرفني أنا مسلمة يا أحمق، أنا لست جنًا كافرًا كي تصرفني بالقرآن، بل أنا شبح، جئت لكي أقتص لنفسي ممن ظلمني وكفى.

ومن ثم اختفيت، بعدما رأيت أن حالة شُبْرَا قد ازدادت سوءًا بمجرد أول لقاء، وأنا أريد للعذاب أن يطول قليلًا.

***

كانت غادة قد خرجت للصالة؛ لكي تتكلم في الهاتف هامسة:

- ألو، أمنية.

- ألو غادة، ما بكِ، صوتك لا يدل على الخير.

- وكيف يأتي الخير بسبب الطريق الذي نصحتني به.

- آه منكِ يا غادة كنتِ تدعين لي على معروفي لكِ واليوم تقولين هكذا كلام!

- اسمعي يا أمنية، يجب أن أقابلك غدًا، إن شُبْرَا تغير، إنه يهلوس ويرى أشياء لا وجود لها، أخاف أن يكون العمل أثَّر بالسلب عليه.

أنا أريده معي، لا أريد أن يلحق به أذى.

- حسنًا، توقفي عن الكلام وغدًا سوف نجد حلًا لهذا الموضوع، اهدئي أنتِ ولا تقلقي واتركِي كل شيء على الشيخ "سعدوك المبروك".

تمتمت في قرارة نفسي:

- إذًا الأمر هكذا، عمل! هو السبب وراء كل هذا، سوف أعرف كل شيء عن هذا الصعلوك أقصد سعدوك، ما هذا الاسم الأخرق، يبدو أنه أطلقه على نفسه؛ كي يكون مناسبًا مع القافية.

يجب أن أفهم حكاية غادة منذ البداية مع شُبْرَا، يجب أن أفهم كل شيء قبل أن أبدأ في الانتقام، إن هذه المكالمة قد غيَّرت مجرى الخطة تمامًا.

دخلت في عقل غادة وها أنا أرجع بالزمن، شُبْرَا ها هو في مكتبه بمجرد أن يخرج تلتفت له البنات كافة، وهو لا يقصر في حقهن فإنه يغازل الجميع بالتساوي بلا استثناء.

يتسلى بهن، ويبرر في قرارة نفسه:

-هن من يردن ذلك.

غادة تكتفي بالنظر له، ليست لها الجرأة أن تعبر له أو توضح له مشاعرها، وفي نفس الوقت ليست متبجحة.

غادة قابلت صديقتها أمنية طبعًا صديقتها متزوجة وزوجها يحبها بجنون، فاشتكت غادة لأمنية وقالت لها بصراحة أنها معجبة بشُبْرَا، وذلك لأن أمنية تكون ابنة خالة شُبْرَا؛ لذا سوف تقنع خالتها بغادة.

حاولت أم شُبْرَا أن تعرض له غادة للزواج، ولكنه قد كان رافضًا لفكرة الزواج تمامًا.

أمنية تحب غادة جدًّا وتريد سعادتها؛ لذا اقترحت عليها اقتراحًا وأفشت لها سرًا:

- أقول لكِ سرًا يا غادة، ولكن لا تقولي لأحد.

- أنتِ صديقتي وأختي، سرك في بئر صدقيني.

- اسمعي مني، لا يوجد شيء يجعل الرجل منكفئ على وجهه ومثل الخاتم في إصبعك ومثل الكلب المطيع لكِ إلا حلًا واحدًا.

- وما هذا الحل؟

- أنا أعرف شيخًا مبروك وسمعته محمودة والناس تحلف بقدرته وبركاته.

- وما شأني بهذا الشيخ مبروك هذا.

- ليس مبروك اسمه بل سعدوك، ولكنه مبروك بقدرته.

- وماذا سوف يفعل لي؟

- أنتِ غبية يا غادة، سوف تأتين معي ويقوم بعمل عمل لشُبْرَا لكي يحبك.

- أنا لا أصدق في هذه الخرافات، إنهم مجرد نصابين يا أمنية.

- كذب، كل هذا كذب، بركات الشيخ سعدوك حقيقة، وأنا خير دليل.

- كيف؟

- أنا جربت هذا الشيخ وقمت بعمل لزوجي أحمد كي لا يرى غيري، أنتِ تعلمين أن كل الرجال خائنون، ولا يوجد شيء يملأ عين الرجل، مهما فعلت من أجله سوف يملّ ويخرج ينظر لغيرك، لذلك يجب أن أربطه بعمل.

- ولكن هذا حرام.

- ليس حرامًا إن كنت أحاول أن أحافظ على زوجي وأجعله لا يرى غيري.

- وما الفائدة التي سوف تعود عليكِ يا صديقتي...؟

- بمجرد أن ترتبطي بشُبْرَا وتتزوجيه...
- أتزوجه مرة واحدة، هل أنتِ ضامنة الموضوع لهذه الدرجة...!

- أضمن لك برقبتي، عندما يتم بإذن الله سيكون بيتك بيتي ولا تنسيني من خير شُبْرَا.

- أعطيك حياتي يا صديقتي؛ لأنك سوف تحققين حلمي.

***

بعد أسبوع ذهبتا إلى الشيخ سعدوك، إن بيته في قرية نائية، والبيت شبه مهجور ولا يوجد حوله بيوت أبدًا، إنه بيت وسط أرض قاحلة جرداء لا زرع فيها، ويحيط بالبيت أشجار بلا أوراق، إن البيت يوحي بالكآبة حقًا، نظرت غادة لأمنية وأمسكت يدها بقوة وهي ترتجف وأردفت:

- أمنية، أنا خائفة جدًّا، إن البيت مخيف، إن البيت مفحم تمامًا، وكأنه قد حُرق من قبل.

- لا يهمنا إن كان قد حُرق من قبل أَم لا، المهم أن نقضي حاجتنا ونرحل.

- أشعر أن هذا بيت مهجور، لا يوجد به أحد، أريد أن أرحل، دعينا نعود للسيارة من جديد.

- لا تكوني طفلة خائفة وجبانة هكذا، إذا أردتِ أن ترحلي فلترحلي، ولا تأتي تبكين لي عندما يتزوج شُبْرَا غيرك، هيا ارحلي.

بكت غادة، وقالت وهي تمسح دموعها:

- أخاف أن أعود بمفردي إلى السيارة، إن السيارة قد قُمنا بركنها على بعد كيلو؛ لأنه ممنوع أن ندخل بسيارة كما طلبت، إن المكان مقبض، والظلام قد أوشك أن يسدل ستائره، نحن المغرب الآن وأخاف أن أعود بمفردي.

- لا شأن لي بك، إن الشيخ سعدوك موجود اليوم فقط، ولن أضيع مقابلتي معه لأنكِ خائفة، تريدين أن ترجعي للسيارة ارجعي بمفردك وانتظريني إلى أن أنهي موضوعي أنا مع الشيخ.

أمسكت غادة بيد أمنية بقوة وأردفت:

- لا لن يمكنني أن أكون بمفردي في هذا المكان المخيف، سوف آتي معك يا أمنية.

دخلتا المكان، كان هناك عددًا من الناس المتواجدين في البيت من الداخل ينتظرون دورهم، ولكن أمنية قالت لغادة:

- انتظري هنا، سوف أسرع الموضوع ولن ننتظر دورنا.

وقفت أمنية وذهبت إلى رجل يقف أمام باب خشبي عليه عظام ودماء ومدت إليه ظرفًا فيه مبلغ، فتح الرجل الظرف وأشار بإصبعه على عينيه أي "من عيني الاثنتين يا سيدتي" ومن ثم فتح الباب فخرج كمًا هائلًا من الدخان، يبدو أنه دخان بخور ولكن رائحته شنيعة جدًّا وقد جعلت رائحته غادة تسعل.

استمرت غادة في النظر لديكور البيت المحروق، إن الهباب الأسود قد طلى الجدران كافةً، يوجد الكثير من الدماء المسكوبة على الجدران، إن المكان مخيف جدًّا.

مُعلق على الجدران الكثير من الجماجم لحيوانات خاصةً الجدي، حتى إن الناس تجلس على الأرض مباشرةً على جلود ماعز.

فجأة شعرت غادة بيدٍ على كتفها؛ ففزعت وتحركت من مكانها مسرعةً، ولكنها كانت أمنية صديقتها وأخذت تهدئها:

- اهدئي يا غادة أنا أمنية، ماذا بكِ؟

تنفست غادة الصعداء وأردفت وهي تضع يدها على صدرها وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها:

- لا شيء يا أمنية، ولكني كنت شاردة الذهن.

- توقفي عن التفكير، هيا سوف ندخل الآن.

دخلتا المكان، ولكن غادة كانت مذهولة من المكان وفي نفس الوقت تموت رعبًا وممسكة بيد أمنية بقوة.

كان "الشيخ سعدوك" رجلًا في الأربعين من عمره، أشعث اللحية، ولحيته كانت متوسطة الطول، وجهه يشبه الشيطان، وعيناه تبعثان بالشر، عباءته سوداء وعمامته كذلك.

أمامه صحن كبير جدًّا به الكثير من الحطب المشتعل، وهو يجلس على كرسي مصنوع من مادة غريبة أشبه بالعظام المطحونة لصنع كرسي، وبجواره كتب ضخمة أوراقها صفراء مهترئة لأنها قديمة للغاية.

يوجد في آخر الغرفة طيور مذبوحة موضوعة فوق شيء عالٍ؛ كي ينزل دمها، إنها غربان مذبوحة...!

يوجد الكثير من القوارير بها أشياء لا أعرف كنهها، ولا أستطيع أن أُخمن ما هي سوى الأحمر منها قد يكون دمًا أو غير ذلك... لا أدري...!

هناك الكثير من العظام، عظام يبدو أنها عظام بشر، وعظام أطفال، وعظام حيوانات، والأحجام منها متفاوتة.

قطع صوت الشيخ شرود غادة، وأردف بصوت عالٍ وهو يرمي ذاك البخور ذا الرائحة الشنيعة في النار التي أمامه:

- سيكون شُبْرَا من نصيبك يا غادة، لكِ ما تشائين.

نظرت غادة لأمنية متعجبة وكانت عيناها تقولان:

- أنتِ من قلتِ له!

قاطع الشيخ سعدوك تفكير غادة وأردف:

- لم يقل لي أحد شيئًا، هيا ليس لدي وقت، أعطيني صورة شُبْرَا وغادة وشيء من ملابسه أو شعره.

كانت أمنية تعلم هذه الطلبات من قبل، فقامت بتجهيز كل شيء معها.

أخذ الشيخ سعدوك الصورتين وربطهما بطريقة ما وقرأ كلامًا غير مفهوم، ورسم بحبرٍ أحمر قد يكون دم؛ لأن الرائحة شنيعة حقًا، ومن ثم أعطى غادة سبحة عددها (١٠٠) وذلك بعد أن وضع السبحة في يده وتمتم بكلام غير مفهوم وغير مسموع ونفث فيه، ومن ثم رمى البخور في النار فصعد البخور على السبحة، ومن ثم طلب منها بالقيام بعمل شيء معين ثاني يوم عند المغرب بعد أداء الفريضة...

قال لها:

- يجب أن تكوني على طهارة.

في قرارة نفسي أسخر منه: "ونعم الإيمان يا شيخ صعلوك"

قال لها:

-خذي هذه السبحة سوف تذكرين هذا الاسم (١٠٠) مرّة وبعد ذكر الاسم في كل مرّة اذكري التوكيل.

اعذروني لن أقول ما الاسم الذي قاله لها؛ كي لا أضر أحد بما أذكره.

ثمّ أكمل لها مؤكدًا:

- بعد ذكر الاسم ١٠٠ مرّة وبعد كل مرة تقولين التوكيل، ومن ثم تقولين "يا خدام هذا الاسم الشريف عليكم بجعل شُبْرَا بن محمد وليلى من نصيب غادة بنت عيسى وهدى، الوحا الوحا، العجل العجل، الساعة الساعة" ولا تتكلمي مع أحد، ثمّ تأهبي لتنامي.

في اليوم التالي، قامت غادة بما طلبه منها الشيخ سعدوك وكانت في كل مرة من العدد عندما تذكر الاسم كي يحضر وينفذ المطلوب، تشعر بقشعريرة تسري في جسدها، تلك القشعريرة تجعل الثلج يجمد عمودها الفقري من شدة الخوف، ولكنها تكمل من أجل شُبْرَا.

كانت تشعر بالرعب وهي تمسك بتلك السبحة الغريبة المصنوعة من مادة أغرب.

وبعد أن انتهت من شدة الرعب والخوف؛ نامت متعبة.

وفي اليوم الثالث، ذهبت أمنية إلى خالتها وعرضت الأمر من جديد، ومن ثم عرضت الأم العرض من جديد على شُبْرَا أمام أمنية وكان الردّ مفاجئًا...

لقد وافق شُبْرَا، طارت أمنية من الفرح وهرعت إلى غادة في بيتها وعانقتها بشدة، وقالت لها:

- بركات "الشيخ سعدوك".. الحلم تحقق، والخطوبة الأسبوع القادم.

ذُهلت غادة...! غير مصدقة، وقالت في قرارة نفسها:

- وأخيرًا حلمي صار حقيقة...!

اتفقوا أن يكون الزواج بعد سنتين، وطوال فترة الخطوبة شُبْرَا لم يشعر تجاهها أي مشاعر.

ولكنه لا يستطيع أن ينفصل عنها.

ها أنا أسمع تفكير شُبْرَا في قرارة نفسه:

-لمَ أنا مرتبط بها...! أنا لا أشعر تجاهها بأي مشاعر، ولكني أشعر أني مربوط بشيء، هناك شيء يربطني بها، إنه النصيب.

في يومٍ لاحق، قالت غادة لأمنية:

- أنا سعيدة لأن شُبْرَا صار من نصيبي، ولكنه إلى الآن لم يحبني قَط.

- ما رأيك أن نذهب للشيخ سعدوك؛ لكي يعمل لك عمل محبة...؟

- لا أريد أن أفعل ذلك مرة أخرى، أنا كان حلمي أن يكون شُبْرَا في حياتي فقط، والحب من الممكن أن يأتي مع الوقت.

وبالفعل شُبْرَا تزوجها بعد سنة ونصف، ولم يكمل مدة الخطوبة المتفق عليها.

يشعر أن هناك شيئًا ما يجعله يتعجل بالتقرب منها مع أنه لا يحبها.

وها قد تم الزواج، شُبْرَا لا يكرهها ولكن بالفعل حياته معها روتينية رتيبة مملة، ولكن هذا لا يشكل مشكلة لغادة، فقد كان كل ما يهمها أن يصبح شُبْرَا من نصيبها وكفى.

كل هذا كان شُبْرَا صادق في كل كلمة قالها لي.

لم تسمع غادة لأمنية بأن تقوم بعملِ عمل محبة، أو عمل عمل لكي تنجب من شُبْرَا، كل هذا لا يشكل لها أهمية المهم أنه معها؛ فهي لا تريد أن تزيد ذنوبها ذنوبًا أخرى على ذنبها السابق.

"ونعم الايمان" والقلب الصافي النقي...!

كان هذا تفكيرها إلى قبل شهرين، وعندما سافر شبرا بدأت تشك قليلًا؛ لأنه قبل أن يسافر افتعل معها مشاكل على غير العادة، والاهتمام قد قلّ إلى أن صار منعدمًا، ولكنها ما زالت نصيبه، وهذا الأهم بالنسبة لها.

ومن ثم عندما عاد شبرا من السفر وحدثت مشكلة بالفعل بينهما، وطلقها طلقة واحدة.

حينها شعرت غادة أن مفعول العمل قد ضاع بعد هذه السنين؛ لذا قررت أن تعرف ما الذي غيَّر شُبْرَا، من التي سحرت له.

الحقيقة أني لم أسحر لشُبْرَا قَط، بل هو من سُحر بحبي.

قرَّرت غادة أن تراقب شُبْرَا، وعرفت عنوانه الجديد، ورأتني وأنا أدخل الفيلا معه.

غادة تسأل عني في كل مكان، وعرفت كل المعلومات عني.

اتصلت بأمنية؛ كي تذهب إلى "الشيخ سعدوك" في أقرب وقت يكون موجودًا به.

طبعًا لم تغلب في الحصول على صورة لي، فلقد وصلت لحسابي على مواقع التواصل الاجتماعي وأخذت صورة وطبعتها.

بعد أسبوع كان "الشيخ سعدوك" موجودًا وتقابلت معه، ولكن هذه المرة لم تكن خائفة من المكان بل كانت تعتبر أن هذا المكان هو سبيل نجاتها.

قال الشيخ سعدوك بمجرد دخولها وهو يرمي البخور:

- سوف أجعله مثل الكلب مطيعًا لك، ومثل الحمار تابعًا لك، ومثل الخاتم في إصبعك.

قاطعته غادة مضيفة لكلامه:

- لا أريده أن يحبني فقط، بل أريده أن يكرهها، أخاف أن يحبني ويحبها في الوقت نفسه، أريده لي أنا فقط.

- سوف أعمل لكِ أكثر من عمل، أعطيني صورة شُبْرَا وأروما.

ومن ثم بدأ بكتابة طلاسم على الصورتين اللتين ربطهما سويًا بدبوس ولكنه شقهما بعد أن ربطهما، كتب بدمٍ نجسٍ على الصور ومن ثم تمتم بلغة غير مفهومة، ومن ثم وضع الصورتين بداخل غراب مذبوح وقال لغادة:

-قومي بوضع هذا الغراب في مقبرة، وخذي هذا الماء.

ماء قد قرأ عليه طلسم بلغة غير مفهومة، ومن ثم وضع عليه مادة لا أعرف كنهها، وقال لها:

-رشي هذا الماء على عتبة البيت الذي يجمعهما، سوف يكرهها وينفر منها، ويبتعد عنها بلا رجعة.

هيا أعطيني صورتك وصورة زوجك شُبْرَا.

ومن ثم طلب منها أن تتبول في كوب وخلط القليل من بولها مع دم نجس وبدأ يكتب آيات من القرآن "آيات الجمع بين الزوجين".

استغفر الله، يا لك من حقير يا صعلوك تكتب كلام الله العزيز بالنجاسة "الويل وكل الويل لك".

ومن ثم أعطاها عسلًا بعدما قال عليه تعويذة ما وقال لها:

-خذي هذا العسل وادهني به جسدك قبل النوم وخذي صورة لزوجك وضعي وجه الصورة ملامسًا لك مباشرةً وقولي العزيمة سبع مرات "شُبْرَا بن محمد وليلى وضعتك على جسدي المحلى بالعسل وأغمضت عينك عن بنات حواء وفتحت عينك عليّ أنا غادة بنت عيسى وهدى".

ونامي ووجه الصورة ملاصقة لك وفوقها ترتدين ملابسك ولا تتكلمي مع أحد.

وعند الاستيقاظ مباشرة تقفين وتخرجين صورة زوجك وتضعينها تحت قدمك اليمنى وتقولين سبع مرات:

"شُبرا بن محمد وبن ليلى وضعتك تحت رجلي لكي أتحكم فيك مثلما أريد وتطيع ولو كنت بعيد ومكبل بالحديد"

ولا تنسي عندما يعود لك زوجك أضيفي هذا العسل إلى أكثر مشروب يطلبه منك، استمري في ذلك إلى أن تكملي الكمية كلها.

إن العسل لم يكن عسلًا صافيًا بل كان عليه مادة سوداء هلامية غير معروف كنهها، وبالفعل بعد أن خرجت غادة من عند "الساحر سعدوك" فمثل هذا ليس شيخًا أبدًا، قامت بدفن الغراب في مقبرة في ذات الليلة بعد أن اتفقت مع حارس إحدى المقابر بفعل ذلك.

وفي اليوم التالي قامت برش العمل وهي متخفية "كانت ترتدي نقابًا وعباءة" لكيلا يتعرف عليها أحد.

ومن ثم عادت إلى البيت وقامت بدهن جسدها وقرأت العزيمة ونامت وعندما استيقظت في اليوم التالي أكملت المطلوب منها.

وبالفعل في ذات اليوم التي رشت الماء على عتبة فيلتنا بدأت أول مشكلة بيني وبين شُبْرَا وأنه رآني بهيئة غير هيئتي.

ومن ثم بدأ يكرهني ويبتعد عني تدريجيًا، وبدأ يتودد لزوجته تدريجيًا إلى أن اختفيت من حياته تمامًا، وصارت زوجته الكل في الكل، ولكنه بدأ يتعلق بها بشكل مبالغ فيه، صار يترك عمله وصار ملازمها، لا يستطيع أن تمرّ ساعة دون أن يراها، بالفعل صار تابعًا لها ويحبها بجنون ولا يرى غيرها.

يا لها من مجنونة تظن أن الحب بالغصب، آه يا ربي، بعد ان تخلصت من عائشة المجنونة التي تريد أن تحصل على من تحب حتى ولو وصل الأمر إلى القتل، ها هي غادة تريد أن تحصل على من تحب حتى لو تطلب الأمر السحر.

الآن فهمت كل شيء، كنت سوف أنتقم من شُبْرَا وهو ليس له ذنب في ذلك، إنه مظلوم مثلي في هذا الموضوع.

سوف أجعل غادة تدفع الثمن غاليًا.

قامت غادة من مكانها قررت أن ترى شُبْرَا وتطمئن عليه، ولكنها فوجئت عندما رأت حالة شُبْرَا هكذا.

ملامح الإعياء قد رسمت على وجهه، وكانت حرارته مرتفعة جدًّا، لذا قررت أن تطلب له طبيبًا لكي تطمئن على حالته، كتب الطبيب بعض الأدوية لكي يتحسن، ولكن مرَّت الليلة دون جدوى.

لذا قررت أن أصلح ما أفسدته، وضعت يدي وبلمسه واحدة، استيقظ شُبْرَا وعاد كما كان من قبل.

استغربت غادة ولكنها حمدت الله على شفائه.

ومن ثم في الصباح عندما خرج شُبْرَا لكي يتابع أمرًا بسيطًا في المكتب بالقرب من البيت قال لغادة:

- حبيبتي نصف ساعة وسوف أعود إليكِ.

بعد أن خرج من البيت قررت أن ألعب معها لعبة، بما أنها تحب طريقة الجن والعفاريت، وما عفريت إلا بني آدم.

طقطقت إصبعي الإبهام والوسطى معًا كإشارة وفي هذه اللحظة أغلقت كل النوافذ فصار البيت معتمًا جدًّا.

هرعت غادة محاولة أن تنير طريقها بكشاف الهاتف، ولكني سحبت الهاتف وكسرته، ومن ثم قلت بصوت ذكوري:

-غادة حبيبتي، أنا "...." الذي كنتِ تطلبينه في العزيمة.

ولكني صرت أحبكِ، أحبكِ يا غادة ولا أريدك مع أحد غيري، وصرت أغير عليكِ من زوجك".

غادة تصرخ وتحاول أن تهرب ولكن المكان مظلم، غيرت طريقها إلى أن وصلت للباب ولكني سحبتها بقوة ورميتها أرضًا وأغلقت الباب بقوة وقلت صارخة بصوت رجولي غاضب:

- إياكِ أن تحاولي أن تهربي مني، أينما كنتِ سوف أصل لكِ، وإذا وافقتِ بي سوف أحقق لكِ ما تشائين.

تصرخ غادة وهي تبكي من الخوف والألم في الوقت نفسه، ومن ثم تقربت منها وأضأت المكان قليلًا كي تراني وتمثلت في صورة وحش ضخم مُشعر ذي قرنين ضخمين وعينين حمراوين، وقلت لها:

- بينما إذا رفضتني يا غادة...

بدأت تبكي بجنون وهي تخبئ وجهها كي لا تراني.

بدأت أربت على كتفها بيدي الضخمة المشعرة ذات المخالب، فشعرت برعشة جسمها خوفًا مني حاولت أن تهرب، ولكني مسكتها بقوة لدرجة أنها صرخت من قوة قبضتي، وأردفت لها:

-إذا رفضتني يا غادة سوف أقتل من يحاول أن يلمسك أو يتقرَّب منك، أفهمتِ...؟

فهمتِ أم لا، أنتِ لي أناااااااااااااااااااااا...

قلت ذلك وأنا أصرخ صرخة بصوت غليظ قد رجت البيت رجًا.

قالت وهي ترتجف رعبًا:

-حسنًا، سوف أفعل ما تريد.

ومن ثم عاد كل شيء لوضعه، جاء شُبْرَا إلى البيت وهرع إلى غادة وسألها:

- ماذا بك يا حبيبتي، لمَ تبكين؟

ولكن غادة أبعدت نفسها عنه، وقالت له:

- أنا بخير، لا تقلق، ولكني متعبة قليلًا.

ظلَّت غادة طوال اليوم في كل مرة يحاول شُبْرَا أن يقترب منها تبعده عنها، ومن ثم عندما خرج هو قليلًا، اتصلت هي بصديقتها أمنية:

- أمنية، أنا في مصيبة.

- لمَ تقولين ذلك...؟

- لقد ظهر لي جن على هيئة وحش، وهددني ألا أحب غيره وألا يلمسني أحد حتى زوجي لأنه يغير عليّ؛ لأني له هو فقط.

- من الممكن أن يكون قد تهيأ لكِ هذا يا غادة.

- لا، أنا رأيته بأمّ عيني، لقد أغلق جميع النوافذ بطقطقة من إصبعيه، ومن ثم عاد كل شيء كما كان بمجرد طقطقة من إصبعيه.

- شغلي قرآن يا غادة؛ كي لا يظهر لكِ مرة أخرى.

- أنا فعلت ذلك صدقيني، ولكني أريد حلًا من الشيخ سعدوك.

- انتظري أرى التاريخ.

أوه يا غادة، عليكِ أن تنتظري أسبوعين.

- ولمَ كل هذه المدة؟

- أنتِ تعلمين أن الشيخ سعدوك يكون موجودًا في الأيام القمرية فقط.

- يا إلهي، هل سأظل في هذا الرعب كل هذه المدة.

-لا تقلقي، شغلي قرآن فقط، ورشي ملح في أركان البيت وإن شاء الله لن يعود مجددًا.

***

في المساء جاء شُبْرَا لكي ينام بالقرب من غادة وغادة قرَّرت ألا تخاف من التهديد وقرَّرت أن تجرب وترى بعينيها ماذا سوف يحدث إن تقرَّب منها شُبْرَا.

بمجرد أن اقترب شُبْرَا منها لمست رأسه فقط، فجعلته يغطُّ في سابع نومة.

رُسمت ملامح الاستغراب على وجه غادة ولكني قطعت استغرابها مسرعةً، وظهرت لها في هيئة أكثر ضخامةً ووحشية، وقلت لها بصوت رجولي وأنا أزمجر:

- آاااه، أتتحدينَني يا غادة؟

ارتجفت وبدأت تبكي وهي تمسك يد شُبْرَا النائم الذي لا يشعر بشيء مما يحدث حوله، ومن ثم قالت:

- لم أقصد أن أتحداك صدقني.

- هذه المرَّة لن أقتله ولكني كنت أريكِ شيئًا بسيطًا مما أستطيع فعله.

- هذه آخر مرَّة صدقني.

ومن ثم جعلت جسد شُبرا يطير في الهواء أمامها وفتحت باب الشرفة وقلت لها:

- تزوجيني يا غادة.

صارت تصرخ صراخًا هستيريًّا، تصرخ لأنها خائفة على شُبْرَا، وتصرخ لأنها خائفة من ذلك المسخ.

- لاااااااااااااا، أرجوك اتركه أرجووووووووك.

- لن أتركه إلا إذا وافقتِ على أن تكوني زوجتي.

بدأت غادة في البكاء ولم توافق، لذا أخذت جسد شُبْرَا إلى الشرفة ومن ثم بدأت أرفعه في الهواء إلى أن جاءت غادة تحت قدمي "أي قدم المسخ" تتوسل:

- أرجوك اتركه على قيد الحياة وأنا سوف أوافق على كل شروطك.

ومن ثم أرجعت جسد شُبْرَا الهائم إلى سريره مرة أخرى، وقلت لغادة:

- إذًا أنتِ من الآن زوجتي، ومن ثم انقضضت عليها بجسد الوحش بسرعة لدرجة أنها صرخت بقوة ولكني جعلتها تفقد الوعي، وتركت بداخلها إحساسًا في ذاكرتها أن ذاك المسخ عاملها كزوج لها "مع إن ذلك لم يتمّ".

في الصباح استيقظت غادة وكانت عارية تمامًا ومدَّت ذراعها أمامها فرأت الكثير من الكدمات، حاولت أن تقوم ولكن جسدها مُتكسر تمامًا وعليه الكثير من الكدمات، ومن ثَمَّ صاحت بصرخة تعبر عن ألمها، ثم نظرت حولها بجوار سريرها وكانت ملابسها ممزقة وملقاة على الأرض.

وهنا بدأت تتذكر ما حدث "أي ما جعلته في ذاكرتها".

بدأت تصرخ وتنوح وهي تتذكر ما حدث، فاستيقظ شُبْرَا، وشعر بالقلق بسبب حالتها تلك، فسألها مستغربًا حزينًا متألمًا:

- غادة حبيبتي! ماذا؟ ماذا حدث لك؟

أجهشت هي بالبكاء، وغطت وجهها بكفيها، وقالت وهي تنتحب باكيةً:

- لا، لا شيء.

هَمَ شُبْرَا يريد أن يعانقها مهدئًا لها، ولكنها صاحت بقوة:

- لاااا، لا تقترب مني.

ومن ثم شرعت بالبكاء من جديد.

سألها هو مكررًا:

- ماذا حلّ بك؟ ما هذه الكدمات؟ ولم أنتِ متغيرة وتصرفاتك غريبة من الأمس، من ماذا تعانين؟ احكي لي أوجاعك.

ردت عليه باكيةً:

- لن تصدقني.

- أُكذب العالم كله وأصدقك يا حبيبتي.

- يوجد جنِّي يحبني، وتزوجني بالأمس.

- ما هذه الخرافات حبيبتي اهدئي، ا...

صرخت وصاحت به:

- آاااااااااه، ليست خرافات، انظر لجسدي، انظر ماذا حلَّ بي، أنا وافقت أن أتزوجه؛ كي أنقذك من الموت.

- اهدئي حبيبتي، سوف أحلّ لك الأمر حالًا.

مسحت غادة دموعها وتنفست الصعداء، وأردفت:

- حقًا، ولكن كيف؟

- صديقي كانت زوجة ابن عمه تعاني من شيء اسمه مس، أو جن عاشق لا أفهم كثيرًا في هذه الأمور، وتعبوا كثيرًا مع الكثير من الشيوخ وكانوا كلهم نصابين، الأغلب يأتي لكي يقرأ رقية ويأخذ مالًا ويرحل، والآخر يأتي بماء من الصنبور ويقول إنه ماء مقروء عليه ويجب الاستحمام به وشربه في أوقات معينة، ولكن كل هذا لم يجدِ نفعًا.

جربوا الكثير من الشيوخ النصابين إلى أن وصلوا لشيخ بحق واستطاع أن يعالجها.

حمدت الله في قرارة نفسها وقالت:

- الحمد لله لقد وجدت حلًا بدل الشيخ سعدوك، سوف أتخلص من هذا الكابوس.

اتصل شُبْرَا بصديقه حامد:

- صباح الخير يا صديقي من دون زحمة كلام أريدك أن ترسل لي رقم الشيخ الذي عالج زوجة قريبك.

- آه تقصد "الشيخ متولي"...؟

-لا أدري يا حامد أسرع.

- ثواني يا صديقي وسوف أرسله في رسالة نصية.

***

اتصل شُبْرَا بالشيخ متولي:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، معي "الشيخ متولي"...؟

ردّ عليه صوت طفل:

- لا، بل سوف أنادي لك جدي: "جدي، جدي، أحد يريد أن يتكلم معك".

- السلام عليكم معي الشيخ متولي!

- وعليكم السلام، أي نعم، أنا الشيخ متولي، تفضل يا بني.

- سامحني يا شيخ ولكني أحتاج إليك بشدة، زوجتي تقول إن جنًا يحبها وتزوجها، واليوم استيقظت ملابسها ممزقة وجسمها كله كدمات.

أرجوك أحتاج إليك اليوم بشدة، وسوف أدفع لك المبلغ الذي تطلبه.

- استغفر الله يا بني، أنا أفعل ذلك لله يا بني.

اتفق شُبْرَا مع الشيخ على الموعد وقال له العنوان، وكان الموعد بعد صلاة الظهر.

كان الشيخ متولي سمح الوجه، وجهه أبيض ووجنتيه حمراوين وعلى وجهه ابتسامة تريح القلب الحزين وتضمد القلب المجروح وتجبر القلب المكسور.

وذا لحية خفيفة محددة تزيد وجهه جمالًا فوق جماله "فسبحانه من زين وجه الرجال باللحى".

وكان يرتدي جلبابًا أبيض وبيده مسبحة من الفضة وخاتم فضة عليه ختم الرسول محمد _صلَّ الله عليه وسلم_.

ورائحته رائحة مسك، ومن ثم طلب أن يكون الزوجان أمامه ويعالج الاثنين معًا في أول الأمر.

ولكن شُبْرَا سأله مستغربًا:

- ولكن يا شيخ إن زوجتي هي من تعاني ب...

- يا بني، لا أريد أي تعقيب، هذا عملي وافعلا ما أطلبه وكفى.

ألبس شُبْرَا غادة جلباب صلاة، لكي يليق بالشيخ الجليل.

طلب شُبْرَا أن يبدأ الشيخ في القراءة عليهما في الغرفة، لأن غادة لا تستطيع الحراك.

بعدما أكمل الشيخ قراءة الرقية الشرعية طلب من كليهما شرب ماء مقروء عليه.

طلب الشيخ أن تشرب غادة أولًا ولكنها لم تتأثر، على عكس شُبْرَا الذي بدأ يشعر بالدوار بمجرد القراءة، وبمجرد أن شرب الماء كاد أن يتقيأ ولكنه تمالك نفسه أمام الشيخ.

حينها فهم الشيخ متولي كل شيء.

سأل الشيخ متولي شُبْرَا:

- أكلت شيئًا يا بني؟

- لا يا شيخ لم أكل شيئًا حتى الآن.

- حسنًا، هذا ما أريده.

ومن ثم طلب الشيخ متولي من شُبْرَا أن يجلب له اثنين لتر من اللبن، ووضع كل لتر في قارورة منفصلة وأضاف لها عسل عليه مادة خضراء لا أعرف كنهها وطلب من شبرا أن يشرب لتر اللبن المضاف إليه ذاك العسل المقروء عليه دفعة واحدة.

وبالفعل شرب شُبْرَا لتر اللبن مرة واحدة وكان يعاني وهو يشربه، ولكنه تحامل على نفسه كي يكمله، ولكن بمجرد أن أكمله وضع يده على فمه كي يمنع نفسه من القيء، لكن في هذه المرة لم يتمالك نفسه وفتح الدرج الذي بجوار سريره وتقيأ به.

لم يشمئز الشيخ متولي، بل بالعكس هش وبش، ومن ثم بدأ يربت على كتف شُبْرَا، الذي بدا متعبًا.

ولكن الشيخ استمر في القراءة على شُبْرَا ومن ثم قام بدهن أماكن من جسد شُبْرَا بزيت الزيتون والمسك، وأعطي شُبرا القارورتين وطلب منه أن يدهن منهما حتى ينتهي منهما تمامًا.

ومن ثم سألت غادة مستغربة:

- يا شيخ أنا من يعاني، لا زوجي.

- وأنا أدري ماذا أفعل، زوجك هو من يعاني من السحر.

توترت ومن ثم قالت:

- سحر، كيف؟

نظر لها الشيخ متولي وهو يبتسم ابتسامة تهكم على طرف فمه الأيسر، ومن ثم قال:

- أنتِ تعلمين، أن أولاد الحرام، أقصد بنات الحرام كثيرات، من يستعن بالسحرة والجن لكي يصلن لمطالبهن.

تمتم شُبْرَا مستغربًا:

- سحر، من المسؤول أو المسؤولة يا شيخ؟

نظر الشيخ متولي نظرة مطولة لغادة، وهي كانت نظرتها نظرة توسل "أي لا تفضحني" ومن ثم نظر لشُبْرَا:

- لا يهم يا بني، المهم أن تُشفى من الأذى.

أنت عندما تقيأت تخلصت من السحر المشروب، وأنا رقيتك فتخلصت من الجن المترصد لك، كان هناك سحر مرشوش خطيت عليه والحمد لله سوف تكون بخير يا بني، ولكن استمر على دهن زيت الزيتون والمسك، وخذ يا بني هذه.

- ما هذه القارورة الصغيرة يا شيخ؟

- لا تقلق يا بني، إنها ماء مقروء عليه بعض الآيات والأدعية، ضعها على ٢٠ لتر من الماء واستحم بها، وضِف لها هذا الظرف.

- أستحم كم مرة يا شيخ؟ وما الموجود بهذا الظرف؟

- إلى أن تكتمل الماء، ولكن المهم في كل مرة تستحم بها سخن جزء من الماء يجب أن يكون الماء ساخن أو أقصى درجة يمكن أن تتحملها من الحرارة.

ومن ثم فتح الشيخ متولي الظرف الصغير وأردف وهو يشير لما بداخله:

- إنه زعفران يا بني أضِفه للعشرين لتر من الماء بالإضافة إلى قارورة الماء المقروء عليه.

ومن ثم طلب الشيخ من شُبْرَا ان يجلب له فحمًا مشتعلًا ومبخرة إن وجد، تحامل شُبْرَا على نفسه وقام بجلب المبخرة والفحم، ومن ثم بدأ الشيخ بأن يضع القليل من البخور، بخور غريب ليس له رائحة عطرة ومن ثم بدأ في قراءة أدعية والرقية الشرعية في أرجاء البيت.

طبعًا بدأ شُبْرَا يدور حوله من غرفة لغرفة، بينما غادة ظلت في غرفتها تبكي خائفةً من أن يقول الشيخ شيئًا لشُبْرَا وهما على انفراد.

بعد أن أكمل الشيخ البيت كله عاد إلى غرفة غادة لكي يختم بها، ولكن هنا كانت المفاجأة، من خلال الدخان الذي يتصاعد من

البخور رأيت وجه الشيخ متولي يبتسم لي، استغربت وقلت في قرارة نفسي:

-كيف يراني، أنا مختفية تمامًا عن الأنظار.

ومن ثم قرَّرت أن أُغيِّر موضعي، ولكن المفاجأة أنه غيَّر اتجاه نظرته إلى اتجاهي الجديد، وابتسم لي ابتسامة مُطَمئنة.

ولكن قاطعته غادة متسائلة:

- ولكن يا شيخ ظهر لي كيان ضخم وقال لي...

حكت ما جرى لها مرّة أخرى، ولكن الشيخ قال لها:

- صحيح أن هناك كيان في البيت ولكنه غير مؤذٍ أبدًا ولن يرحل إلا بعد أن يأخذ حقه أو بالأصح حقها.

صرخت غادة باكية مرتجفة غاضبة:

- وما دورك أنت؟ لمَ أنت هنا؟

قاطعها شُبْرَا بحزم.

"أووه شبرا قاطعها بحزم، بركاتك يا شيخ متولي".

ومن ثم نظر شُبْرَا للشيخ متولي وسأله مستفهمًا:

- ماذا تقصد بكيان يريد أن يأخذ حقه...؟

- لا يا بني لا تشغل بالك، استمر على ما طلبته منك، وهيا أريدك أن تشرب اللتر الآخر من اللبن.

ولكن في هذه المرة أضاف مادة أخرى إلى العسل المضاف إلى اللبن.

ومن ثم تقيأ شُبْرَا مرَّة أخرى.

ومن ثم أذن أذان العصر، ثم نزل شُبْرَا والشيخ متولي للصلاة في المسجد.

قال شُبْرَا للشيخ وهو يتنهد:

- آه يا شيخ متولي، أتصدق إن قلت لك أني لم أكن أصلي إلا من حين لحين، ولكن الفترة السابقة انقطعت تمامًا، آه على كمية الراحة التي أشعر بها في بيت الله.

- الحمد لله يا بني، ربي يرزقك راحة البال دائمًا، ولكن من اليوم حافظ على صلاتك وأذكار الصباح والمساء على الأقل كي يحميك الله من أذى الإنس والجن.

- ولكن يا شيخ قل لي من فعل بي هذا؟

- لا يهم يا بني، ولكن افعل ما طلبته منك، ولا تنسَ أن تأكل ثلاث تمرات في الصباح، تسنن بسنن النبي محمد يا بني، وما دمت على طريق الله لن يصيبك مكروه مرَّة أخرى.

- ونعم بالله، ولكن يا شيخ أنت فعلت لي معروفًا وأنرت بصيرتي على أشياء لم أكن أعلمها، أريد أن أرد لك هذا الجميل.

- لا يا بني، أنا أفعل الخير من أجل الله، لا من أجل أن يُرد لي.

أنا تجارتي مع الله، الله _عز وجل_ يقول في كتابه العزيز "من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له وله أجر كريم".

- ونعم بالله يا شيخ متولي، ولكن اسمح لي ما دامت تجارتك مع الله سوف أقوم ببناء مسجدًا وسوف أهدي ثواب بناء هذا المسجد لك، لأنك من هديتني.

- استغفر الله يا بني الله يقول في كتابه الفرقان المبين "إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين".

الله وحده الهادي يا بني، أنا فقط سبب لك.

- جزاك الله خيرًا، والحمد لله على أنه جعلك سببًا لتغيير حالي للأفضل.

- أدعو الله أن يثبتك يا بني.

***

بعدما خرج الشيخ متولي وشُبْرَا من المسجد قال الشيخ:

- تبقَّى شيء يا بني لم نفعله.

- وما هذا الشيء يا شيخ متولي؟

- يجب أن نذهب للمقابر، هناك عمل مدفون لك ويجب أن نخرجه، كي نضمن تخلصك من كل الأذى.

ذُهل شُبْرَا ومسح بيده على وجهه وقال متعجبًا:

- ما كل هذا يا شيخ ما هذا؟ سحر مرشوش وسحر مشروب وسحر مدفون! لمَ كل هذا؟ ماذا فعلت أنا لكي أستحق كل هذا الأذى...؟!

- من فعل ذلك يظن أنه لا يؤذيك، إن البشر طماعين يريدون أن يحصلوا على كل ما يريدون بالذوق أو بالقوة حتى وإن اضطروا إلى القيام بأفعال محرمة، والشيطان يجذبهم إليه تدريجيًا.

إن من يقوم بعمل عمل لأحد لا يكتفي بعملٍ واحد، بل أنه كل فترة يقوم بعمل معين للحصول على شيء آخر، الإنسان يظن أنه يريد شيئًا واحدًا ولكن بمجرد أن يحصل على ما يريد يفكر في شيء آخر، وهكذا يظل الإنسان يطمح لما ليس في يديه.

ومن ثم وصلا للمقابر، وأغلق الشيخ عينيه لكي يتأكد في أي مقبرة قد دُفن السحر، ومن ثم دفعوا مبلغًا لحارس المقبرة، واستخرجوا العمل، ولكن الشيخ طلب من شُبْرَا ألا يرى ماذا يفعل؛ كي لا يرى الصورة التي تم استخراجها من جوف الطائر المتحلل، ومن ثم قام بمسح الطلاسم المكتوبة على الصورة وفصل الصورة المنشقة وقام بحرقها هي وهيكل الطائر وبدأ يقرأ أدعية وبعض الآيات.

وبعد أن انتهى سأله شُبْرَا:

- ماذا وجدت يا شيخ؟

- لا يهم أن تعرف يا بني، المهم أننا أكملنا كل شيء ولله الحمد، آه... ويمكنك أن تجلب لنفسك أكل وتأكل إذا أحببت.

عانق شُبْرَا الشيخ متولي وقال له:

- صدقني يا شيخ أنا لم أكن أصدق قَط بأمور السحر أو الجن أو ما إلى ذلك، ولكن بعد ما حدث لن أنسى درسك لي.

- السحر والجن كلاهما مذكور في القرآن يا بني والله يقول: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

السحر موجود بالفعل يا بني ويضر، ولكن لا شيء يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا؛ لذا بإمكاننا أن نتخلص من هذا السحر بالتوكل على الله والرقية الشرعية والتسنُّن بسنة النبي، ولا يمكننا أن ننكر شيئًا ذكر في القرآن.

***

عاد شُبْرَا إلى بيته واشترى طعامًا من أجل غادة وأطعمها؛ لأنها لا تستطيع الحراك من مكانها، ومن ثم ساعدها على قضاء حاجتها، وقرر أن ينام في غرفة غير غرفتها، لأنه يراوده شعور تجاهها أنه طلقها طلقة واحدة وكان على وشك الانفصال عنها، ولكن الأصول تُحتِّم عليه ألا يتركها في حالتها تلك.

وبعد ذلك قرر أن يدخل لكي يستحم بذلك الماء، وبعدها خرج كي يصلي العشاء، وبعد أن أنهى صلاته جلس على المصلية وبدأ يبكي لله، مُردِّدًا:

- أنا قتلتها يا ربي، إن ضميري يؤنِّبني، ماذا أفعل... هل أبلغ عن نفسي؟ إن حياتي ليست حياة من دونها.

همست له:

- لا تفعل ذلك يا شُبْرَا، لا ذنب لك في ذلك.

تلفت حوله مستغربًا ومسح دموعه وقال:

- أروما أين أنتِ؟ أريد أن ألمحك يا حبيبتي.

ظهرت له ولكني كنت هائمة في الهواء، فهرع لكي يعانقني، فاخترقني.

ومن ثم بكى وقال لي:

- أريد أن ألمسك يا أروما، اشتقت لكِ، اشتقت لرائحتك، أريد أن أشعر بكِ.

رسمت على وجهي ملامح الحزن بسبب بكائه، وأردفت:

- لا يمكن أن أعود كما كنت، ولكني موجودة معك يا شُبْرَا.

ومن ثم اختفيت من أمامه ونشرت في الهواء عطري لكي يشعر بي حوله، ولكنه صار يبكي بجنون ويقول:

- آاااه، خسرتك يا أروما، خسرت روحي، فكيف سأعيش بلا روح...؟!

***

ومن ثم جعلت يخطر في بال أخي عبد الرحمن أن يتصل بشبرا:

- آلو، أستاذ شبرا، آسف على إزعاجك، ولكن هل توصلت لأيّ جديد في قضية أروما، أو تذكرت شيئًا ما؟

- لا لم أصل لشيء ولكن أريد أن أبحث معكم، في الغد سوف نتقابل أنا وأنت ونكمل البحث سويًا.

- أنت شخص أصيل يا شُبْرَا.

- الذوق والأصول أنتم عنوانهما، وسامحوني على ما صدر مني يومها، ولكن ردّ فعلي كان صعبًا عندما وُجِّهَ الاتهام لي بصورة مباشرة.

- لا يهمك، إن شاء الله سوف نحاول أن نصل إلى أروما.

سكت شُبْرَا برهة، بسبب حزنه على أخي الذي ما زال الأمل متجددًا بداخله بأنه سوف يصل إلى أخته "أروما".

كان شُبْرَا يريد أن يبوح بما يعرفه، ولكن قُطع الاتصال.

في تلك الليلة زرت أهلي في منامهم وقلت لهم:

-لا تبحثوا عني كثيرًا، سوف تجدون جثتي في مقابر العائلة.

في الصباح أبي وأمي وأخي قصوا على بعضهم نفس الحلم.

اتصلوا بالشرطة لكي يروا إن كان ما رأوه أثناء نومهم رؤيا حقيقية لها أصل في الواقع، أم مجرد هلوسة جماعية.

اتصل عبد الرحمن بكريم وشُبْرَا وعمه رؤوف والشرطة، وذهبوا إلى المقابر، وبالفعل كانت جثتي هناك.

بدأت أمي في الصراخ وهرعت إلى جسدي تريد أن تحتضنني ولكن الضابط منعها، وقال لها:

-اعذريني يا سيدتي لا يمكنكِ لمسها؛ لأننا نريد أن نرفع البصمات ومن ثم ننقلها إلى المشفى لكي نعرف ما سبب الوفاة.

ناحت أمي باكية صارخة عليّ، وأهلي كلهم يبكون عليّ بحرقة، فقد كان لديهم أمل بسيط أنني على قيد الحياة، الحقيقة صادمة ومؤلمة في أحيان كثيرة.

كريم الدموع تترقرق في عينيه ولكنه يحاول أن يهدئ أهلي، بينما شُبْرَا يبكي لأنه يشعر بالذنب؛ لأنه من فعل ذلك.

لم تجد الشرطة أي بصمات تدل على شيء ولا أي دليل يثبت كيف أتت الجثة إلى داخل القبر.

والمشفى لم تصل إلى سبب الوفاة، لأني باختصار أخفيت وأصلحت كل شيء؛ كي أبعد الشبهات عن شُبْرَا.

ومن ثم قالت أمي وهي تنتحب بالبكاء:

- هل يمكن تغسيل ابنتي وتكفينها والصلاة عليها؟

طبعاً أمي تسأل هذا السؤال لأنها لا تثق في معلوماتها الدينية كثيرًا، لا تنسوا أنها كانت مسيحية في يومٍ ما.

بصراحة تشكَّك أبي، ولكن قرر أن يسأل أحد أصدقائه هو شيخ ويستطيع أن يساعده، اتصل أبي بصديقه الشيخ "أحمد مدبولي" وكان صوت أبي قد اختفى تقريبًا من شدة بكائه عليّ ولكنه تمالك نفسه وقال:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كيف الحال يا شيخ أحمد؟

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أنا بخير يا صديقي ولكن ما به صوتك؟

- ابنتي توفاها الله وكنا نظن أنها اختطفت.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

- أستسمحك أن تساعدني يا شيخ أحمد، إن المستشفى قالت إن ابنتي ماتت منذ يومين أو ثلاث ليال للدقة، هل يمكن أن نغسلها ونكفنها ونصلي عليها.

- ربي يصبرك يا صديقي، سوف أشرح لك بعض الامور...

يبدأ جسم الميت بالتحلل مباشرة بعد الوفاة، حيث يبدأ جلد الميت بالتفسخ البسيط أي يخرج منه رائحة خفيفة، نحن البشر لا نشعر بها ولكن تلك الرائحة تجذب إناث الذباب فتضع بيضها الصغير على جسم الميت، طبعًا كل هذا لا نراه.

وطبعًا ذلك البيض يتحول إلى يرقات ثم إلى ديدان، وتلك الديدان تُحلِّل الجثة.

- يا شيخ أحمد أرجوك قل لي يصح ذلك أم لا؟

- دعني أكمل لك يا صديقي.

بعد مرور نصف ساعة من الوفاة تظهر بقع حمراء أو أرجوانية على مناطق مختلفة في الجسم، ويبدأ يحدث شحوب للبشرة وارتخاء للعضلات، وتبدأ درجة حرارة الجسم في الانخفاض بشكلٍ حاد.

ولكن بعد مرور ست وثلاثين ساعة تظهر بقع خضراء في منطقة البطن وحول السرة ويحدث سيلان في مقلة العين وتعتيم القرنية.

- ولكن ابنتي يا أحمد لم تجد المشفى أي بقع خضراء على جسدها على الرغم من أنهم يقولون إنها متوفية منذ ثلاث ليال...!

- سبحان الله، تخيّل يا صديقي أن بعد مرور خمسة أيام من الوفاة يبدأ الزبد بالخروج من الفم والأنف ويصبح الجسم أخضر تمامًا وخاصة منطقة الصدر والبطن، كما تتجمع الغازات في منطقة البطن وهذا الذي يسبب انتفاخه، وهذا الذي يسبب انبعاث رائحة كريهة من الجسم بسبب تلك الغازات المتصاعدة، ومن ثم ينتفخ الوجه فتبرز العينان واللسان مما يؤدي إلى اختفاء ملامح الوجه.

- ولكن ابنتي لا ينبعث منها رائحة كريهة وسبب الموت مجهول.

- إذًا هي ماتت بطريقة عادية.

- لا ندري ولكن الغريب أننا وجدناها في قبر، هل يمكن بعد ما كانت في القبر أن نقوم بتغسيلها والصلاة عليها؟

-حسنًا، حسنًا، الآن فهمت، ما دامت هي كما تقول لم يظهر عليها مراحل التعفن أو التحلل إذًا سوف أُجيبك بالاستدلال...

قال ابن قدامة _رحمه الله في المغني: وَإِنْ دُفِنَ مِنْ غَيْرِ غُسْلٍ، أَوْ إلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ، نُبِشَ، وَغُسِّلَ، وَوُجِّهَ، إلا أَنْ يُخَافَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفَسَّخَ, فَيُتْرَكَ، وَهَذَا قَوْلُ مَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ, وَأَبِي ثَوْرٍ.

- شكرًا لك يا أخي أحمد.

- الشكر لله يا أخي إبراهيم، وربي يعطيك الصبر، هم السابقون ونحن اللاحقون، البقاء والدوام لله وحده.

- ونِعم بالله.

***

تم تغسيل جثتي وتكفينها والصلاة عليّ، وذلك لأنهم اعتبروا أني مت موتًا طبيعيًا؛ لذا لم يحرمني الله من الصلاة عليّ.

سار في جنازتي الكثير من الناس، وذلك جزاء من يفعل خيرًا، حتى في الجنازة جاءت عائشة مع عمي الذي قرر أن يأخذها

من المصحة، صارت شخصًا آخر تمامًا، هادئة تمامًا وعينيها تملأهما الدموع، لا أصدق أن تلك هي عائشة.

***

في المساء عاد شُبْرَا إلى بيته وقد نسي زوجته تمامًا إنها لا تستطيع الحراك؛ لذا عندما دخل الغرفة شمَّ رائحة بشعة جدًّا، يبدو أنها تغوطت مكانها.

عندما رآها صارت تبكي وتغطي وجهها بيدها، ولكن شُبْرَا قرر أن يدخل لكي يستحم لآخر مرة بذلك الماء، ومن ثم بعد أن أكمل كل شيء اتصل بأمنية:

ـ أهلًا يا أمنية، أريد منك أن تأتي وتكوني مع غادة إنها متعبة وتحتاج إلى رعاية، سوف أترك لكما مبلغًا لاحتياجاتكما.

وبالفعل ترك البيت تمامًا، وعاد إلى فيلتنا، صار يبكي بمجرد النظر إلى أركان الفيلا الخاصة بنا، كلما نظر في مكان يتذكر ذكرى ما لنا، خاصة على الكرسي الأرجوحة الخاص بي، يتذكر ضحكتي له فيضحك ضحكة مكسورة وهو يبكي.

يجلس بجوار الكرسي ويتخيل أنه يميل برأسه على كتفي، كم كان يحب أن يكون ابني المدلَّل، يحب أن أُربت عليه بحنو وأمسح بيدي على شعره وألعب في خصلاته.

يتذكر في أول مرة بعد أن استيقظنا من النوم كنت جالسة بجواره فقام بوضع رأسه على كتفي وأمسك بيدي ووضعها

على رأسه، فأنا بدأت أمسح بيدي على شعره وقال لي وعيناه تترقرقان من الدمع:

- أمي رحمها الله كانت تفعل لي ذلك، كانت تحنو عليّ كثيرًا، ولم أشعر بالراحة إلا معها.

ومن ثم سكت برهة وبعدها أكمل وهو سارح في عيني:

- إلى أن جئتِ أنتِ، لم أفقد حنانها لأنك أكملتِ ما بدأته هي.

من ثم بدأ شُبْرَا في البكاء لذا قررت أن أشعره بوجودي حوله نشرت عبقي في المكان ومن ثم جعلته يشعر أني حوله وهمست له إلى أن غطّ في نومٍ عميق بجوار الكرسي، ولكني قمت بحمله ووضعته على السرير كي ينام.

***

بعد ذلك ذهبت إلى غادة كانت هي وصديقتها نائمتين، ومن ثم قررت أن أدخل في منام غادة.

ومن ثم صرت أهمس لها:

- اخرجي من هذا البيت، إن هذا البيت بيتنا عليكِ بالرحيل منه.

قالت في عناد وهي تتلفت حولها باحثةً عن مصدر الصوت:

- لا لن أرحل إن هذا المكان مكاني أنا ولن أرحل منه.

صرخت صرخة بصوت جماعي:

- قلنا لكِ ارحلي من هناا، ارحلي وإلا الدم.

ومن ثم كتبت على الحائط بالدم، ارحلي وإلا سوف تموتين.

وصار المكان مظلمًا جدًّا وصرخت إلى أن ارتجف المكان:

- ارحلييييييييي.

قامتا كل من غادة وأمنية على صوت تلك الصرخة والرجفة التي جعلت كلتاهما تسقط من على السرير أرضًا.

سألت أمنية غادة خائفة:

- أنتِ بخير يا غادة؟

ردت عليها غادة خائفةً مرتجفة:

- أسمعتِ تلك الصرخة.

- أنا شعرت بتلك الرجفة القوية، يبدو أن زلزالًا قد حدث.

- لا، ليس زلزالًا بل إن هناك من يهددني إن لم أترك هذا البيت سوف يتم قتلي، وتلك الرجفة قد حدثت من إثر الصرخة.

حاولت أمنية أن ترفع غادة على السرير مرَّة أخرى، ومن ثم استطردت:

- اذًا فيما تفكرين الآن؟

- أريد أن أرحل من هنا إلى أن يأتي الوقت المناسب لزيارة الشيخ سعدوك.

وبالفعل عاشت غادة مع أمنية هذه الفترة، واستقر شُبْرَا في فيلتنا وصار يتردد على الأماكن التي كنا نزورها سويًا ويكتفي

بهمسي وشعوره بأني حوله، صار مثل المجنون يحدثني وهو لا يراني أغلب الأوقات، وأحيانًا يدخل عليه أحد أصدقائه فيظنه يكلم نفسه، ولكن شُبْرَا لم يكن يبرر أو يدافع عن نفسه وكيف يدافع عن نفسه وماذا سيقول؟

أيقول أن حبيبتي أروما الميتة أمامي وتكلمني، إذا قال إن طيف حبيبتي أمامي سوف يقولون إنه لمجنون، وإذا لم يدافع عن نفسه سيقولون إنه صار مجنونًا أيضًا، لذا هو في كل الحالات مجنون لذا لا يوجد داعي للتبرير.

مرَّت الفترة وبالفعل هرعت غادة وأمنية للساحر سعدوك، وبالفعل حينها كانت غادة كانت قد تحسنت تمامًا، ولكن بمجرد دخولها عند الشيخ سعدوك طلب منها أن تكون بمفردها وألا تدخل معها أمنية في هذه المرَّة.

قال لها من دون أن تبدأ في الكلام حتى:

- سوف أصلح لك كل شيء، أنتِ لا تنجبين، سوف أجعلك تحملين، وبذلك تربطينه بكِ، هو متلهف جدًّا لأن يكون له طفل.

- ولكن كيف سوف أحمل إن زوجي قد ترك البيت تمامًا.

- أعلم ذلك جيدًا، ولكن أنا سوف أفعل ذلك.

- تفعل ماذا؟

- سوف أجعلك تحملين وبعد أسبوعين قولي لزوجك أنكِ حامل.

- ولكن مدة الحمل.

- لا تفكري في شيء سوف أهتم بهذه الأمور.

- ولكن هذا حرام...

قهقه الساحر سعدوك:

- هههههه، حرام، وكل ما حدث سابقًا كان حلالًا، هههههه.

- ولكن لن أقبل.

قهقه سعدوك ومن ثم قلب ملامحه لملامح جدّ وتهديد:

- هههههه، أتعرفين مع من تتعاملين، أنا سعدوك لا يوجد أحد يتجرأ أن يقول لي لا سواء جن أم إنس، وإذا رفضت أنا مسجل لكِ لقاءاتك هنا، سوف أرسلها لزوجك وسوف تكون نهاية زواجك محتومة، بيدي أن أجعل هذا الزواج ينتهي وبيدي أجعله يعود كما كان وأفضل وزواجك يستمر ما دمت على قيد الحياة.

طبعًا سعدوك أعجبته غادة، إنها فتاة جسمها مملوء بعض الشيء وملامحها لا يوجد ما يميزها ولكن يبدو أن سعدوك يهمه الهيكل الخارجي، ولكن هذا ليس موضوعنا.

فعل فعلته الشنيعة، ومن ثم بالفعل بعد أسبوعين ذهبت غادة لكي تتأكد من ذلك، وكانت المفاجأة.

غادة بالفعل حامل، وحامل في شهر أو أكثر قليلًا.

طبعًا لم يكن الشيخ سعدوك هو السبب في حملها، هو كان يعلم أنها في بداية حملها ولكنه قرر أن يستغلها بهذه الطريقة لكي يصل إلى مبتغاه القذر.

لم تصدق غادة نفسها فقالت غادة لأمنية:

-إن الشيخ سعدوك لمبروك ومقتدر حقًا، بالفعل اهتم بموضوع مدة الحمل.

***

ومن ثم اتصلت غادة بشُبْرَا ولكنه لم يردّ عليها، ثم اتصلت أمنية به فردَّ عليها:

- شُبْرَا عندي لك خبر بمليون جنية.

- وما ذاك الخبر؟

- لا، إن خبرًا كهذا لا يمكن قوله في الهاتف، تعال الليلة عندي فأنت معزوم على العشاء وسأقول لك حينها الخبر.

عندما وصل شُبْرَا لشقة أمنية فوجئ، وجد بالونات وزينة وصورته وصورة غادة بينهما طفل، هللت أمنية عندما رأته، وقالت متلهفة:

- سوف تكون أبًا يا شُبْرَا.

صُدم شُبْرَا وامتلأت عيناه بالدموع، لا يصدق الخبر الذي سمعه ومن ثم نظر إلى غادة وقال في قرارة نفسه:

- إن الزمن يفرضك عليّ، القدر يفرضك عليّ بأن تكوني نصيبي.

سألته غادة بلؤم:

- الخبر لم يسعدك!

- لا بالعكس، ولكني لا أصدق أني سوف أكون أبًا بعد كل هذه المدة.

ومن ثم قالت أمنية وهي تغمزه:

- إذًا سوف تعود غادة إلى بيتها الليلة.

شرد شُبرا قليلًا وصار يفكر في قرارة نفسه:

- ماذا أنا بفاعل الآن...؟ إن الله في كل مرة يجعلها من نصيبي، هل عليّ أن أقبل باختيار الله لي، أم أضيع ابني لأني أحب أروما.

أروما! ولكن أين هي؟ لا أدري إن كان ما أراه هذا حقيقي أم مجرد هلوسة لأني متعلق بها.

قطعت أمنية شروده وهي تكزه بكوعها في ذراعه وأردفت:

- ها، أين ذهبت؟ ماذا قلت؟ الأمر لا يحتاج إلى التفكير.

- نعم، سوف تعود معي الليلة.

ومن ثم جلس شُبْرَا وشرد قليلًا:

- أريد أن أقبل الواقع ولا أمشي وراء الوهم الذي أعيش فيه، إن أروما ماتت وأنا أتخيلها؛ لذا عليّ أن أحمد الله على نعمته لي بأنه رزقني بطفل بعد هذه السنين ولكني أتمنى من الله أن أنجب بنتًا كي أسميها أروما.

ومن ثم أخذ شُبْرَا غادة وقرَّر أن يعود لحياته الروتينية معها من جديد، لا من أجلها ولكن من أجل الروح التي تكبر في أحشائها.

حينها كنت أموت غيظًا، كيف أموت أنا ميتةً أصلًا، أقصد أني صرت أستشيط غضبًا، وقلت في قرارة نفسي:

- الآن كسبت غادة كل شيء، وأنا خسرت كل شيء ولكن لم ينتهِ الأمر يا غادة، لم ينتهِ الأمر يا شُبْرَا.

***

في اليوم التالي ظهرًا، طرق باب بيت شُبْرَا، همَّ لكي يفتح ويرى من الطارق، كان حامد صديقه وكان على وجهه ملامح الحزن والصدمة، استغرب شُبْرَا وقال له:

- ماذا بك يا صديقي؟

- إن هناك فيديو قد أُرسل لسكان المنطقة كلها.

- وما هذا الفيديو الذي يصدمك هكذا، أصارت فلسطين اسمها إسرائيل كي تحزن وتصدم هكذا.

- هناك من نهك عرضك كما انتهك الاسرائيليون فلسطين.

رسمت على وجه شُبْرَا ملامح الوجوم وأردف مستغربًا:

- ماذا تقول يا حامد؟

لم يستطع حامد الكلام ولكنه اكتفى بأن فتح هاتفه وأراه الفيديو، كان فيديو فاضح للساحر سعدوك مع زوجته غادة.

صُدم شُبْرَا ولم يتكلم ولكنه أغلق الباب في وجه حامد، وصار حامد يطرق الباب بقوة من خوفه أن يفعل شُبْرَا شيئًا في غادة.

ظل شُبْرَا واقفًا ومعطيًا ظهره للباب يفكر لوهلة ماذا عليه أن يفعل...!

ولكنه فوجئ بوجود غادة أمام باب غرفتها، لقد أيقظها الطرق الهستيري على الباب، قالت له وهي تفرك عينيها كي تفيق من نعاسها:

- حبيبي، لمَ كل هذا الطرق على الباب؟ افتح واعرف ماذا يريد؟

هرع إليها شُبْرَا مسرعًا وعيناه تخرجان شرارة الكره ومن ثم سحبها من شعرها وأسقطها أرضًا وبدأ في ضربها وهو يقول لها وهو يريها الفيديو:

- ما هذا؟ قولي لي يا بنت ال...

ومن ثم صار يضربها بهستيريا ولا يدع لها فرصة أن تتكلم؛ لأنه كان يخنقها بيده الاثنتين ويقوم بضرب رأسها في الأرض بقوة إلى أن فتح رأسها وامتلأ المكان بالدم.

صار يبكي بجنون، هو لا يبكي على قتلها، بل يبكي على شرفه وسمعته التي تدنست، "صارت سمعته في الوحل" كما يقولون.

يبكي بحرقة ولكني قاطعت بكائه وقلت له:

الآن فهمت رؤيتك عندما قلت لي أنك سقطت في الوحل أمام أهل حارتك، هذا كان معناه تلك الفضيحة التي سوف يعرفها الجميع.

مسح شُبْرَا دموعه وقال:

- وما معني أن أمي تعطيني قميصًا؟

- لا أفهم في تفسير الرؤى يا شُبْرَا ولكن الذي أعلمه أن هناك أية في القرآن {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}.

إذًا الملابس أي القميص يدل على زواجك.

ضحك شُبْرَا ضحكة تهكّم وهو يبكي وأردف:

- زواج ماذا...؟ أنا كتب عليَّ الموت بموتكِ يا أروما، وبعد ما فعلته الآن سيحكم عليّ بالإعدام، انتهت حياتي يا أروما.

ومن ثم أجهش في البكاء، ولكني قاطعته وأردفت:

- لا، بل يمكنك أن تتزوج، ويمكنك أن تكون معي، ومع أمك كذلك.

- كيف؟

- اقتل نفسك؟

- ماذا؟

اقتربت له هامسةً:

- اقتل نفسك.

وضع يده على رقبته ولكن يده كانت ترتجف بشدة.

قلت له:

- اقتل نفسك بطريقة أخرى.

- لا بل أريد أن أموت كما متِ أنتِ.

- إذًا دعني أساعدك في قتل نفسك أو بالأصح أقتلك كما قتلتني.

نظرت له وأنا أخنقه وهو ابتسم لي ومن ثم مات.

***

صارت روحه تحوم معي.

نظر لعيني ونحن هائمان فوق السحاب وأردف:

- آه، يا له من إحساسٍ جميلٍ يا أروما، أنتِ معجزة وحبك غريب لا مثيل له، لقد كتب على حبنا الأبدية إلى أن تقوم الساعة.

- سنظل شبابًا إلى أن تنتهي الحياة، لن نهرم أبدًا يا شُبْرَا.

- العالم كله ملكنا نحوم ونصل لما نشتهيه، وكيف أشتهي شيئًا وأنتِ معي وكل ما أشتهيه أنتِ فقط.

- أحبكَ يا شُبْرَا.

- أحبكِ يا أروما.

الفصل السابع

اليقظة

-أروما...

-أروما...

-أروما حبيبتي...

-أروماا، بنيتي...، ها أنتِ معنا...

-أروما يا دلوعة أبيكِ، ها أنتِ صرتِ بخير.

-أروما أختي حبيبتي وصديقة عمري، ها أنتِ ذا... قد عدتِ لنا بخير.

-أروما يا ابنتي التي لم أنجبها ولكنك في غلاة ابنتي عائشة، حمدًا لله على سلامتك.

-هيا يا وردتي هيا قومي؛ كي تنشري عبقك في حياتنا.

أسمع أصواتًا كثيرة وأحاول أن أرى ولكن الرؤيا غير واضحة، ومن ثم تمكنت من الرؤيا جيدًا.

كانت أمي أمامي وعلى وجهها ابتسامة مكسورة وقد تبلَّل وجهها بسبب كثرة الدموع مما زاد وجهها الأبيض بريقًا ولمعانًا، ثمّ قالت لي وهي تمسك بيدي:

- حمدًا لله على سلامتك، هيا يا حبيبتي انشري عطرك في حياتنا، حياتنا من دونك كئيبة لا عطر لها ولا لون.

قاطعها أبي ممازحًا وعيناه تترقرقان من الدمع وهو يقبل رأسي، قائلًا:

- وكيف تكون لحياتنا طعم ورائحة ولون بلا أروما! إنها اسم على مُسمَّى، جميلتنا هي، عطرنا وشذى حياتنا.

قاطعتهم مستغربة:

- أين أنا؟

ردّ عليّ كريم وهو يُقبِّل يدي:

- حبيبتي، لقد تعرضتِ لحادث منذ أسبوع، ومن أثره فقدتِ الوعي وأصبتِ بغيبوبة، وها قد أفقت منها ولله الحمد.

رددت عليه مستغربة:

- أسبوع؟

ما هو تاريخ اليوم؟ نحن في أي سنة؟

استغربوا من سؤالي ونظروا لبعضهم ومن ثم قال كريم:

- اليوم 24 من شهر يناير عام 2018

صرت أبكي... أبكي بجنون، ينظرون لي ولا يفهمون ما بي، ولكني كنت أبكي حامدة الله على هذه الفرصة كي أتجنب كل الأخطاء التي رأيتها، لم أكن أعلم أن الله يحبني إلى هذا الحدّ.

كل ما رأيته كان مجرد درس لي، ولكني خائفة ألا أنجح هذه المرَّة.

أدعو الله أن يوفقني في أن أُحسن الاختيار في هذه المرة وأن أصلح كل شيء.

حاولت أن أتحرك ولم أستطع، وألمس قدمي ولكني لا أشعر بها.

سألتهم لأن نظراتهم كانت مرتبكة:

- لمَ أنتم مرتبكون هكذا! ولمَ لا أستطيع الحراك؟ هل هذا من أثر مخدرٍ ما...!؟

هنا سكت الجميع ولكن عائشة بكل ثقة قالت:

- لا ليس من أثر تخدير، العملية تمت في نفس يوم الحادث، قد أصبتِ بشلل نصفي يا أروما.

ومن ثم نظرت لي نظرة تشفٍ، ولكن قاطعتها أمي بحزم:

- إنه مؤقت يا أروما وسوف نعالجك ومع الوقت سوف تكونين مثل قبل، بل أفضل بإذن الله.

نظرت لها عائشة نظرة توعد ومن ثم حوَّلت نظرها عن أمي، ثم نظرت لي وقالت:

- حسنًا، بالفعل الشلل يمكن علاجه في حالتك، ولكن لقد فقدت شيئًا مهمًا يا أروما.

هنا قاطعها كريم صارخًا:

- اخرسي، اخرسي يا عائشة إياكِ أن تفصحي عن شيء.

نظرت لكريم مستغربة، ومن ثم صرت أحول نظري لكل الموجودين في دهشة وعدم فهم، متسائلة:

- ماذا تخبئون عليّ؟

لم يرد عليّ أحد وبدأوا بطأطأة رأسهم، ولكني سألت عائشة:

- عائشة قولي لي... ماذا كنتِ سوف تخبريني...؟

- في يوم الحادث تعرضتِ لهجوم شديد مما أدى إلى فقدان وعيك وإصابتك بغيبوبة ونزيف داخلي حاد وتهشم في الأوعية دموية، لا أفهم في الأمور الطبية، ولكن ما قالوه الأطباء أنه قد كسر عظام الحوض لك، وبسبب النزيف قرروا استئصال رحمك.

سألت غير فاهمة:

- وما دخل استئصال الرحم في الأمر؟

- لا أفهم في هذه الأمور الطبية كما تعلمين ولكن هذا ما نعرفه، أنتِ تعرفين الأطباء يقولون كلمة واحدة على أساس أننا لدينا قاعدة معلومات ونفهم ما يقولونه.

نظرت لكريم وسألته وأنا عيني تسيل بالدمع:

- هل هذا صحيح يا كريم؟

ربت على يدي ودموعه تنهمِر على يدي التي بدأ في تقبيلها، ومن ثم أردف:

- لا يهم يا حبيبتي، المهم أنكِ بخير، وأنكِ معنا، ولا نريد شيئًا سوى ذلك.

أنتِ أكبر نعمة في الحياة ولا أريد سواكِ.

ومن ثم أصابني الذهول وصرت لا أتكلم مع أحد، أكتفي بأن أومئ برأسي أو بعيني لهم وكفى، أشعر أني خسرت الكثير والكثير.

شعور مؤلم جدًّا أن تشعر أنك صرت غير مكتمل.

بعد ذلك قرَّر عمي أن يتم نقلي للبيت مع توفير طاقم طبي لمتابعة حالتي في البيت.

ها هم قد وضعوني على كرسي متحرك، شعور صعب أن تشعر أنك غير قادر على الحركة وكأنك قد سُلبت حريتك، امتلاك قدمين حرية بالفعل لأنك تفعل ما تشاء وقتما تشاء، إذًا هذه حرية.

نعم الله علينا لا تحصى، ولا يشعر أحد بقدر النعمة إلا بعد أن يفقدها.

لا أفعل شيئًا سوى أني سارحة والدموع تنهمر من عيني، إلى أن سمعت صوت أحد في مَمرّ المشفى:

-حمدًا لله على سلامتك يا بطل، سلامتك يا شُبْرَا... ألف سلامة.

تلفتُّ وبالفعل كان هو، عيني جاءت في عينيه، فذُهل عندما رآني أمامه، كريم هو من خلفي ويحرك الكرسي للأمام وها أنا أقترب أكثر وأكثر من شُبْرَا وعيناي لم ترتفعا عن عينيه، كريم ينظر لي بذهول وحامد ينظر لشُبْرَا بذهول، إلى أن تجاوزت شُبْرَا وصار خلفي وقد أوشكت على الخروج من المشفى سمعت صوتًا:

- أروما...

ومن ثم سمعت صوتًا قادمًا من خلفي، ومن ثم ظهر أمامي، وأردف:

- أروما، أليس كذلك؟

أومأت برأسي أي نعم، وقلت:

- شُبْرَا... أليس كذلك؟

ابتسم وأردف:

- أنتِ حقيقة يا أروما؟

- وأنت حقيقة يا شُبْرَا!

-مررت بمعجزة معكِ لا أدري ما إن كانت حقيقة أم لا، ولكن أشعر أن روحي قابلت روحك ولكن سرعان ما أفقت أنا فانقطع اتصال روحي بروحك إن صحَّ التعبير.

- ولكني لم ينقطع اتصال روحي بروحك؛ وذلك لأني كنت في غيبوبة، فطالت مدة لقائنا سويًا.

قاطعنا كريم مستفهمًا:

- هل يمكن أن أفهم هذه الألغاز يا أروما؟

ابتسمت ابتسامة على طرف فمي وأردفت:

- إنه موضوع طويل يا كريم، سوف أحكي لك فيما بعد.

ومن ثم حرَّك كريم الكرسي معلنًا نهاية الحديث، ولكن شُبْرَا نادى عليّ:

- أروما...

ومن ثم وقف أمامي، وأردف:

- أريد رقم هاتفك؛ كي أطمئن على حالتك.

ضحكت وقلت له:

- تريده مباشرة هكذا ولا تضع احتمالية أنني من الممكن أن أرفض.

- لا أريد أن أضع هكذا احتمال أمامي؛ لأنني بالفعل أريد أن أطمئن عليكِ.

قلت له رقمي، ومن ثم سلَّم شُبْرَا عليَّ وعلى كريم وأردف:

- سعيد لمقابلتك، أقصد لمقابلتكما.

ابتسمت في خجل، فابتسم هو كذلك.

***

ظلَّ كريم معي وبعد يوم صارحته:

- كريم، أتصدقني إنني قلت لك إني رأيت ما سيحدث أثناء غيبوبتي.

- لا أصدق غيركِ في الكون يا أروما، ولكن إن كنتِ تعلمين كيف لم تعرفي ما أصابك عندما استيقظتِ.

- بصراحة لا أعلم يا كريم، ولكن أنا عندي فكرة أرجوك أن تسمعها.

- قولي يا حبيبتي.

- أريدك أن ترتبط بعائشة، إنها تحبك بحق.

- ولكني أحبك أنتِ، وهي مجرد صديقة.

- صدقني هذا لصالحنا جميعًا.

- إن كنتِ تقولين ذلك بسبب موضوع الإنجاب فأنا لا أريد سواكِ.

- عليّ أن أصلح الأمور افهمني، سوف تحدث أمور شنيعة في حقنا جميعًا، صدقني أنا أقصد مصلحة الجميع.

- مصلحتنا أن نظل سويًا يا أروما.

- ولكني رأيت ما سوف يحدث لنا جميعًا وأريد ألا أكرّر نفس الأخطاء مرة أخرى.

- كلامك غير صحيح يا أروما، لو كنتِ تعلمين حقًا ما سيحدث لكنتِ علمت ما حدث معك وأنكِ في غيبوبة لمدة أسبوع فقط، وأنك لا تستطيعين الحراك، وأن رحمكِ قد استؤصل.

قد أخطأتِ في كل ذلك وتريدين أن أصدق تفكيرك فيما هو آتٍ...!

إن ما رأيته يا أروما مجرد كوابيس بسبب الآلام التي كنتِ تعانين منها أثناء غيبوبتك لا أكثر ولا أقل.

هنا كلام كريم جعلني أسرح حقًا، كلامه صدمني، فطلبت منه أن يتركني كي أرتاح وسوف نكمل كلامنا فيما بعد.

صرت بمفردي أفكر وأردد في ذهني وأقول:

- ما قاله كريم صحيح تمامًا، إن تفكيري خاطئ تقريبًا رواية "بروفيتيا" قد أثرت عليّ وجعلتني أظن نفسي البطلة "بدر" التي تعلم النبوءات، أنا لست "بدر" كي أتنبأ بما سيحدث.

صحيح أنا رأيت في غيبوبتي أن كريم ترك المستشفى في أول يوم فور وصول عمي وعائشة ولكن في الحقيقة أني عندما استيقظت أي بعد مرور أسبوع كان بجواري.

أظن ما رأيته ليس بصحيح.

كما أن عمي لم يسافر قَط، بل كان مع أسرتي، وفي غيبوبتي عندما أفقت كنت معافاة تمامًا ولكن في الحقيقة أنا لا أتحرك،

كل هذه أخطاء في يوم واحد فقط، معنى ذلك أن القادم وأظنه نبوءة ما هي إلا مجرد كوابيس أظنها ستكون حقيقة.

حمدًا لله على توضيح كريم لي، كنت أظن نفسي عرافة ولكني مجرد فتاة عادية.

ولكن شُبْرَا عرفني عندما رآني، من الممكن أن يكون ذلك لأنه كان روحًا مثلي، فما حدث في أول يوم كان حقيقة بينما ما حدث بعد ذلك مجرد هلوسة؛ لأن روحي ووضعي قد استقرا ولم أعد طيفًا.

آه... ولكن ما رأيته أثناء غيبوبتي لمغامرة عجيبة حقًّا، كم أتمنى أن أكتبها، ولكن ماذا أفعل الآن...؟

بما أن كل ما رأيته خطأ على الأقل أول قرار أريد أن آخذه أن أتقرَّب إلى الله وأرتدي الحجاب.

لن أفكر كثيرًا في مستقبلي، سوف أدعو الله أن يختار الخير لي وأن يدبر أموري لأني لا أحسن التدبير.

ولا داع أن أفكر كما فكرت "بدر" وغيرت قدرها لأنها في الأول وفي الآخر هي مجرد رواية، وفكرة رؤية الماضي والمستقبل والتنبؤ ما هي إلا خرافة أكيد، مع إني كنت أظنها حقيقة، ولكن أكيد الخير فيما سوف يختاره الله لي.

***

في صباح اليوم التالي جاء لي كريم وقد أعجب بي كثيرًا وأنا أرتدي الحجاب، ومن ثم فتح معي الموضوع من جديد على أمل أن أعدل عن كلامي الذي قلته له بالأمس.

ولكن شعرت أن الله زرع بداخلي إحساس أنني يجب أن أبتعد عن كريم، وعندما سألني كريم عن قراري قلت له:

-بصراحة يا كريم أنا لن أستطيع أن أكمل حياتي معك، لا أريد أن أظلمك، ويجب علينا أن نفهم اختيار الله لنا.

إن الله له حكمة فيما جرى لنا، ويجب علينا أن نحترم اختيار الله لنا.

- أنتِ بهذا القرار تريدينني أن أموت.

- لا بالعكس أنا أريد لك الخير، وقراري هذا ليس نابعًا مني بل إني استخرت الله كي يختار لي والله وجهني لذلك.

اقبل بعائشة يا كريم، إنها تحبك.

- لن أقبل بها غير كصديقة، إنها تحب التملُّك؛ لترضي غرورها و...

- لا أبدًا، الموضوع مختلف تمامًا عما نظن، كنت أظن ذلك يا كريم، ولكن أنت نقطة ضعف عائشة، هي مستعدة أن تقتل من أجلك ومستعدة أن تتنازل عن كل شيء مقابل حبك.

- أروما توقفي، لا أحب غيركِ قلتِ لكِ، ولا أريد أن أحب غيرك.

- افهمني نصف العمى أفضل من العمى كله، صدقني إن لم تفعل ذلك سوف تخسرني إلى الأبد.

ارتباطك بعائشة نصف العمى؛ لأنها تحبك وأنت لا تحبها، ولكن ارتباطك بي لن يتم، إن القدر لا يريدنا سويًا، في أول الأمر كانت عائشة والآن صرت لا أصلح أن أكون زوجة لك، لا أريد أن أجعلك تُحرم من شيء لذا اسمعني، أنت صديقي قبل أن تكون حبيبي لذا إذا وافقت على كلامي، سوف تكسب شابة مجنونة بك.

- من ناحية أنها مجنونة فهي مجنونة حقًا.

ضحكت، وضربته على يده كي يكف عن المزاح، ومن ثم أكملت:

- توقف عن المزاح، أنا الآن أتكلم في موضوع جد.

إذا سمحت لها بأن تصير حبيبتك؛ فاعلم حينها أنك سوف تكسب كل شيء، لا يوجد شعور أجمل من أن يكون هناك من يهيم بك حبًا ومستعد أن يضحِّي من أجلك.

- عمن تتكلمين يا أروما؟

- عن عائشة، انتبه لكلامي، سوف تملك كل شيء وسوف تكون المالك لكل شيء وتحل محل عمي.

- هذه من الهلوسة التي رأيتِها أثناء غيبوبتك يا أروما!

- لا... بل هذه حقيقة؛ لأن عمي يحبها بشدة وسوف يحبك من أجل أنها تحبك، أنت تعلم ذلك.

- ولكن مال الدنيا لا يغنيني عنكِ.

- أعلم هذا، ولكن إن رفضت عائشة سوف تخسرني، لا أدري ماذا يمكن أن تفعل عائشة إذا استمررنا سويًا.

- هل رأيتِ أنها فعلت شيئًا لكِ في غيبوبتك.

- لا لم تفعل لي شيئًا، ولكن أنا أعرفها، إنها تحبك.

إن قراري هذا مبني على حقائق لا هلوسة، صدقني.

الله نوّر لي طريق، وهذا الطريق فيه صلاح لنا جميعًا بالتأكيد.

اسمعني، أنت دواؤها، حتى بإمكانك أن تجعلها تبدأ جلسات مع طبيب نفسي كي يؤهلها جيدًا، سوف تأخذ ثوابًا على تغييرها، أنت نقطة ضعفها وهي مستعدة أن تفعل أي شيء كي ترضيك أو تحصل على رضاك.

- ولكن يا أروما...

- من دون لكن يا كريم، ولا تنسَ أنك إن ظللت معي سوف تُحرم من كلمة أبي.

- لا أريد أن أسمعها إن لم تكن من ابن منك.

- استغفر ربك، سوف تتزوجها من أجلي أنا، وسوف تنجب وأنا من سوف يربي أولادكما، سأكون قريبة منكما جدًّا.

ولن تخسر شيئًا إن نفذت فكرتي، لن يخسر أحد أبدًا إن فهمنا حكمة الله وتدبيره لنا، وتذكر قول الله تعالى {وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم}.

- أنتِ تحكمين عليَّ بالعيش مع هذه المجنونة...

- احم احم، لقد جاءت...

التفت كريم وهو يقول: "من...؟!"

فأردفت عائشة وهي تضع يدها في جنبها:

- المجنونة يا سي كريم.

ضحكت عليها بسبب ملامح الغضب التي رُسمت على وجهها، وقلت في قرارة نفسي:

- إن كان أحد غير كريم لكانت مسحت به الأرض في ذات اللحظة، ولكنه كريم حبيب قلبها فمضطرة أن تبتلع الإهانة.

حاولت أن أُغيِّر الأجواء بينهما، وصرنا نمزح سويًا ومن ثم قرر كريم أن يرحل ومن ثم صرت أنا وعائشة بمفردنا فساد الصمت قليلًا، ثم كسرت هذا الصمت وتنحنحت، ومن ثم قلت:

- إنه لكِ من الآن.

تصنعت عائشة الغباء والبلاهة وأردفت:

- ماذا تقصدين؟

- لا أريد كريم أن يكون لي من اليوم، لا أريد أن أظلمه معي، سوف أحاول جاهدة أن أجمع بينكما وعليكِ أن تستغلي هذه الفرصة بأن تتغيري قليلًا من أجله.

- ولمَ أتغير، ما بي أنا؟

- هذا أول شيء يجب أن يتغير بكِ، ألا وهو الغرور.

- أروما، أحقًا ما تقولينه!

- ليس من طبعي الكذب ولا أمقت في الحياة شيئًا مثله.

ومن ثم قامت عائشة وهمَّت كي تعانقني وهي تبكي، وضعت يدي أُربِت على كتفها وقلت:

- لا تبكي، لقد سامحتك على ما فعلته بي.

ترددت وأردفت:

- ماذا؟ ماذا فعلت؟

- لا يهمّ الكلام في شيء مضى، المهم فيما نحن فيه الآن.

بدأت تُقبّلني وأردفت:

- أنتِ أحلى صديقة وأحلى أخت وابنة عمّ في الكون، أحبك يا أروما.

نظرت لها مبتسمة وأنا أرفع حاجبي معلنة استغرابي، ومن ثم قلت:

- أووووه، إن حال الإنسان لغريب حقًا، كلمة تجعله يحب من أمامه وكلمة تجعله يكرهه وكأنه ألدّ أعدائه.

***

مرَّت الأيام وها أنا أتعالج كي أمشي من جديد، ها قد استقرت عائلتي كلها في القاهرة، وبدأت في متابعة مشروعي، ومعي شُبْرَا الذي صار أقرب صديق لي ولم أسمح له في مرَّة أن يعبر عن مشاعره تجاهي؛ لأني في كل مرَّة أوقفه عند حدّهِ، وفي مرَّة سألني:

- لمَ تفعلي ذلك معي؟

وأنا كنت أرد عليه مُغيَّرة مجرى الحديث:

- سأظل قريبة منك إلى الأبد، ولكن لا تتوقف عن الاهتمام بزوجتك ولا تستغن عنها أبدًا، سأكون نِعم الصديقة لك و...

- ولكني لا أعتبر...

- لا تكمل كلامك يا شُبْرَا، يجب ألا نتحدث في مثل هذه الأمور، ويجب عليك أن تصدق كلامي وكفى.

طبعًا كان رد فعلى هكذا ليس بسبب الهلوسة التي مررت بها أثناء غيبوبتي لأن ما رأيته لم يكن متعلقًا بالواقع، ولكن أنا قرَّرت فور أن خرجت من المستشفى أن أفعل ما يرضي الله وكفى، وأنا أعلم جيدًا إذا فعلت ما يرضي الله سوف يرضيني بما أحب وأكثر.

***

مرَّت الشهور وصرت أستطيع المشي، ومشروعي صار جاهزًا، وحياتي بدأت تتحسن.

وفي يوم كنت أنا وشُبْرَا كالعادة في كافيه بالقرب من الأهرامات، ولكن في صباح ذلك اليوم رأيت شابة وأمها ومن ثم سألتني عن مكان ما في القاهرة تريد أن تزوره، عرفت منها أنها ليست من القاهرة وجاءت إلى هنا في جولة حرة مع والدتها؛ لذا قررت كعادتي أن أساعدهما، فأنا أحب مساعدة غيري، سأكون المرشدة السياحية لتلك الشابة وعندما تعرفت عليها كان اسمها (رانيا رمضان).

استغربت؛ لأنني سمعت هذا الاسم من قبل إنه اسم مؤلفة الرواية التي أثَّرت فيَّ جدًا، ثم سألتها:

-أنتِ تؤلفين روايات!

قالت لي بتعجب:

-كنت أحب الكتابة وأنا صغيرة، ولكني لا أكتب حاليًا ولا أفكر حتى.

استغربت في قرارة نفسي ومن ثم أكملت رحلتي معهما ومن ثم صارت صديقة لي.

ثاني يوم قابلني كريم وقال لي:

-ما رأيك أن نتزوج، ها قد شفيتِ لا يوجد لك حجة الآن.

- لم أتركك من أجل إعاقتي المؤقتة، أنا قررت ذلك لما أوضحته لك سابقًا ولغير ذلك لم أعتد قط أن أظلم أحدًا.

ومن ثم بكيت، فربت كريم على يدي مهدئًا إياي، ومن ثم أردف:

- أنتِ تظلمين...! لو ظلموا كل سكان الأرض إلا أنتِ لن تظلمي أحدًا أبدًا، سواء بشر أو أي كائن حي، لا يوجد أرحم من قلبك يا أروما.

- ها قد قلتها بنفسك، لا أحب أن أظلم أو أن أقصر في شيء ولا أريد أن أحرمك من شيء، أعلم أنك لا تريد الآن ولكن سوف يأتي يوم تشتهي أن يكون لك طفل يكبر أمام عينك ويكمل ما بدأته.

- لمَ تفكرين في غيرك...، لمَ؟

- هذه أنا يا كريم لا أستطيع أن أفكر في ذاتي فقط، والله وجهني لهذا القرار وأنا راضية بحكمته.

***

وبالفعل بدأت عائشة في التغيير من أجل كريم، وكريم صار المسؤول عن أملاك عمي، وعمي وضع ثقته في كريم بمجرد أن ابنته حبيبته تثق به.

في شهر مارس عام 2019 تم خطبة كريم بعائشة، كريم لا يكره عائشة بل هي صارت مقربة منه وخاصة بعد تغييرها للأفضل، ولا غنى عن وجودي معهما.

عائشة من الممكن أن أكون معهما ولكن ليس بالعادي أبدًا أن آخذه منها.

ومن ثم تم زواجهما في ليلة رأس السنة يوم 31 ديسمبر عام 2019، وفي شهر ديسمبر عام 2020 رزقهما الله بطفل جميل ترددا ماذا يسميانه، ولكن كريم بعد تفكير قال: - سوف نسميه "رومان".

وصار رومان قريبًا لي أنا، أنا من ربيته مقربًا لي ومتعلقًا بي أكثر من أمه وأبيه ذاتهما، إن رومان نعمة كبيرة في حياتي، صار مصدر راحتي وسعادتي بالفعل.

وها هو شُبْرَا صار فردًا من عائلتنا ويشاركنا كل مناسباتنا، فهو صديقي المقرب العفوي المريح للنفس.

يمرّ الوقت وصرنا في 2020 وها هي رانيا تقول لي أنها فكرت في كلامي وقررت أن تحيي موهبة الطفولة من جديد وأن تحاول أن تكتب وبالفعل لقد دعمتها من كل قلبي.

وبالفعل في 2021صدر لها روايتين وإحداهما "بروفيتيا" حقًا.

لا أدري أن ما رأيته أثناء غيبوبتي حقيقي أم إني قد أثرت عليها بكلامي، المهم إني طلبت منها أن تكتب قصتي بأسلوبها هي، وبالفعل أصدرت رواية باسمي في نفس العام وتوقعت لي نهاية.

***

في يومٍ آخر من نفس العام وأنا في عملي، جاء لي كشف بأسماء الجُدد في دار المسنين، وأنا أقرأ الأسماء لقد رأيت اسمًا صدمني... "رئيفة احمد عبد الله".

هل هذه هي...

يجب أن أتأكد بنفسي.

وبالفعل كانت المفاجأة نفس المرأة التي رأيتها أثناء غيبوبتي، لا أدري إن كان ما رأيته حقيقيًا أم لا، ولكن في هذه صادفت معي أنها حقيقة.

من الممكن أن عمي كان نائمًا لذا روحه تقابلت مع روحي في المنام وعرفت منه كل ذلك، آه يا ربي لا أعلم، إن ما مررت به لا يصدقه عقل.

وبالفعل تحدثت معها وقالت لي ما جرى معها إلى أن وصلت ها هنا، ابنها أخرجها من دار المسنين الذي يدفع فيه القليل من المال ونقلها إلى هنا لأنه مجاني تمامًا.

هَوَّنت عليها وقلت لها اعتبريني ابنتك وكل الموجودين ها هنا أولادك وفي خدمتك.

إن مشروعي أساسه الرحمة والمودة والرأفة، وكل من يعمل هنا يجب أن يتسم بهذه الصفات.

كل من يعمل في مشروعي يعلم جيدًا أنه يعمل ها هنا ليس من أجل أن يأخذ مرتبًا آخر الشهر وكفى، بل إنه يعمل هنا لمساعدة وسعادة غيره.

في المساء لم أُكذب خبرًا، اتصلت بعمي وقلت له أني أريدك في أمرٍ ضروري بخصوص دار المسنين.

وبمجرد أن وصل شرعت أحكي له عن العدد المتزايد للمسنين ورغبتي في إجراء توسيعات ومن ثم بدأت في قراءة أسماء الجدد في الدار وعندما وصلت لاسم رئيفة أحمد عبد الله التمعت عيناه وكنت أشعر بخفقان قلبه وأسمع ضربات قلبه المتسارعة كالطبول وقال لي:

- أنا أريد أن أذهب إلى الدار حالًا.

- ولمَ تريد أن تذهب يا عمي؟

- إن الموضوع شخصي لا أستطيع شرحه، ولكن هيا بنا الآن.

- ولكن يا عمي إن الوقت متأخر، غدًا سوف نذهب سويًا... لمَ أنت متلهف على لقائها بعد كل ما فعلته بك.

ذهل عمي مما قلته وأردف:

-عمَّ تتحدثين يا أروما؟

توترت من سؤاله فحكيت رأسي وابتسمت مُغيِّرة الموضوع وقلت له متسائلة:

- ما رأيك أن نذهب الآن يا عمي، إن الوقت ليس متأخرًا إلى هذا الحدّ.

وبالفعل تقابل العاشقين العجزة، إن العجز أصاب جسديهما ولكن قلبيهما ما زالا شبابًا، ما زالا مستشيطين بلهب حب المراهقة ذاك.

عمي ذُهل عندما رآها، وقد التمعت عيناه وهي صارت تبكي وتغطي وجهها بيدها؛ كي لا يراها وهي تبكي وهذا ما ظننته أنا ولكن عندما اقترب منها قبَّل يدها وقال لها:

- لا تبكي يا رئيفة لم أعتد أن أراكِ ضعيفة.

- لست أبكي من ضعفي يا رؤوف ولكن لا أحب أن تراني هكذا وقد شخت واشتعل رأسي شيبًا.

- أنتِ أجمل كل النساء في كل زمان.

سوف أعوضك عن كل ما فاتك و...

- تعوضني، بعد كل ه...

- اششش...، لا تكملي يا رئيفة، لا داع أن نتكلم فيما مضى، دعينا نعيش اليوم.

وبالفعل عمى لم يكذب خبرًا وتزوج رئيفة وجعلها تعيش ملكة بالفعل وسافرت معه لبلاد كثيرة، وطبعًا الأمور المادية أهم شيء بالنسبة لها وهذا ما يجعلها سعيدة حقًا.

وعمي رؤوف لا يهمه في الدنيا شيئًا مثل رئيفة وعائشة فهما السعادة بالنسبة له.

أشعر بأن مبادرة عمي في مشروعي ورغبته في عمل الخير هما السبب في تغيير حاله للأفضل؛ بأن الله جعل ابنته سعيدة مع من تحبه، وأن الله جمعه مع من يحبها.

وأظن أن هذا فضل عمل الخير، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

***

آه من الحب، إنه مثل المخدر! مهما يؤذيك بأضراره التي لا حصر لها إلا إنك تضيع نفسك وعمرك في سبيل لحظة سعادة أو نظرة حب ممن تحب.

كذب من قال إن هناك كرامة في الحب، أقسم أنك إن جربت شعور الحب الحقيقي سوف تنسى تمامًا ماهية كلمة كرامة من الأساس.

كلمة كرامة محذوفة من عقل المحب.

كل الجروح والأسى والألم الذي يخلفهما من يجرحك سوف تنساها تمامًا بمجرد أن يعود إليك وترى نظرة من عينه لك، حينها سوف تقول لنفسك أنه لم يجرحك أبدًا.

إن الحب أكثر شيء مؤلم وممتع في الحياة.

عندما أرى من حولي وقصص حبهم المختلفة أردد في نفسي وأقول، كم أحب الحب، إني بالفعل أحب الحب بحلوه ومرّه.

حلو الحب له متعة، ومرار الحب له متعة أخرى إذا عاد المحب لك من جديد.

***

وتمرّ السنين وروما‌ن يكبر أمام عيني وفي عام 2023 جاءني الخبر، شُبْرَا أخبرني أن زوجته حامل، وتمنى من الله أن تكون بنتًا لكي يسميها أروما.

وبالفعل في شهر أكتوبر صار لي بنت ليست مني ولكني أشعر تجاه أي طفل أنه ابني أو بنتي.

ولكن الخبر المُفرح لم يكتمل في ذات الوقت وشُبْرَا يخبرني بأنه قد رزق بطفلة، صوته كان يرتجف فسألته:

- "ماذا بك؟ لمَ صوتك هكذا!"

- غادة ماتت يا أروما وهي تنجب طفلتي.

حزنت عليها، وشُبْرَا كذلك حزن بشدَّة، ليس من حبِّه لها ولكن من أجل العشرة على الأقل.

ظللت معه حتى اجتاز هذه الفترة، وبعد مرور بضعة شهور على موت غادة عرض عليّ الزواج.

حينها ترددت قليلًا وأردفت:

- ولكني لا يمكنني أن أنجب يا شُبْرَا.

- إن هذا ليس بالأمر المهم، المهم يا أروما أن تكوني لي أرجوكِ لا ترفضي، أنا تحملت كثيرًا ومنذ أن رأيتك صرت

أدعو الله أن تكوني من نصيبي، وأنتِ رفضت بكل الطرق أن تكوني لي، لذا صرت أدعو الله أن تحدث معجزة لكي تكوني من نصيبي، وها هي المعجزة قد صارت واستجيبت دعوتي، وبالنسبة لأمر الانجاب ليس بمشكلة ها أنا معي ابنتي وهي ابنتك أنتِ أيضًا.

سكت وصرت أنظر أرضًا، ولكنه قطع تفكيري، بأن سحبني إلى حضنه وقال باكيًا:

- أرجوكِ لا مجال للرفض، سوف أموت إن لم تكوني نصيبي ونصفي الثاني.

ومن ثم نظر لي متوسلًا، فأومأت له برأسي "أي نعم"، نظر لي نظرة اندهاش وأردف:

-ما... ماذا...؟ ماذا تقصدين بنعم!

- أقصد أني... م... وا... فقة.

عانقني بقوة ودار بي وأنا في حضنه من شدة الفرحة، ومن ثم نزل على ركبته وقبَّل يدي، ثمّ أردف:

- أحبك يا دعوة أمي لي بالخير، أنتِ الخير الذي كانت تعنيه بالتأكيد.

***

حينها فهمت تدابير الله لي، إن الله له حكمة في كل شيء في حياتنا.

الله له حكمة في وجود كريم في حياة عائشة، فصار هو سبب لتغييرها للأفضل.

وكذلك علاقة كريم بعائشة عادت على كريم بالنفع الكثير في مجال عمله.

وكذلك لله حكمة في وجود غادة في حياة شُبْرَا لكي تكون سببًا لحصوله على تلك الطفلة الجميلة التي كان لن يحصل عليها إذا تزوجني أنا.

وبسبب هذا الحادث صارت عائلتي كلها معي ولم شملنا، وصار أخي مسؤولًا معي عن مشروعي.

بذلك لم يخسر أحد، بل كسب الجميع.

في يوم 2024/4/4 تم زواجي على شُبْرَا.

هنا همست لي صديقتي رانيا وقالت لي:

- ما رأيكِ فيما يحدث اليوم، أليس ما يحدث الآن هو ما كتبته في نهاية قصتك سنة 2021.

- بالفعل كما توقعتِ تمامًا ولكن ألن تقولي لي ما باقي عنوان هذه الرواية طيف أروما "ومن الحب ما...!".

-قصة حياتك يا أروما بها كل أشكال الحب يمكن أن تسميها ومن الحب ما قتل، ومن الحب ما ظلم، ومن الحب ما سحر، ويمكن أن نقول كما يحدث الآن ومن الحب يحيا الأمل.

-أوه، كم أنتِ أريبة يا رانيا.

ومن ثم جاء كريم وقال بصوت خافض:

- سوف أقتلك يا ابن المحظوظة لأنك تمكنت من أن تجعلها توافق، سوف أقتلك لأنك نجحت فيما فشلت به.

ضحك له شُبْرَا وقال له وهو يمسك برابطة العنق الخاصة بكريم مهددًا إياه بضحك:

- وأنا سوف أقتلك إن رأيتك تلمح أروما بنظرة لا ارتاح لها، حينها قل على نفسك "يا رحمن يا رحيم".

أنظر لهما وأضحك، أقسم أنهما يقولان كلام جد ولكنهما يخبئان تهديداتهما الحقيقية وراء تلك الضحكة.

ومن ثم حاولت أن أهدئهما قليلًا، وعادت الأجواء كما كانت.

كان يومًا سعيًد علينا جميعًا، كلنا صرنا في نفس التجمع السكني، كلنا نحب بعضنا البعض، ولا يحمل أحد تجاه أحد الكره، ولكن لا يمنع أن نقول إن هناك بعض الغيرة.

***

مثلما كتبت لكم المقدمة في البداية، قرَّرت أن أكتب لكم الزبدة من هذه الرواية في النهاية.

* تمنَّ الخير للغير واسعَ في فعل الخير وسوف يجعل الله الخير يسعى اليك.

* تمنَّ السعادة للغير وسوف تجد السعادة تركض لك مهرولة ساعية اليك.

*عليك أن تظلّ متسماً بصفات الخير حتى وإن صار العالم كله ظالماً وسيئاً.

أعطيكم مثالاً طريفاً على ذلك... "تخيَّلوا أن العالم أشبه بالصحن المتسخ، وأنت نقطة الصابون التي بها نتخلص من كل هذه الأوساخ".

ليس من الذكاء أن تقرِّر أن تكون نقطة وسخ مثلك مثل غيرك، بل كن مختلفاً ومميزاً بصلاحك؛ كي تصلح من حولك.

هذه النصيحة برعاية فيري... أمنح معلمكم.

يجب أن تتذكر أن الخير ينتصر دائماً.

تمت بحمد الله

"رانيا رمضان

بنت البروفيسور

٢٠٢١/١/٥

Insta: rania1ramadan

أعمال أخرى لبنت البروفيسور

نركسوس (رواية نفسية اجتماعية)

بروفيتيا (رواية فانتازيا اجتماعية)

لاقيت الفضفضة- كيمياء السعادة (كتاب تنمية ذاتية وخواطر دينية)

جد ولعب وجرح وحب (ديوان بالفصحى والعامية)

طيف أروما (رواية رعب ورومانسية)

البروفيسور- الخلاصة لفهم الوجه الحقيقي للحياة (كتاب تنمية ذاتية وقصائد شعرية)

المهدي المنتظر (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج1 فارس وجواد (رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج2 الخناس (رعب ونفسية)

60قانون لامتلاك السعادة وتجاوز صعوبات الحياة MOVE ON (كتاب تنمية ذاتية)